

الأنوار النعمانية

في

الدعوة الربانية

من أقوال

الدكتور/ نعمان أبو الليل

أستاذ التفسير وعلوم القرآن ومن علماء التبليغ بالأردن

بقلم

محمد علي محمد إمام

الجزء الثاني

دار الكتب والوثائق القومية

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية

إدارة الشؤون الفنية

إمام / محمد على محمد

الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية

إعداد / محمد على محمد إمام ... ميت غمر

(الجزء الثاني)

الطبعة الأولى ٢٠١١

عدد الصفحات (٣١٠ صفحة)

المقاس (١٨ × ٢١ سم)

رقم الإيداع : (١٣٣٣٧)

تاريخ الإيداع: ١٢ / ٧ / ٢٠١١

الترقيم الدولي : 4 - 166 - 716 - 977 - I.S.B.N. 978

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف



مُقَدِّمَةٌ

الحمد لله الذي لا ينبغي الحمدُ إلا له ، وأسأله سبحانه وتعالى أن يُصلي
ويسلم علي سيدنا محمد وآله وبعد :

إخواني وأحبابي في الله ! يُسعدني اليوم أن أقدم لكل الدعاة عامة، ولأهل
التبليغ والدعوة خاصة الجزء الثاني من الأنوار النعمانية في الدعوة الربانية من
أقوال الشيخ الدكتور نعمان أبو الليل العالم الرباني الجليل، الذي كلما استمعت
لكلامه، وانتقلتُ من كلمة إلي كلمة وكأنني طائر يحلق فوق بستان يرفرف بين
ربوعه من غصن إلي غصن، ومن زهرة إلي زهرة، ومن ثمرة إلي ثمرة.. وكأنني
نحلة تتجول في بستان بين الحقائق والزهور وتنتقلُ من زهرة إلي زهرة ترتشف
الريح.

أتدرون ما هذا البستان ؟.

إنه بستان الدعوة إلي الله، إنه البستان الذي قام بغرس أشجاره السادة
الأنبياء والمرسلين عليهم الصلاة والسلام، وجميع الأصحاب رضي الله عنهم.
إنه البستان الذي رواه الصحابة بدمائهم، حتي أينعت أغصانه ونضجت
ثماره.

إنه البستان الذي أمرنا ربنا جل وعلا برعايته، وتشيد بنيانه، قال تعالى: ﴿وَمَا شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(١).

فعسى الله ﷻ أن ينفعنا بكل كلمة نكتبها في هذا الكتاب، وأن ينفع بها كل من يقرأها إلى يوم القيامة ٠٠ وأن يرزقنا جهد حبيبته ، علي منهاج حبيبته، حسب مرضاته ، آمين .

أخوكم في الله

محمد علي محمد إمام

الدعوة الربانية

قال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا * الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ تَقْدِيرًا ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴾^(٤).

(١) سورة الملك - الآية ١.

(٢) سورة الفرقان - الآيتان ١ ، ٢.

(٣) سورة الزخرف - الآية ٨٥.

(٤) سورة الشوري - الآية ٤٩.

وقال تعالى: ﴿لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلْجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ * يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِئذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ (٣).

(١) سورة الحديد _ الآيات من ٢ : ٦ .

(٢) سورة الجاثية _ الآية ٢٧ .

(٣) سورة النجم _ الآية ٣١ .

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّمَن مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَ كُفُّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ اتَّخَذُ وَلِيًّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعَمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(٢).

كل هذه الآيات معناها واحد تبين أن هذا الكون ملك لله وبيد الله .. والله يكرر هذه الآيات ليزداد عندنا الإيمان.

(١) سورة الأنعام _ الآيات من ١٢ : ١٥ .

(٢) سورة إبراهيم _ الآيتان ٤ ، ٥ .

نذكر الناس بكبرياء الله وعظمته وآثار قدرته ونعمه حتى يحبونه ويعظمونه.

المشاهدات في معركة مع الغيبيات:

لا يكون الرجل وطنيا حتى يسمع الأناشيد الوطنية مرة بعد أخرى ، حتى يأتي عنده الحماسة والشجاعة، فكذا إذا أراد الإنسان أن يكون مؤمنا لا بد أن يكرر آيات الإيمان، كما مر في الآيات الدالة على قدرة الله وعظمته.

توحد وتكبر وتعظم ﴿ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴾^(١) حتي تهدم من قلبك ما تراه عينك، فالمشاهدات في معركة مع الغيبيات، لأن الأشياء الحسية مثل العين هي مصدر الفتن فجاء الأنبياء عليهم السلام ليهدموا جميع الأشياء المشاهدة من القلب، فنبي من الأنبياء { هود عليه السلام } هاجم المباني: ﴿ كَذَّبَتْ عَادُ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ * وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ * وَإِذَا بَطَشْتُمْ بَطَشْتُمْ جَبَّارِينَ *

(١) سورة المدثر _ الآية ٣.

فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْلَمُونَ * أَمَدَّكُمْ
بِأَنْعَامٍ وَبَنِينَ * وَجَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ * قَالُوا سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِينَ * إِنَّ
هَذَا إِلَّا خُلُقُ الْأَوَّلِينَ * وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ
فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ
الرَّحِيمُ ﴿١﴾ .

ونبي آخر {صالح عليه السلام} لما وجد قومه في مزارعهم وحدائقهم
مطمئنين آمنين فرحين قال لهم، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ
الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمُ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ
أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ
إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ * أَتُتْرَكُونَ فِي مَا هَاهُنَا آمِنِينَ * فِي جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ * وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا
فَارِهِينَ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا * وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ * الَّذِينَ
يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ * قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ

* مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ يَوْمٍ عَظِيمٍ * فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ * فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١﴾ .

ونبي آخر أرسله الله إلي قوم سبأ ليدعوهم إلي توحيد الله وشكر نعمته، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ * فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ * وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمُ الْوَادِيَّ الْقَرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ * فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ * وَلَقَدْ

صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَمَا كَانَ
لَهُ عَلَيْهِمْ مِّنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي
شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ ﴿١﴾ .

يقول ابن كثير في البداية والنهاية :

قال الإمام أحمد: حدثنا أبو عبد الرحمن، حدثنا ابن لهيعة، عن
عبد الله بن دعدة، سمعت عبد الله بن العباس يقول: إن رجلاً سأل النبي
صلى الله عليه وسلم عن سبأ ما هو: أرجل أم امرأة أم أرض؟ قال: "
بل هو رجل، ولد عشرة فسكن اليمن منهم ستة، وبالشام منهم
أربعة، فأما اليمانيون: فمذحج، وكندة، والأزد، والأشعريون،
وأنمار، وحمير، وأما الشامية: فلخم، وجذام وعاملة، وغسان " .

وقد ذكرنا في التفسير أن فروة بن مسيك الغطيفي، هو السائل عن
ذلك، كما استقصينا طرق هذا الحديث وألفاظه هناك، والله الحمد.

والمقصود أن سبأ يجمع هذه القبائل كلها، وقد كان فيهم التبابعة بأرض اليمن، وأحدهم تُبَع، وكان لملوكهم تيجان يلبسونها وقت الحكم، كما كانت الأكاسرة ملوك الفرس يفعلون ذلك.

وكانت العرب تسمى كل من ملك اليمن مع الشحر وحضرموت تُبَعًا، كما يسمون من ملك الشام مع الجزيرة قيصر، ومن ملك الفرس كسرى، ومن ملك مصر فرعون، ومن ملك الحبشة النجاشي، ومن ملك الهند بطليموس.

وقد كان من جملة ملوك حمير بأرض اليمن بلقيس، وقد قدمنا قصتها مع سليمان عليه السلام، وقد كانوا في غبطة عظيمة، وأرزاق دارة، وثمار وزروع كثيرة، وكانوا مع ذلك على الاستقامة والسداد وطريق الرشاد، فلما بدلوا نعمة الله كفرًا أحلوا قومهم دار البوار.

قال محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه: أرسل الله إليهم ثلاثة عشر نبياً. وزعم السدي أنه أرسل إليهم اثني عشر ألف نبي، فالله أعلم.

والمقصود أنهم لما عدلوا عن الهدى إلى الضلال، وسجدوا للشمس من دون الله، وكان ذلك في زمان بلقيس وقبلها أيضاً، واستمر ذلك فيهم حتى أرسل الله عليهم سيل العرم، كما قال تعالى: {فَأَعْرِضُوا فَأَرْسَلْنَا

عَلَيْهِمْ سِيلَ الْعَرَمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِي أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ
وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ * ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا
الْكَفُورَ { (١) } .

ذكر غير واحد من علماء السلف والخلف من المفسرين وغيرهم، أن سد مأرب كان صنعته أن المياه تجري من بين جبلين، فعمدوا في قديم الزمان فسدوا ما بينهما ببناء محكم جداً، حتى ارتفع الماء فحكم على أعالي الجبلين، وغرسوا فيهما البساتين والأشجار المثمرة الأنيقة، وزرعوا الزروع الكثيرة.

ويقال: كان أول من بناه سبأ بن يعرب، وسلط إليه سبعين وادياً يفد إليه، وجعل له ثلاثين فرضة يخرج منها الماء، ومات ولم يكمل بناؤه، فكمّلته حمير بعده، وكان اتساعه فرسخاً في فرسخ.

وكانوا في غبطة عظيمة، وعيش رغيد، وأيام طيبة، حتى ذكر قتادة وغيره أن المرأة كانت تمر بالمكتل على رأسها؛ فتمتلئ من الثمار ما يتساقط فيه من نضجه وكثرته.

(١) سورة سبأ - الآيتان ١٦ ، ١٧ .

وذكروا أنه لم يكن في بلادهم شيء من البراغيث، ولا الدواب المؤذية،
 لصحة هوائهم، وطيب فنائهم، كما قال تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ
 شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ } (١)

فلما عبدوا غير الله، وبطروا نعمته، وسألوا بعد تقارب ما بين
 قراهم، وطيب ما بينها من البساتين، وأمن الطرقات، سألوا أن يباعد بين
 أسفارهم، وأن يكون سفرهم في مشاق وتعب، وطلبوا أن يبدلوا بالخير
 شراً، كما سأل بنو إسرائيل بدل المن والسلوى: البقول، والقثاء، والفوم،
 والعدس، والبصل، فسلبوا تلك النعمة العظيمة، والحسنة العظيمة، بتخريب
 البلاد، والشتات على وجوه العباد، كما قال تعالى: { فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا
 عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ }

قال غير واحد: أرسل الله على أصل السد الفار، وهو الجرذ، ويقال: الخلد،
 فلما فطنوا لذلك أرسدوا عندها السنائير، فلم تغن شيئاً، إذ قد حم القدر،
 ولم ينفع الحذر، كلا لا وزر، فلما تحكم في أصله الفساد، سقط وأنهار،
 فسلك الماء القرار، فقطعت تلك الجداول والأنهار، وانقطعت تلك الثمار،
 ومادت تلك الزروع والأشجار، وتبدلوا بعدها برديء الأشجار والأثمار، كما

قال العزيز الجبار: { وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَى أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثَلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ } .

قال ابن عباس، ومجاهد، وغير واحد: هو الأراك، وثمره البربر، وأثل وهو: الطرفاء، وقيل: يشبهه، وهو حطب لا ثمر له { وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ } وذلك لأنه لما كان يثمر النبق، كان قليلاً مع أنه ذو شوك كثير، وثمره بالنسبة إليه كما يقال في المثل: لحم جبل غث، على رأس جبل وعر، لا سهل فيرتقى، ولا سمين فينتقى.

ولهذا قال تعالى: { ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ } أي: إنما نعاقب هذه العقوبة الشديدة من كفر بنا، وكذب رسلنا، وخالف أمرنا، وانتهك محارمنا.

وقال تعالى: { فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ } وذلك أنهم لما هلكت أموالهم، وخربت بلادهم، احتاجوا أن يرتحلوا منها، وينتقلوا عنها، ففارقوا في غور البلاد ونجدها، أيدي سبأ شذر مذر.

فنزلت طوائف منهم الحجاز، ومنهم خزاعة نزلوا ظاهر مكة، وكان من أمرهم ما سنذكره، ومنهم المدينة المنورة اليوم، فكانوا أول من سكنها. ثم نزلت عندهم ثلاث قبائل من اليهود: بنو قينقاع، وبنو قريظة، وبنو النضير، فخالفوا الأوس والخزرج، وأقاموا عندهم، وكان من أمرهم ما سنذكره.

ونزلت طائفة أخرى منهم الشام، وهم الذين تنصروا فيما بعد، وهم: غسان، وعاملة، وبهراء، ولخم، وجذام، وتنوخ، وتغلب، وغيرهم، وسنذكرهم عند ذكر فتوح الشام في زمن الشيخين رضي الله عنهما.

وقد ذكر محمد بن إسحاق في كتاب السيرة، أن أول من خرج من اليمن قبل سيل العرم عمرو بن عامر اللخمي، ولخم هو ابن عدي بن الحارث بن مرة بن ازد بن زيد بن مهع بن عمرو بن عريب بن يشجب ابن زيد بن كهلان بن سبأ. ويقال: لخم بن عدي بن عمرو بن سبأ، قاله ابن هشام.

قال ابن إسحاق: وكان سبب خروجه من اليمن فيما حدثني أبو زيد الأنصاري أنه رأى جرذاً يحفر في سد مأرب الذي كان يحبس عليهم الماء، فيصرفونه حيث شأؤوا من أرضهم، فعلم أنه لا بقاء للسد على ذلك، فاعتزم على النقلة عن اليمن، فكاد قومه، فأمر أصغر ولده إذا أغلظ عليه ولطمه، أن يقوم إليه فيلطمه، ففعل ابنه ما أمره به.

فقال عمرو: لا أقيم ببلد لطم وجهي فيه أصغر ولدي، وعرض أمواله، فقال أشراف من أشراف اليمن: اغتتموا غضبة عمرو فاشتروا منه أمواله، وانتقل في ولده وولد ولده.

وقالت الأزد: لا نتخلف عن عمرو بن عامر، فباعوا أموالهم وخرجوا معه، فساروا حتى نزلوا بلاد عك، مجتازين يرتادون البلدان، فحاربهم عك، فكانت حربهم سجالاً، ففي ذلك قال عباس بن مرداس:

وعك بن عدنان الذين تلعبوا بغسان حتى طردوا كل مطرد

قال: فارتحلوا عنهم، فتفرقوا في البلاد، فنزل آل جفنة بن عمرو بن عامر الشام، ونزل الأوس والخزرج يثرب، ونزلت خزاعة مرأ، ونزلت أزد السراة السراة، ونزلت أزد عمان عمان.

ثم أرسل الله تعالى على السد السيل فهدمه، وفي ذلك أنزل الله هذه الآيات. وقد روي عن السدي قريب من هذا.

وعن محمد بن إسحاق في روايته أن عمرو بن عامر كان كاهناً. وقال غيره: كانت امرأته طريفة بنت الخير الحميرية كاهنة، فأخبرت بقرب هلاك بلادهم، وكأنهم رأوا شاهد ذلك في الفأر الذي سلط على سدهم،

ففعّلوا ما فعلوا، والله أعلم. وقد ذكرت قصته مطولة عن عكرمة، فيما رواه ابن أبي حاتم في التفسير^(١).

فكان كل نبي يركز علي شيء في قلوب الناس، لأن كل شيء من دون الله طاغوت، فيقوم النبي بالدعوة إلى الله وتوجيه قلوب الناس إلى الله وهدم الطاغوت الذي في قلوبهم.

ولكن بالحكمة لأن القلوب غير مهيأة، وعلوم الغيب كلها غيبية فالقلوب تحتاج إلى تنظيف وتهياة: لآله (تنظيف وتهياة وتخلية) إلا الله (تخلية).

علي الداعي ألا ينظر إلي أشياء الناس، قال تعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُمَدِّنْ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾^(١).

(١) البداية والنهاية الجزء الثاني.

(٢) سورة التوبة - الآية ٥٥.

(٣) سورة التوبة - الآية ٨٥.

وقال تعالى: ﴿لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿لَا يَغُرَّتْكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ * لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ﴾^(٢).

أول مرحلة من مراحل المعرفة بالله هي كلمات، قال تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰ آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾^(٣).

فأول الطريق لآدم مع ربه (التوبة) وهي أول عتبة لسعادته، علمه كلمات يدعو بها ، وهذه الكلمات ممزوجة بالبكاء والتضرع إليه أربعين سنة.

وقال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾^(٤).

(١) سورة طه _ الآية ١٣١.

(٢) سورة الحجر _ الآية ٨٨.

(٣) سورة آل عمران _ الآيات من ١٩٦ : ١٩٨.

(٤) سورة البقرة _ الآية ٣٧.

فأول درجة يسلكها العبد في الوصول إلى الله تعالى هي (المعرفة) .
 المعرفة: هي إيمان بعلم بدهي ، بأنك تعلم بأنك وما تملكه لا تساوي شيء ،
 وأن الله بيده كل شيء ، وأن تعرف أن قضية الدين هي قضيتك، خلقت من
 أجلها، قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا
 رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ (٢) .

النزعة الفردية:

النبي (القدوة) محمد ﷺ خرج يدعو الناس من أجل نفسه، لأن القضية
 قضيته، فالله عز وجل قال له: يا محمد أعلن لماذا تدعو ؟ ولماذا تحتهد؟
 ولماذا تضحي؟

قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ
 * مَنْ يُصْرِفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴾ (٣) .
 وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ لَا أَنْ تَبْتَئَكَ لَقَدْ كِدْتَ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئًا
 قَلِيلًا * إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ
 عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴾ (١) .

(١) سورة البقرة _ الآية ١٢٤ .

(٢) سورة فصلت _ الآية ٤٦ .

(٣) سورة الأنعام _ الآية ١٦ .

فإن الله عز وجل يخوف النبي محمد ﷺ كما يخوف بلال ؓ، فكان رسول الله ﷺ أخوف الناس وأعبد الناس وأتقى الناس وأكرم الناس وأحلم الناس وأعلم الناس، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه يقول جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي صلى الله عليه وسلم فلما أخبروا كأنهم تقالوها فقالوا وأين نحن من النبي صلى الله عليه وسلم قد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر قال أحدهم أما أنا فإني أصلي الليل أبدا وقال آخر أنا أصوم الدهر ولا أفطر وقال آخر أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبدا فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فقال : " أنتم الذين قلتم كذا وكذا أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له لكني أصوم وأفطر وأصلي وأرقد وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني " متفق عليه^(١) .

فالنبي ﷺ من باب الخوف والرجاء والشفقة علي نفسه وعلي الخلق دعا إلى الله، ومع أن الأمة كلها دخلت في رحمة الله بسببه، فكذلك رحم ﷺ بهداية الأمة التي من أجلها قدم التضحيات.

(١) سورة الإسراء _ الآيتان ٧٤ ، ٧٥ .

(٢) مشكاة المصابيح _ باب الاعتصام بالكتاب والسنة ١ / ٥٢ .

وأبو بكر الصديق رضي الله عنه دعا الناس إلى الله، لأن القضية قضيته هو، فهو خرج ودعا الناس إلى الله من أجل نفسه أولاً ثم من أجل البشرية ثانياً. أحياناً ينتفع الداعي فقط بدعوة الناس، ولا ينتفع المدعو حيث أنه لا يستجيب لدعوة الداعي، وهكذا تأتي المنفعة بالنزعة الفردية، حيث تشعر أنت أيها الداعي أنك أنت المحتاج.

فالطبيب لماذا يتعلم الطب؟ بالطبع ليكون طبيباً ويتحصل على المنصب والراتب، فهو أراد أن ينتفع هو، ولكنه في الحقيقة سينفع الآخرين. فهكذا أنت تخرج داعياً الناس إلى الله من أجل نفسك أنت، وتشعر بالحقيقة أنك أنت المحتاج.

بسبب خوفك من الله تخرج إلى الناس، ومن باب رجاء ثواب الله تخرج إلى الناس لتدعوهم إلى الله، تستفيد وتفيد.



الله جَلَّالَهُ

خالق الأشياء والأحوال

قال تعالى: ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَاعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾^(١).

خالق الأشياء وخالق الأحوال، خالق كل شيء... خالق عزتك، وخالق ذلتك، خالق نصرتك، وخالق هزيمتك، خالق جنتك، وخالق نارك، خالق سعادتك، وخالق شقاوتك، خالق السعادة وخالق الشقاء.

وناصية المخلوق بيد خالقه: ﴿أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾^(٣) المخلوق خلق من أجل أن يجند للخالق سبحانه وتعالى، لا يمكن أن تجند مخلوق لك، جلدك هذا يشهد من أجل الله لا من أجلك، إذا

(١) سورة الأنعام - الآية ١٠٢.

(٢) سورة الكهف - الآية ١٠٢.

(٣) سورة الفتح - الآية ٤.

استشهده الله عليك شهيد، وإذا استنطقه نطق.. فأَيُّ أرضٍ تسعنا وأي سماءٍ
تُقلِّنا إن سخط الله علينا.

خالق كل شيء خالق الأشياء والأحوال من أجل أن يبلونا بالأشياء و
الأحوال، يخلق الأحوال للابتلاء ويوفقك للإيمان والأعمال ليسعدك، قال
تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾^(١) وما قال: لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ
حَالًا؟؟؟ .

الأحوال ظروف والمظروف الأعمال الصالحة، فلا يسعد الإنسان بأحواله
ولا يشقى بأحواله.. خلق حال الغنى ليبتليكم لا ليسعدك وخلق حال الفقر
ليبتليكم لا ليشقيكم، قال تعالى: ﴿وَنَبْلُوَكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا
تُرْجَعُونَ﴾^(٢) نبلوكم بحال الشر في الدنيا وحال الخير.

فليست رسالتنا التَّجَمُّلُ بالأحوال، وليس رسالتنا التَّرقِي بالأحوال،
والتَّرقِي بالعَفْشِ والكنبيات، ليس رسالتنا أن نتخلص من حال الفقر لأن فيه
ذِلَّةٌ ونتمتع بحال الغنى لأن فيه عِزَّةٌ، فما أعزَّ قارون بغناه ولا أذلَّ يوسف
في سجنه وفقره.

(١) سورة الملك _ الآية ٢.

(٢) سورة الأنبياء _ الآية ٣٥.

يا أيها الأحبة لله سنن في هذه الدنيا يعطيك حال، ولكن من سنته يستحيل تثبيت الأحوال، يعطيك الصحة ثم تصاب بالمرض يعطيك الحياة ويستحيل تثبيت حال الحياة ، بلحظة وإذا هو ميت ((فلا فقرٌ يدوم ولا ثراء)).

فمن سنن الله في هذه الدنيا ((تثبيت الأحوال محال)) كما يقلب الليل والنهار يقلب الأحوال.. فقير وبساعة وإذا هو غني، غني وبلحظات وإذا هو فقير، صحيح وبلحظات وإذا هو مريض أصابته الجلطة ونقل إلى المستشفى، فليس رسالتنا تثبيت الأحوال، بل رسالتنا، كما قال تعالى: ﴿اهدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(١) تثبيت الاستقامة، تثبيت الأعمال، تثبيت قيام الليل، تثبيت كيف تعيش الحياة الدعوية وحتى يوم القيامة، تثبيت الكلام الطيب، تثبيت الفكر الطيب، رسالتنا مقصد حياتنا في كل حال في حال المرض تقول اهدنا لا نقول في حال المرض اشفنا، الشفاء حاجتنا والهداية مقصد حياتنا.. في حال الفقر لا نقول أغننا من الفقر بل اهدنا الصراط المستقيم.. وفي حال السجن لا نقول يا الله أطلق سراحنا بل اهدنا.

فالله سبحانه وتعالى جعل مقصد المسلم في كل حال طلب الهداية وطلب الرضا من الله ، يا الله كيف في كل حال ترضى عنا ، يا الله كيف في كل حال أتكلم الكلام الذي يرضيك ، وأعمل العمل الذي يرضيك ، فخلق الله الأحوال

(١) سورة الفاتحة _ الآية ٦.

ومستحيل تثبيت الأحوال في الدنيا ، وخلق الأحوال في الآخرة لتثبت حال الشباب يثبت حال الملذات يثبت وحال الحياة يثبت ما في موت، حال العز يثبت.

ما خلقنا في هذه الدنيا حتى نعيش حال ونحافظ عليه ((فلا تقريدم ولا

ثراء)) فتثبيت الأحوال محال ربح نفسك، فممكن الدنيا ترفعك لكن بعدها تنزلك وتكسر رأسك، لكن حال الرفعة في الجنة يدوم ترفعك وتظل مرفوع، ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾^(١) إذا الفرش مرفوعة، فكيف القصور؟؟ ما معنى الفرش مرفوعة؟؟ ليس بحسب عقلك مرفوعة، الذي قال مرفوعة ربنا العظيم، آلاف

(١) سورة الواقعة_ الآية ٣٤ .

(فيها سرر مرفوعة) أي عالية ناعمة كثيرة الفرش مرتفعة السمك عليها الحور العين قالوا فإذا أراد ولي الله أن يجلس على تلك السرر العالية تواضعت له. (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ) أي عالية وطيبة ناعمة.

قال النسائي وأبو عيسى الترمذي (٢٥٤٠) حدثنا أبو كريب حدثنا رشدين بن سعد عن عمرو بن الحارث عن دراج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ) قال ارتفاعها ما بين السماء والأرض ومسيرة ما بينهما خمس مئة عام ثم قال الترمذي هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث رشدين بن سعد قال وقال بعض أهل العلم معنى هذا الحديث ارتفاع الفرش في الدرجات وبعد ما بين الدرجتين كما بين السماء والأرض . (وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ) قال ارتفاع فراش الرجل من أهل الجنة مسيرة ثمانين سنة. (تفسير ابن كثير)

الأميال وتتطامن لك كما يتطامن البعير لصاحبه حتى يركبه، إذا الفرش مرفوعة كيف قصورها؟؟.

فتثبتت الأحوال في الدنيا محال.. هذه أول سنه والسنة الثانية: الترقى بالأحوال في الدنيا محال، فلما تنتقل من فقر إلى غنى لا تترقى عند الله، بل تترقى عند زوجتك تقبلك على جبينك أما عند الله ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرَّبُكُمْ عِنْدَنَا زُلْفَى﴾^(١).

كيف يا رب أترقى وأتقرب إليك؟

قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرَفَاتِ آمِنُونَ﴾^(٢) هات إيمان وأعمال ثم خذ درجات.

السنة الأولى تثبتت الأحوال محال والسنة الثانية الترقى بالأحوال محال.... فلا تترقى بجمال ملبوسك ولذيذ طعامك وعظيم مركبك فمثل ما قالوا: كلب ركبنا بالطائرة بالدرجة السياحية الأولى وجاءت المضيفة وشدت الحزام على بطنه وقدمت له اللحم وقالت يا سيدي هل يصبح سيد ولا يبقى كلب؟؟ بل يبقى كلب، فهذا الكلب لو احترمه الإنسان لا يترقى، والأسد إذا جاع يبقى أسد فالأسد بصفاته يترقى والكلب بصفاته والإنسان بصفاته، الكلب

(١) سورة سبأ- الآية ٣٧ .

(٢) سورة سبأ- الآية ٣٧ .

كلب بصفاته ليس بمأكله يأكل اللحم والأسد يأكل اللحم، والأسد أسد بصفاته،
والمسلم مسلم بصفاته يترقى ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ
الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ﴾^(١).

بسبب هذه الصفات الله أعطاهم الدرجات العالية في الجنة ليس الأكالون
الشرابون الذين اشتروا السرور وغرف النوم.

ربنا من فوق عرشه يمجّد هذه الصفات ﴿الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ﴾^(٢) وبشر هؤلاء بالترقية
وبشرهم بالمجد وبشرهم بمحبة الله لهم ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

فمن قبل حصير وينام عليها مثل الأسد له زئير، والآن غرف نوم وينام
عليها الأكالون الشرابون اللعابون الغافلون عن دين الله.
تثبيت الأحوال محال والترقي بالأحوال محال فلا يسعد الغني بغناه ولا
يشقى الفقير بفقره.

فالنار فيها كل الأحوال فيها الملك الذي كان يعص الله، والمملوك الذي
كان يعص الله، والأعمى الذي يعص الله، ليس الأعمى مسكين إذا كان يعص

(١) سورة التوبة- الآية ١١٢ .

(٢) سورة التوبة- الآية ١١٢ .

(٣) سورة التوبة- الآية ١١٢ .

الله مجرم ليس مسكين والبصير الذي يعص الله والصحيح الذي يعص الله والمريض الذي يعص الله والمثلول الذي يعص الله.

والجنة فيها كل الأحوال: الملك الذي كان يطيع الله، والمملوك الذي يطيع الله، والأعمى الذي يطيعه، والبصير الذي يطيعه، والصحيح الذي يطيعه، والمريض الذي يطيعه ((فالأحوال للابتلاء والأعمال للنجاة)) كيف ننجو؟؟ ليس بالأحوال بل بالأعمال.

ليل ونهار تأخذ شهادات ودكتوراه وتوسع فكرك في الدنيا حتى البيت تبنيه، فأفكارنا تخدم كيف الترقى بالأحوال.. وعند الموت حالنا واحد قبرك مثل قبري لا قبري أكبر من قبرك! ولا قبرك أكبر من قبري!.

وتبدأ الأحوال التي تثبت فالأحوال التي نترقى بها، أحوال القبر، أحوال الحشر، أحوال الجنة، فالذي تظله مظلة العرش والشمس يوم القيامة لا تحرقه يا الله ما أحسن حاله، والقاعد عند المكيف في الدنيا مبسوط إنما هذا الحال للابتلاء لا نحمده ولا نقبحه فلا نقبح الأحوال ولا نحمدها.

لكن ربنا حمد صفة ﴿ وَيَذَرُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ ﴾^(١) بصرف النظر عن حاله لو نام على غرفة النوم وفيه هذه الصفة يذرون بالحسنة السيئة مرحباً به، ولو نام على حصير وما فيه هذه الصفة لا مرحباً به.

قال تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ

(١) سورة القصص _ الآية ٥٤ .

(١) .

أكل لحمه طرية وخشع في صلاته مرحباً به وأكل خبز يابس وما خشع في صلاته لا مرحباً به.. لا نقبح الأحوال ولا نحمدها، فالنبي ﷺ كان إذا وجد لحمًا لا يقول لا آكل لحم بل يأكل، وإن وجدَ خلًا يأكل ويقول نعم الأدم الخل، كما في الحديث عن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما : أن النبي - ﷺ سأل أهله الأدم ، فقالوا: ما عندنا إلا خل . فدعا به ، فجعل يأكل منه ، ويقول : " نعم الأدم الخل ، نعم الأدم الخل " رواه مسلم^(٢) فنحمد الله على كل حال.

فإذا شكوت الأحوال شكوت ربك، وإذا شكوت الأعمال شكوت نفسك، عندما تقول ما هذا الحال؟؟ وكأنك تقول ما هذا الرب، لكن قول لماذا ديني ناقص، ما عندي خشوع في الصلاة، ما عندي ذكر ولا تلاوة قرآن ، الناس تخرج وأنا لا أستطيع الخروج، والناس يقوموا الليل وهم كبار في السن، وأنا شاب لا أستطيع القيام، يا الله أشكو لك عجزتي وكسلي: فقد روى الحاكم والبيهقي عن أنس أن النبي ﷺ كان يقول: "اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل والجبن والبخل والهرم والقسوة والغفلة والعيلة والذلة والمسكنة، وأعوذ بك من الفقر والكفر والفسوق والشقاق والنفاق والسمعة

(١) سورة المؤمنون _ الآيتان ١ ، ٢ .

(٢) صحيح مسلم _ باب فضيلة الخل والتأدم به.

والرياء، وأعوذ بك من الصمم والبكم والجنون والجذام والبرص وسوء الأسقام ". قال الألباني صحيح .

وورد بعض هذه الأدعية في عدة أحاديث في الصحيحين والسنن، ففي صحيح البخاري عن أنس بن مالك قال: كان النبي ﷺ يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال ".

وفي سنن أبي داود عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الفقر والقلة والذلة وأعوذ بك من أن أظلم أو أظلم ". وفيها أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ كان يدعو يقول: " اللهم إني أعوذ بك من الشقاق والنفاق وسوء الأخلاق. اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن والعجز والكسل والجبن والبخل... ".^(١) ليس من المرض.

(١) وأما مفهوم هذه الأدعية والمراد بها، فقال صاحب عون المعبود: (اللهم إني أعوذ بك من الفقر) أي من قلب حريص على جمع المال أو من الذي يفضي بصاحبه إلى كفران النعمة في المال ونسيان ذكر المنعم المتعال، وقال الطيبي: أراد فقر النفس أعني الشره الذي يقابل غنى النفس الذي هو قناعتها. (والقلة): القلة في أبواب البر وخصال الخير، لأنه عليه الصلاة والسلام كان يؤثر الإقلال في الدنيا ويكره الاستكثار من الأعراض الفانية. (والذلة) أي من أن أكون ذليلاً في أعين الناس بحيث

هكذا إذا شكونا الأعمال شكونا أنفسنا وظلمنا أنفسنا، لكن إذا شكوت الأحوال شكوت ربك وكأنتك تقول ما هذا الرب، فما أحسنك عندما تشكو الأعمال، فعندها ربنا يأخذ بيدك ويغفر لك سوءها ويهديك إلى أحسنها.

أيها الأحبة هذا العصر عصر التفاني لتحقيق الدنيا فمن أجل البيت الجميل لا تحدد أربعين يوم شغل بل تسلّم نفسك للخليج عشرين سنة، ومن

يستخفونه ويحقرون شأنه، والأظهر أن المراد بها الذلة الحاصلة من المعصية أو التذلل للأغنياء على وجه المسكنة، والمراد بهذه الأدعية تعليم الأمة. انتهى.

وقال أيضاً: (أعوذ بك من الشقاق): أي من مخالفة الحق، ومنه قوله تعالى: {بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ}، (والنفاق): أي إظهار الإسلام وإبطان الكفر، وقال الطيبي: أن تظهر لصاحبك خلاف ما تضره، وقيل: النفاق في العمل بكثرة كذبه وخيانة أمانته وخلف وعده والفجور في مخاصمته. انتهى. وقال المناوي في فيض القدير: (استعينوا بالله من الفقر والعيلة) من أعال كثرة عياله والووا بمعنى مع أي الفقر مع كثرة العيال فإن ذلك هو البلاء الأعظم. انتهى..

وفي شرح النووي على مسلم: وأما (العجز) فعدم القدرة عليه، وقيل: هو ترك ما يجب فعله، والتسويق به وكلاهما تستحب الاستعاذة منه.

أما استعاذته صلى الله عليه وسلم من الهرم، فالمراد به الاستعاذة من الرد إلى أرذل العمر كما جاء في الرواية التي بعدها، وسبب ذلك ما فيه من الخرف، واختلال العقل والحواس والضبط والفهم، وتشويه بعض المناظر، والعجز عن كثير من الطاعات، والتساهل في بعضها.

وأما استعاذته صلى الله عليه وسلم من الجبن والبخل، فلما فيهما من التقصير عن أداء الواجبات والقيام بحقوق الله تعالى، وإزالة المنكر، ولأنه بشجاعة النفس وقوتها المعتدلة تتم العبادات، ويقوم بنصر المظلوم والجهاد، وبالسلامة من البخل يقوم بحقوق المال، وينبثق للإتفاق والجود لمكارم الأخلاق، ويمتنع من الطمع فيما ليس له.. قال العلماء: واستعاذته صلى الله عليه وسلم من هذه الأشياء لتكمل صفاته في كل أحواله وشرعه أيضاً تعليماً. وفي هذه الأحاديث دليل لاستحباب الدعاء، والاستعاذة من كل الأشياء المذكورة وما في معناها. انتهى.

وأما السمعة فهي التنويه بالعمل وتشهيره ليراه الناس ويسمعوا به، والفرق بينها وبين الرياء أن الرياء يتعلق بحاسة البصر والسمعة تتعلق بحاسة السمع، كما أفاده في عمدة القاري.

أجل تحسين أعمال تخرج ثلاث أيام بشق الأنفس، تُقْتَرَّ تَقْتِيرٌ عَلَى التَّرْقِي بِالْأَعْمَالِ.

فكيف يأتي عندنا فكر الأنبياء، وهمَّ الأنبياء، وأعمال الأنبياء، نخرج فقط ثلاث أيام ولكن كيف نشترى كناية جميلة والسيارة الطيبة تقدم شيك مفتوح إذا تريد سنتين مستعد عشر سنوات وإذا فنشوك تغضب (يعني إذا أنهوا عملك لترجع إلي بلدك)، فنشكو الله مصيبتنا في هذا الزمان ومصيبة أولادنا وأزواجنا الكل هكذا، وإذا أردت أن تفهم الناس هذا الأمر فأول ما يقف في وجهك زوجتك تقول لك ما بالك، دَرَوْشَتْ؟؟

فإذا عشنا بيئة الأعمال الإيمانية الكل يترقى بالأعمال، وعندما نخرج في سبيل الله بسبب قوة البيئة الإيمانية يستحي الواحد أن يسألك كم راتبك؟؟. تجد الكل يسأل عن الدين، إذاً لابد أن نعيش في بيئة الأعمال حتى نترقى بالأعمال، لكن عندما نعيش في بيوتنا وكأنك بتناطح صخر، فنهرب من بيئة الأشياء إلى بيئة الأعمال من بيئة سيارتي وثلاجتي إلى بيئة جولة في سبيل الله زيارة دعوة تعليم، من بيئة النسبة لأنفسنا (لي، عندي، حقي، ملكي) إلى بيئة النسبة إلى ربنا (له، له) وليس (لي)، عندما تقول (لي) تصبح مثل فرعون ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكٌ مِصْرَ﴾^(١). لكن الذي فهم، ماذا يقول ﴿قُلْ لَا

(١) سورة الزخرف_ الآية ٥١ .

﴿أَمْلِكُ لِنَفْسِي﴾^(١). هو المالك وليس أنا. فنخرج حتى نترقى من كلمة (عندي، عندي) إلى كلمة عنده ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ﴾^(٢). هذا هو الفكر الطيب ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ﴾^(٣). تترقى من كلمة (بيدي) بيدي عشرين ألف درهم إلى ﴿بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾^(٤) بيده ملك السماوات والأرض.

هكذا قبل الموت إذا ما كان عندك أعمال ترقيك، رحت في داهية خطر عليك، لأنه إما عملك يرفعك وإما عملك يضعك، لا نسبك يرفعك ولا نسبك يضعك، ما الذي يجعل الإنسان يهوي في جهنم سبعين خريفاً؟ أعماله، وما الذي يجعل الإنسان يرتفع في قصور الجنة؟ أعماله.

لماذا خلقنا الله ﷻ ؟

هل قال الله : ليلوكم أيكم أسوء عملاً؟؟ لا ، بل قال: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾^(٥) عندما ينتهي حسن العمل تنتهي الدنيا فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ

(١) سورة الأعراف_ الآية ١١٨ .

(٢) سورة الأنعام _ الآية ٥٩ .

(٣) سورة الحجر_ الآية ٢١ .

(٤) سورة يس _ الآية ٨٣ .

(٥) سورة الملك _ الآية ٢ .

: " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله .. الله " وفي رواية :
 " لا تقوم الساعة على أحد يقول الله .. الله (١) . رواه مسلم (٢) .

وعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " لا تقوم الساعة حتى لا
 يقال في الأرض لا إله إلا الله " رواه الحاكم (٣) .

وعنه رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " والذي نفسي بيده لا تقوم
 الساعة على رجل يقول لا إله إلا الله ويأمر بالمعروف وينهى عن
 المنكر " رواه الحاكم (٤)

فالجامعات لا تفتح حتى تخرج الراسبين بل حتى تخرج الناجحين
 ليعلموا الأمة.

لو نسبة النجاح عشرة بالمئة، لا بأس من أجل عشرة بالمئة تبقى
 الجامعات مفتوحة، لكن جامعة لا أحد ينجح فيها تغلق، فما دام في الأرض
 واحد يقول الله ربنا يفرح بهذه الدنيا، فيها من يعطي جوهرة لله.

(١) قال القرطبي : قال علماؤنا رحمة الله عليهم : قيد " الله " برفع الهاء ونصبها ، فمن رفعها
 فمعناه: ذهاب التوحيد ، ومن نصبها فمعناه : انقطاع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أى لا تقوم
 الساعة على أحد يقول : اتق الله . فإذا أراد الله زوال الدنيا قبض أرواح المؤمنين وانتزع هذا الاسم
 من السنة الجاحدين وفجأهم عن ذلك الحق اليقين (كتاب التذكرة - ص ٧٩٨)

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي - باب ذهاب الايمان آخر الزمان ١٧٨/٢ .

(٣) في مستدركه - باب الفتن والملاحم - ٤ / ٤٩٤ .

(٤) المرجع السابق - ٤ / ٤٩٥ .

فجمال الأعمال الطيبة (جواهر) ليست لك بل عند ربنا، كما جوهر الله الذهب والفضة لعينك جوهر الأعمال له، فمن يحدد قيمة جواهر الدنيا؟ التي خلقت من أجل الإنسان، فإذا مات كل البشر لا يصبح لهذه الجواهر قيمة لأن الحمار لا يعرف قيمة الجواهر، فلو وضعت أمام الحمار جوهرة وروثة بقر لا يشم الجوهرة ويفرح بها، فتسقط قيمة الجواهر إذا ما اشتراها الإنسان، وتسقط قيمة هذه الجلسة الإيمانية (الأعمال) إذا ما تقبلها ربنا.

فالأعمال الطيبة لها قيمة عند الله، والسيارة الطيبة لها قيمة عند الناس، لكن بسمتك الطيبة لا أحد من الناس يعطيك أجر عليها، لكن لو تقبلها الله ﷻ تصبح لها قيمة عظيمة، الله تعالى يقول يوم القيامة: "أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي" رواه مسلم عن أبي هريرة. (١).

وعن أبي إدريس الخولاني رحمه الله قال دخلت مسجد دمشق فإذا فتى براق الثنايا وإذا الناس معه فإذا اختلفوا في شيء أسندوه إليه وصدروا عن رأيه فسألت عنه فقليل: هذا معاذ بن جبل، فلما كان من الغد هجرت فوجدته قد سبقني بالتهجير، ووجدته يصلي فانتظرت حتى قضى صلاته ثم جئته من قبل وجهه فسلمت عليه ثم قلت: والله إني لأحبك لله! فقال: آله؟ فقلت: الله.

(١) رياض الصالحين _ باب فضل الحب في الله والحث عليه وإعلام الرجل من يحبه وماذا يقول له إذا أعلمه.

فقال: آله؟ فقلت: الله. فأخذ بخبوة ردائي فجبذني إليه فقال أبشر فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: قال الله تبارك وتعالى: وجبت محبتي للمتحابين في، والمتجالسين في، والمتزاورين في، والمتبازلين في حديث صحيح رواه مالك في الموطأ بإسناده الصحيح^(١).

كم قيمة هذه الأعمال، ولهذا: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾^(٢) عندما تقول خرج الملك ليشتري فلا يمكن الملك يخرج ليشتري البصل والفجل يرسل الخادم، لكن متى يشتري؟ الجواهر والنفائس والذهب الذي يريد، فلما قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾^(٣) افهم من هذا أن أعمالك أصبحت مجوهرات اشتراها ربنا.

وهذه الأعمال الطيبة في الدنيا لا قيمة لها! ليس هناك حكومة تعطيك راتب لأن كلامك طيب، يا حكومة كلامي طيب أعطيني راتب، أو نومتي طيبة أعطيني راتب، أو أنا أحبك يا أيها الغني أعطني راتب.. لكن محبتك لله جوهرة، رغبتك في ما عند الله جوهرة، جلستك معي والمحبة المتبادلة جوهرة، سبحان الله من فمك جوهرة، فمتى تكون رسالتنا في الدنيا نخرج

(١) المرجع السابق.

(٢) التوبة - الآية ١١١ .

(٣) التوبة - الآية ١١١ .

بهذه الجواهر من الدنيا إلى الآخرة لكن الأشياء تستطيع أن تخرج كيلو سكر من الدنيا إلى الآخرة ؟ فتخرج العفش والأثاث من الدنيا إلى الآخرة ؟ لا.

فالتلقي بالأحوال المحال فلماذا ربنا خلق الأحوال ؟ لأن الأحوال ظروف والمظروف الأعمال... قالوا: صائغ ذهب، تأتيه امرأة تقول أريد خاتم وامرأة أخرى تريد سوار ورجل يريد أن يشتري لزوجته سحَّاب (عقد) فيعمل قوالب مختلفة من الذهب فإذا أراد خاتم صغر القالب، وإذا أراد سوار جعله مستدير واسع، وإذا أراد صنع سحَّاب جعله طويل، هكذا حتى تخرج أنواع من الجواهر، والعبودية جواهر فإذا أراد ربنا ﷻ أن يستخرج عبودية الصبر أعطاك حال مخالف.

ما قال في حق سيدنا أيوب ﴿ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴾^(١) وأعطاه الصحة مليحة، لكن سَلَّطَ عليه المرض حتى يَسْتَخْرِجَ عبودية الصبر.

وإذا أراد الله جوهرة أخرى مثل عبودية الشكر أعطاك حال الغنى والحال الموافق.

وإذا أراد عبودية الحلم ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴾^(٢) الحلم جوهرة، قَدَّرَ عليك أن تخرج في سبيل الله وتقابل واحد سفيه حتى يستخرج

(١) سورة ص - الآية ٤٤ .

(٢) سورة هود - الآية ٧٥ .

عبودية الحلم، ولا يمكن أن تستخرج عبودية الحلم ونحن مع بعض حلیم مع حلیم، فلما ترى واحد سفيه يسبك ويشتمك لا تقول ما أسوء هذا الحال وما هذه البلوى؟ بل أفرح وأقول هذا وقت عبودية الحلم.

وإذا أراد الله جوهرة التعليم أرسل إليك واحد جاهل حتى تعلّمه الدين، فلما ترى واحد لا يعرف سورة الفاتحة وقال لك: أرجوك أقرئني، لا تقول لا حول ولا قوة إلا بالله، وبعدها تقرئه عشر مرات وتملّ وهو لا يعرف يصححها بل أقرئه خمسين مرة وافرّح وقل هذا وقت عبودية التعليم.. فلو لا الفقير ما كانت عبودية الصدقة، على من سوف تتصدق؟ على الغني؟!

وهكذا الأحوال ظروف والمظروف العبادة.. ففي كل حال الأمة تقول ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(١) في حال المرض {إِيَّاكَ نَعْبُدُ} فكل عبادة حال ولكل حال عبادة، ولكل عبادة وقت ولكل وقت عبادة، لهذا الفقيه ليس الذي يقرأ الكتب ويحفظها، بل الفقيه الذي يعرف في هذا الحال ما هي العبودية التي يحبها الله، في هذا الحال الذي أنا فيه ما هي العبودية التي يحبها الله؟ مثال: جاعك ضيف وأنت تقرأ القرآن وما كملت الجزء اليومي وتريد أن تكمل الجزء فمن أحسن عبودية الآن أن تكمل الجزء أم ترحّب بالضيف؟ إذا جاء حال الضيف أترك عبودية التلاوة وهات عبودية الكرم أحضر الطعام والشراب.

(١) سورة الفاتحة _ الآية ٥ .

لكل حال عبادة ولكل عبادة حال: فلما نخرج نتعلم هذا الفقه ... نزور الغني

حال الغنى ونتعلم كيف أتكلم معه ونزور الفقير حال الفقر ونتعلم كيف أتكلم معه، وهكذا كيف نتحرك كيف نتصرف في كل وقت، فعبادة الليل غير عبادة النهار ، ما أجملك في النهار وأنت تطرق الأبواب لزيارة المسلمين فأحسن عبودية في النهار قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾^(١). تمشي إلى الناس وتحاسنهم.

وأحسن عبودية في الليل أن تقوم بين يدي الله وتدعو لنفسك وللناس وتتعلق بالله.

أحسن عبودية في الليل أن تقول يا كريم وفي النهار تتخلّق بالكرم، وأحسن عبودية في الليل تقول يا حلیم وفي النهار تتخلّق بالحلم، وفي الليل تقول يا ودود وفي النهار تتودد لعباد الله.

(١) سورة الفرقان - الآيات من ٦٣ : ٦٧.

وهكذا أيها الأحبة عندما أصبحت العبودية قراءة كتب لم نعد نتحرك لهذا ربنا جعل لنا حكمة، المعلومات الآن تخزن في حديدة صغيرة (إصبع الذاكرة) فمرة زرت دكتور في الجامعة أراني حديدة صغيرة قال فيها عشر آلاف كتاب، لكن الأعمال الطيبة تخزن؟؟ بسمتك تخزن؟؟ عواطفك تخزن؟؟ عواطف الخوف من الله تخزن؟؟ الرغبة في ما عند الله تخزن؟ فما في الصدر لا يخزن إلا في الصدر.

أعظم عبودية:

هي الإخلاص والتوجه إلى الله والخشوع والرغبة والرغبة في ما عند الله ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ﴾^(١) فالذي في صدرك من جواهر إيمانية ليس لها محل آخر إلا في صدرك والذي في عقلك خزنها في الحديدة..(فمعلوماتك خزنت لكن عواطفك التي يحبه الله وإيمانك ومقصد حياتك همك حزنك فرحك لا يستطيعوا أن يخزنوها).

فكيف نعطي الله هذه الجواهر من العبودية ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾^(٢) الأحسن من الخروج الفرح بالخروج، والأسوأ من السيئة والغيبة التلذذ بها والفرح بها.

(١) سورة العاديات _ الآية ١٠ .

(٢) سورة يونس _ الآية ٥٨ .

لهذا أفضل الأحوال ما كان سببه حمل دين الله وإحياء دين الله والالتزام بطاعة الله.

فن أحسن فقر؟؟

الفقر الذي سببه الدين وليس قلة الشغل، فأجمل فقر ذكر في القرآن الكريم ﴿لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾^(١).

ما هو سبب الفقر ليس قلة الشغل بل بسبب الإحصار في سبيل الله مثل فقر أهل الصفة، فسيدنا أبو هريرة رضي الله عنه وجد شغل لكن لو فتح دكان لذهبت الأحاديث التي سمعها من النبي ﷺ فما وصلنا من رسول الله معظمه كان عن طريق أذن أبو هريرة فقال حتى لا تضع الأمانة ويصلها حديث رسول الله ﷺ سأصبر على جوعي في سبيل الله.

وأحسن حال:

ما كان سببه الدين وأساء حال ما كان سببه الغفلة عن الدين.

وأحسن غنى:

ما كان سببه الدين وأساء غنى ما كان سببه الغفلة عن الدين، فمن أين جاءك الغنى؟؟ لأنك تركت الدعوة وتركت الجولة، وأربعة وعشرين ساعة

(١) سورة البقرة _ الآية ٢٧٣.

شغال في الدنيا ولم تسأل عن الجنة والنار وذهبت ترابي إلى البنوك الربويّة وتأكل الحرام فهذا شر حال.

فأحسن غنى ما كان سببه الدين فمن أين جاءت الغنائم للصحابة؟؟ بسبب جهادهم ودينهم.. فقرهم سببه الدين وغناهم سببه الدين لكن فقرنا سببه معصية الله وغنانا سببه معصية الله فبئس هذا الحال و بئس ذاك الحال..

فأجمل حال ليس جوع سببه المعصية بل جوع سببه الخروج في سبيل الله ﴿ وَلَنْبَلُوَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾^(١) فما أحسن الجوع بسبب الدين، وما أسوء الجوع عندما يكون عقاباً على المعاصي ويجفف الأرض بسبب معاصينا ويُجوِّعنا.

فأحسن حال ما كان سببه الدين ولما يأتي هذا الحال تملؤه بالدين وعندما ينتهي هذا الحال ينتشر الدين.. هذه أحسن الأحوال، فسبب فقر أهل الصفة، سببه الدين وملتوا الفقر ليس بالشكوى بل بالدين: ﴿ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أُحْصِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْباً فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ ﴾^(٢) بسبب المحافظة على سماع كلام رسول

(١) سورة البقرة - الآية ١٥٥.

(٢) سورة البقرة - الآية ٢٧٣.

الله ﷻ، وكيف ملئوه بالتَّعَفُّفِ { يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ } ليس الجاهل بربه بل الجاهل بأحوالهم يحسبهم { أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ }.

فأجمل حال ما كان سببه الدين، وملئوه بالدين، وكان بعد ذلك سبباً لنشر الدين في العالم، يا الله ما أجمل هذا الحال.
وأسوء حال ما كان سببه الغفلة عن الدين وتضييع الدين، يا الله ما أسوء هذا الحال.

فأجمل حال ما كان سببه الدين، بسبب الصحابة { الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ } كم استفدنا ؟!!!!.. وهو جائع بسبب الدين لا يسأل الناس لا بالتلميح ولا بالتصريح { لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا } ونحن مثل النور عندما نعيش هذا الفقر فنسأل الناس يا بالتصريح يا بالتلميح { لِلْفُقَرَاءِ } هذا أجمل فقر بالدنيا { الَّذِينَ أَحْصَرُوا } ليس من قلة الشغل بل أحصروا في سبيل الله وبسبب هذا الإحصار { لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسِبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ } لكن الذي عنده فِرَاسَة يستطيع أن يستنتج { تَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْافًا } هذا أجمل فقر.

وأجمل غنى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً﴾

﴿^(١) ليس الذين يُعَمَّرُونَ العمارات ويقهرون الفقراء ويتكبرون عن الخروج في سبيل الله.

فلا هذا الفقر موجود ولا هذا الغنى موجود، فإذا قلت للفقير تعال واخرج يقول أنا فقير أشغله فقره وإذا قلت لأصحاب المحلات التجارية تعال واخرج يقول كيف أخرج أربعين يوم وأترك عشرين محل يا رجل اتقي الله، فَشُغِلَ الفقير بفقره والغني بغناه عن دين الله.

فأجمل حال ما كان سببه الدين وأثناء الحال ينشغل بالدين وهذا الحال عندما ينتهي يكون سبباً في نشر الدين مثل أحوال الصحابة أجمل أحوال أحوالهم وأجمل فقر فقرهم وأجمل مرض مرضهم ففي أيام عمر رضي الله عنه من أجمل العصور العبودية انتشرت في أيامه وما في مظلوم في الأرض ومع هذا ربنا ابتلاهم بالطاعون، طاعونهم غير طاعوننا طاعونهم تسبب لهم بالشهادة ، جاءهم وهم ممتثلين لأمر الله ليس وهم مخالفين لأمر الله فببركة الطاعون احتضنت الأردن قبر أبي عبيدة رضي الله عنه واحتضنت هذه البلاد قبر شرحبيل رضي الله عنه.

ولو جاءنا الطاعون بحال الغفلة عن الدين فهذا ليس حال طيب بل مصيبة ليس لرفع الدرجات، فسيدنا يوسف دخل السجن والسارق يدخل

(١) سورة البقرة _ الآية ٢٧٤.

السجن، فالسارق عندما يدخل السجن بئس هذا الحال لأن سبب سجنه انه
 إنسان مجرم غير طيب لكن سبب سجن يوسف لماذا عفاً عن الزنا؟؟
 ﴿وَلَئِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا أَمَرُهُ لَيُسْجَنَنَّ﴾^(١) فقال يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ
 السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾^(٢) لأن السجن يسخطني والمعصية
 تسخطك يا رب، فقال يا الله سجن يسخطني ولا عمل يسخطك، لكنك تكذب
 سبعين كذبة حتى تخرج من السجن.

فإذا دخل السارق السجن بئس الحال لكن لو دخلت السجن بسبب أنك
 إنسان طيب وتدعو إلى الله نعم هذا الحال.
 فالعمل الصالح الذي يرضي الله والحال الصالح الذي يرضي الله ولو
 مخالف لنفسك، لأن أحوال الطاعة طاعة ولو مخالفة لنفسك، وأحوال
 المعصية معصية.

لهذا الجوع ليس عمل بل حال: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ
 وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ*

(١) سورة يوسف_ الآية ٣٢ .

(٢) سورة يوسف _ الآية ٣٣ .

الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ * أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١﴾

وقال تعالى: ﴿ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْؤُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢)

وهذه أحوال عطش وجوع وتعب ومخمصة، ومع هذه الأحوال الله يقول: { إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ } فتتحول الأحوال إلى أعمال..... فيوضع الجوع في سبيل الله في ميزان أعمالك، وهذه الأحوال في سبيل الله أثقل من الأعمال { إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ } وأعلى درجة { إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ } ترفعه إلى مرتبة الإحسان.

(١) سورة البقرة _ الآيات: ١٥٥: ١٥٧ .

(٢) سورة التوبة _ الآيات ١٢٠، ١٢١ .

فعندما تخرج في سبيل الله والناس يكرموك هذا حال طيب وتُأجر عليه
ولكن إذا خرجت في سبيل الله والناس يضربوك هذا حال أرقى عند الله.
النبي ﷺ يمر بكل الأحوال:

من خصائص نبينا ﷺ على سائر إخوانه من الأنبياء خصيصة عجيبة أنه
مرّ بكل الأحوال التي مرّ بها الأنبياء ليس نصفها ولا ربعها بل كل حال يخطر
على بالك، مرّ بها جميعاً وملاًها وجملها عبوديةً لهذا قال العلماء أجمل
الأعمال أعماله وأجمل أحوال أحواله ملاًها عبوديةً.

حال لا يستطيع أن يدخل الطائف، وبعد عودته لا يستطيع الدخول إلي
مكة إلا في جوار رجل كافر، حال إلقاء سلى الجزور على رأسه، حال القوة
وحال الضعف، حال القوة حامل سيفه وحال الضعف، حال
المدينة تستقبله (طلع البدر علينا) وحال مدينة تغري السفهاء والمجانين
ليضربوه في الطائف، حال رجل يقول له فداك أبي وأمي يا رسول الله وحال
رجل يضع سلى الجزور على رأسه، حال يستطيع أن يظهر وحال يختبأ في
الغار، حال الفقر الشديد وحال الغنى الشديد، وفي الفقر من شدة الجوع يربط
على بطنه حجرين من الجوع، وفي الغنى لما جاءت الغنائم الله من فوق
عرشه جعل نصيبه منها خمس الخمس لو أمسك نصيبه لكان أغنى رجل في
العالم لكنه قال: يا أيها الناس ليس لي من هذا الفيء ولا هذه
إلا الخمس والخمس مردود عليكم ردوا الخياط والمخياط والمخيط

فإن الغلول يكون على أهله يوم القيامة عار ونار وشنار فقام رجل معه كبة من شعر فقال إني أخذت هذه أصلح بها بردعة بعيري دبر فقال أما ما كان لي ولبي عبد المطلب فهو لك فقال الرجل يا رسول الله أما إذ بلغت ما أرى فلا أرب لي بها ونبذها^(١) حصتي مردودة عليكم وبقي نائم على الحصير، ما غير بسبب الغنى وقال فرصة حتى نترقى يا عائشة.

حال أعزب قبل النبوة ويعفّ عن الحرام وحال متزوج، حال يولد له ولد وحال يموت له ولد وهو صغير، حال زواج ابنته فاطمة، وحال طلاق ابنتيه زينب وأم كلثوم، لما بدأت رسالته ﷺ غضب أبو لهب وأمر ولديه أن يطلقوا بنات محمد ﷺ بالشدة والغضب، حال بنت من بناته تمشي وتهاجر زينب رضي الله عنها من مكة إلى المدينة فواحد من المشركين يلحق بهذه الناقة ويغمزها فتقفز الناقة وكانت زينب حامل فتسقط وترمي حملها، والآن بناتنا عند الحمل والولادة في المستشفيات وعند الطبيبات، فمن أحسن حال بنت الرسول تسقط من أجل الدين ويصيبها هذا الحال ولا بناتنا عند الطبيبات؟.

(١) الراوي: عبدالله بن عمرو بن العاص المحدث: الهيثمي -المصدر: مجمع الزوائد - الصفحة أو الرقم 6/190: خلاصة حكم المحدث: رجال أحد أسانيده ثقات، وأخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦ / ٣٣٧، ورواه أحمد وابن ماجه والنسائي.

فمرَّ بكل الأحوال وجملها وملأها عبودية، فالدين لا يحتاج إلى الأحوال حتى تجمَّله؛ لأن الدين جميل فهو كلام الله، لكن الأحوال تحتاج إلى الدين حتى يجمَّلها، فالدين لا يحتاج إلى غناك أيها الغني لكن غناك قبيح حتى تُدخل فيه الدين وتجمله بالدين بالإنفاق، فالدين يُجمِّل غناك أيها الغني وغناك لا يجمِّل الدين.... الدين لا يحتاج إلى قوتك لكن إذا استخدمت قوتك من أجل دين الله الدين يجمِّل قوتك، وقوتك من غير دين مثل قوة حمار ماشي، قوي لكن إلى أين ماشي؟؟ فقط حتى يأكل ويشرب.

فالدين لا يحتاج إلى أحوالنا ونحن في جميع الأحوال نحتاج إلى الدين، في جميع الأحوال يا الله اهدنا أعطينا الدين المقبول والعبودية المقبولة عندك، ويا حسرة علينا إذا عملنا علاقة مع الأحوال وما عملنا علاقة مع رب الأحوال، لا تعمل علاقة مع المنعمة لأن النعمة لا تدوم بل اعمل علاقة مع المنعم، نعمل علاقة مع الرحمن الرحيم وليس مع الرحمة، لكن اليوم العلاقة مع النعمة مع المال إذا ذهب المال ماذا ستفعل وأين ستذهب.

لكن لو عملت علاقة مع المنعم ومع الرحيم في القبر تتجدد النعم وفي الحشر وعلى الصراط إلى الأبد، فخلقت النعمة لنحب المنعم وليس لنحب النعمة ونعبدها.

فصفاته جل جلاله مع المؤمن في كل حال: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) هذه الآية مكية في جهد الدعوة .

في جميع صفاته صفة الرحمة صفة القهر { لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ } صفة القهر معك يقهر جميع شياطين الإنس والجن حتى ما يضروك، وبدون الدين صفة القهر تكون ضدك يقهرك أنت.

صفة الرحمة وأنت جائع وما في طعام ولكن الرحيم يرحمك بالجوع فالنبي ﷺ وهو يشد على بطنه حجرين من الجوع أكثر الناس حظاً من رحمة الله وهو في هذا الحال.. فيقبض الله عن معدتك ليزيد ثروة الإيمان في قلبك، ليعطي الروح، يقبض عن الجسد، فداء المؤمن وداء جسمه سبب ودواء لروحه فيبتليك ليعافيك، يأخذ منك القليل ليعطيك الكثير..

فالرحيم معك وأنت جائع لكن لو معك أموال الدنيا كلها وتعصي الله الرحيم ضدك: ﴿لَا تُعْجِبُكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾^(٢) هل يريد الله أن يرحمهم بها؟؟ لا ، إنما يريد الله أن يعذبهم بها.

(١) سورة العنكبوت - الآية ٦٩.

(٢) سورة التوبة - الآية ٥٥.

لكن نحن قبل الأحوال قبل المرض وقبل الأحوال نسأل الله العافية، لا نسأله المرض حتى نصبر، لكن إذا قَدَّرَ عليك المرض أو قَدَّرَ عليك الجوع أو قَدَّرَ عليك السجن إذا قَدَّرَ عليك القضاء فأعظم عبودية بعد القضاء الرضا بالقضاء و القدر، ((اللهم إنا نسألك الرضا بعد القضاء)) ليس قبل القضاء، لكن قبل القضاء تسأل الله العافية في الدنيا والآخرة في الدارين لكن إذا قضا ووقعت مصيبة أحسن عبودية الآن لا صيام ولا حج الرضا بعد القضاء.

فكن راضياً عنه في كل وقت يكن راضياً عنك، فجزاء الرضا الرضا وأعظم شيء عند الله رضاه: ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

الْعَظِيمُ﴾^(١) من كل نعمة جزاء الرضا الرضا وجزاء الإحسان الإحسان.

فالله جل جلاله له الكمالات في تشريعه، في عطائه، في منعه، في كل أفعاله، فإذا ما رضينا عن كمالات قدره، فكيف سيرضى عن نقصان أعمالنا، صلاتنا فيها نقص دعوتنا فيها نقص، لهذا لا تنظر إلى مرارة الابتلاء ونظر إلى جمال المبتلي كمال المبتلي حكمة المبتلي.

فطبيبك معك إذا أعطاك الدواء الحلو معك وإذا أراد أن يعمل لك عملية جراحية وأخذ يقطع لحمك ويفتح بطنك تقول أعوذ بالله منه، الطبيب معك ورحيم بك وهو يعطيك الدواء رحيم بك وهو يعطيك الإبرة الموجهة رحيم بك وهو يعمل العملية الجراحية رحيم بك...

(١) سورة التوبة _ الآية ٧٢.

وهكذا ربنا معييته مع المؤمن دائماً يعامل المؤمن بالعطاء والقبض الصوري، يعطيه العطاء ويعطيه القبض وهذا القبض صوري و دائماً يعامل المعرضين عن دينه بالمنع والقهر ويمنعه المنع ويمنعه العطاء لهذا المال بيد الفاسق نعمة صورية فيوم القيامة لا تزولا قدما عبد حتى يؤنب ويحاسب من أين لك هذا المال من أين؟؟

فأيها الأحبة:

لا خير في هذه الدنيا لأنها ملعونة ملعون من فيها إلا إذا دخلنا فيها دين الله أصبحت مرحومة مرحوم من فيها.
لهذا الرحمن الرحيم كيف نعمل علاقة مع الرحمن؟؟ هل نجمع المال؟ لا بل إياك نعبد.

عن عمر بن الخطاب قال : قدم على النبي صلى الله عليه و سلم سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى إذا وجدت صبياً في السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي صلى الله عليه و سلم : " أترون هذه طارحة ولدها في النار ؟ " فقلنا : لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال : " لله أرحم بعباده من هذه بولدها " متفق عليه(١)، والله لا نرحم إلا عن طريق إحياء الدين في حياتنا وفي الناس، فما قال الله

(١) سورة التوبة _ الآية ٧٢.

أرحم بخلقه، إبليس مخلوق لكن لا يرحمه الله ، وعباد الرحمن.. ما قال وعباد الجبار فنسب الله صفة العبودية إلى صفة الرحمة : ﴿مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ﴾^(١) فخشية الرحمن رحمة، والخروج في سبيل الله رحمة، والغبار في سبيل الله رحمة.

لهذا من فقه الداعية في سورة يس، لما أرادوا قتله واقتربت السيوف من عنقه تذكر صفة الرحمة فما قال إن يردن الجبار بضر، بل قال : ﴿إِنْ يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بَضُرٌّ﴾^(٢) فالله قادر أن يرحمك بالضر وقادر أن يشقيك بالملذات فرحمة الله بهذا الرجل أعظم رحمة وهو قطع عنقه بالسيف في سبيل الله ونال الشهادة وأصبح شهيداً فأدخله الله الجنة : ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾^(٣) فمن عظم الرحمة، ضر يذهب بك إلى الجنة أم أكل الكنافة وأنت غافل عن ذكر الله؟؟ نحن عرفنا الرحمة كما عرفتھا البهائم أكل وشرب هذه رحمة عامة وإن لعن إبليس : ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ﴾^(٤) ومعنى اللعنة الطرد من رحمة الله، لكن ما منعت اللعنة

(١) سورة ق _ الآية ٣٣ .

(٢) سورة يس _ الآية ٢٣ .

(٣) سورة يس _ الآية ٢٦ .

(٤) سورة ص _ الآية ٧٨ .

إبليس من الأكل والشرب والضحك في الدنيا: ﴿وَشَارِكُهُمْ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ وَعِدَّهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١) لكن مقتضى اللعنة
بعد الموت أن الملعون لا يستطيع أن يشرب شربة ماء: ﴿وَنَادَى أَصْحَابُ
النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾^(٢)
أكرم الناس هم أهل الجنة كانوا يكرمون الناس وعندهم إبريق ماء صغير
والآن عندهم أنهار ماء لا تنقص وممكن الذي يناديه ابن عمه وجوع شديد
وعطش شديد لا ينال ولا ذرة من الرحمة ربنا ينزع الرحمة من قلوب الخلق
على أهل جهنم: ﴿قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ﴾^(٣) حرم الطعام
والشراب عليكم يا كلاب.

فينادي أصحاب النار على ربهم يا ربنا يا ربنا ... فالرحيم الآن يقول
ويرد عليهم: ﴿قَالَ اخْسَؤُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾^(٤) وهو يقول اخسؤوا فيها
صفة الرحمة تبقى لأنه رحيم، كيف رحيم ويعذب عباده؟؟ مثال رجل كريم
وقال لك إن سألتني أعطيك، لكنك أعرضت عنه وتكبرت عليه وذهبت إلى
اللئيم ترجوه المال، فالكريم إذا ما أعطاك يبقى كريم.

(١) سورة الإسراء _ الآية ٦٤.

(٢) سورة الأعراف _ الآية ٥٠.

(٣) سورة الأعراف _ الآية ٥٠.

(٤) سورة المؤمنون _ الآية ١٠٨.

وهكذا الله الرحيم يبقى رحيم، ولو وضع أهل النار في النار، لكن سبب عذابهم أنهم أعرضوا عن ذكر الله: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٢).

فعلاقتنا مع الرحمن ومع الرحيم وليست مع الرحمة، مع المنعم وليس مع النعمة، لهذا الفقراء والأغنياء كلهم منهاج حياتهم واحد لا يوجد صلاة للغني وصلاة للفقير يا غني حتى تفوز وتفلح اركع وسجد ويا فقير حتى تفوز وتفلح اركع واسجد.

هكذا جميع الأمة أمة واحدة لا يوجد طبقتين هذه لها دين والأخرى لها دين، فالكل يتعلق بالله فسريرة الفقير وسريرة الغني واحدة ما فيها إلا يا رب ارض عنا نفس السريرة.

وحتى نترقى بالأعمال لا بد نخرج في بيئة الأعمال، لأن بيوتنا ما فيها بيئة أعمال نتمازح ونتضحوك (الطماطم لها بيئة وهي السوق ولكن فإذا نريد أن نشترى طماطم لا بد أن نذهب إلى بيئة الطماطم في سوق الطماطم).

يا الله ما أسهل الأعمال في بيئتها وأنت خارج في سبيل الله ترفع رأسك بالليل حتى تصلي ركعتين، وكثير من الأحيان أرفع رأسي قلقاً وإذا هذا قائم

(١) سورة طه _ الآية ٢٤ .

(٢) سورة الزخرف _ الآية ٣٦ .

وهذا قائم فيسهل علي القيام معهم، لكن ارفع رأسك في البيت تجد هذا نائم وهذا نائم فترجع وتنام معهم.

والله حمل الدين ونحن خارجين أسهل من حمل إبريق الضوء وأنت خارج في سبيل الله ما أصعب الغيبة لكن مل أسهلها وأنت في البيت ((**فبيته**

الأعمال تجعلنا أثرياء بالأعمال)) فيل أيها الأحبة نحن بحاجة إلى الخروج في

سبيل الله لكن ربنا غني لا يتقرب إليك حتى تتقرب إليه أولاً وعن أبي ذر رضي الله عنه قال، قال النبي صلى الله عليه وسلم: يقول الله عز وجل: من جاء

بالحسنة فله عشر أمثالها أو أزيد، ومن جاء بالسيئة فجزاء سيئة

سيئة مثلها أو أغفر، ومن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، ومن

تقرب مني ذراعاً تقربت منه باعاً، ومن أتاني يمشي أتيته هرولة،

ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئاً لقيته بمثلها

مغفرة رواه مسلم^{(١)(٢)} من أكبر: الذراع أم الشبر؟؟ الذراع، لكن من أسهل؟؟

الشبر.

(١) رياض الصالحين _ باب الرجاء.

(٢) معنى الحديث: من تقرب إلي بطاعتي تقربت إليه برحمتي وإن زاد زدت، فإن أتاني يمشي وأسرع في طاعتي أتيته هرولة: أي صببت عليه الرحمة وسبقته بها ولم أحوجه إلى المشي

مع أنّ الشبر صغير لكن صعب لأنّ الشبر منك والذراع هو الذي يقربك
مثل الأم تقول لابنها امشي امشي فيمشي مترين وبعدها تحمله بقيّة المسافة
لأنّه لا يستطيع أن يمشي كل هذه المسافة.

فأول خروج خرجنا ثلاث أيّام أصعب الأيام لكن لما خرجنا أربعين يوم
بعدها كانت أسهل: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾^(١)
الزيادة من عنده، لكن المفتاح هو اليوم الأوّل، فقط اخرج من بيتك والباقي
على الله ﴿وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا
وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكُهُ الْمَوْتُ
فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾^(٢) يعني اتخذ قرارك
وقل أريد الله وبعدها ربنا يتولاك.. الخطوة الأولى منك لأنّه هو الغني..
الحكومة لا تترجاك حتى تستخدمك، لا بدّ أنك تقدّم طلب وربنا لا يترجاك حتى
يستخدمك.

الكثير في الوصول إلى المقصود.. وقرب الأرض بضم القاف ويقال بكسرهما والضم أصح
وأشهر ومعناه: ما يقارب ملأها، والله أعلم.

(١) سورة محمد _ الآية ١٧.

(٢) سورة النساء _ الآية ١٠٠.

كما قلنا من قبل في قصة موسى عليه السلام: ﴿يَا أَبْتَ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ﴾^(١) فالمخلوق استخدم قوة موسى عليه السلام، واستخدم أمانته لمدة عشر سنين، حتى يزوجه ابنته ولما ربنا استخدم قوته وأمانته أصبح كلیم الرحمن، فالمخلوق استخدم قوة موسى حتى يمشي وراء الغنم ويرعاهم واستخدم أمانته ليس حتى يحافظ على الدين وينشره بل حتى يحافظ على الغنم، لكن ربنا استخدم قوة موسى وقال له: ﴿اذهبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى﴾^(٢) واستخدم أمانته ليأتمنه على نصيحة العباد ونشر الدين، تنصح من ينصحك وتنصح من يغشك، وهكذا ربنا كما استخدم قوة موسى وقوة الأنبياء يريد أن يستخدم قوتنا في نفس المجال، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٣). من الذي يستخدمك ربنا ، لكن لو استخدمك

(١) سورة القصص _ الآية ٢٦ .

(٢) سورة طه _ الآية ٢٤ .

(٣) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧ .

المخلوق شهر، تأخذ راتبك بيدك وآخر الشهر ينتهي ((والله جهد الدنيا عند الموت لا يعطيك ذرة)) وإذا الله استخدمك ((والله جهد الدين عند الموت لا يضيع لك ذرة)).

والعمل عند المخلوق عمل شاق وأجر قليل ما في جلسة بسيطة وخذ مليون درهم .. والعمل عند الخالق عمل بسيط وأجر كثير فقط المحبة في الله تدخلك الجنة، وإبريق وضوء يفتح لك أبواب الجنة الثمانية، بجلسة بسيطة، الله تعالى يقول يوم القيامة: " أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي " رواه مسلم عن أبي هريرة. (١).

ويقول الله تبارك وتعالى: " وجبت محبتي للمتحابين في، والمتجالسين في، والمتزاورين في، والمتبازلين في " حديث صحيح رواه مالك في الموطأ بإسناده الصحيح (٢).

عندما نخرج نقوم بأعمال بسيطة، نزور بعضنا ونبتسم في وجوه بعضنا وأبشر بجنة عرضها السماوات والأرض، والعمل في الدنيا عمل شاق وأجر قليل.

(١) رياض الصالحين _ باب فضل الحب في الله والحث عليه وإعلام الرجل من يحبه وماذا يقول له إذا أعلمه.

(٢) المرجع السابق.

فأيها الأحبة: ما لنا غير الله، والله ما لك غير الله من أحد لا تفكر في غير الله
 ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ
 امْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾^(١) تفر منها وتفر منك.

| | |
|--------------------------------|---------------------------|
| والله ما لك غير الله من أحد | فحسبك الله في كل لك الله |
| يا صاحب الهم إن الهم منفرج | أبشر بخير فإن الفارج الله |
| الله ذو زخرف في كل حال (مصابة) | أقول في كل حال حسبي الله |

إن الهم منفرج بالتعلق بالله فكيف نتعلق مع الله، الأشياء والأحوال لا
 تعلّقنا بالله، لا يعلّقنا بالله إلا الأعمال، التسبيحة تعلّقك بالله، الزيارة تعلّقك
 بالله ، كما في الحديث: عن أبي هريرة رضي الله عنه قال، قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم: " من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه
 مناد: بأن طبت وطاب ممشاك، وتبوأ من الجنة منزلاً " رواه
 الترمذي وقال حديث حسن. وفي بعض النسخ غريب^(٢) الله يجعل الملائكة
 تناديك ((أن طبت وطاب ممشاك)) أي أصبحت طيب عند ربك، وعندما
 تأتي بالفلوس تصبح طيب عند زوجتك.

(١) سورة عبس - الآيات من ٣٤ : ٣٧.

(٢) رياض الصالحين - باب الصبر ص ٦٠.

عبودية الأمة

○ قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ (١).

○ وقال تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمَن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ * وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ * وَمِنَ آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبَطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ

(١) سورة إبراهيم - الآية ١ .

وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِنْ يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبْهُدَاهُمُ اقْتَدِهِ ﴿١﴾

○ وعن معاوية رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين " متفق عليه (٢).

○ فقه الدين من يعرف كيف يعيش العبودية أربعة وعشرين ساعة.

○ قال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴾ (٣).
اذكر إبراهيم وهو يقول: (يا أبتى).

○ وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٤).

○ وقال تعالى: ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾ (٥). وهو يقول : يا فرعون أسلم .

المقصود بهذه الآيات التذكير بأعظم عبودية.

(١) سورة الأنعام _ الآيات من ٨٣ : ٩٠.

(٢) رياض الصالحين - باب العلم.

(٣) سورة مريم - الآية ٤١.

(٤) سورة مريم - الآية ٥٤.

(٥) سورة مريم - الآية ٥١.

○ قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^(١). الله ﷻ يمجّد أعظم عبودية.

- كم من شاب عابد الله سبعين سنة وما ذكرت عبوديته.
- الذي يجتهد علي نفسه، ولم يجتهد علي غيره كالذي يأكل ولا يُطعم.
- أعظم عبودية: هي محاسنة الخلق.
- ما أحسن أن تتكلم مع الحق بالليل وتقول يارب عبادك.. اهد فلان وفلان، وتوجه المخلوق بالنهار، تقول: يا عباد ربكم.
- بالليل يا رب اهد أبو جهل، وبالنهار يدعو أبو جهل إلي الله.
- عبودية الداعي بالليل يتعلق بالله، وبالنهار يتملق إلي المخلوق بالبسملة بالإكرام بالهدية، حتى يقبل بقلبه علي الله.
- بالليل يا كريم ، وبالنهار يتخلق بصفة الكرم ويكرم العباد.
- بالليل يا حلیم ، وفي النهار يحلم علي العباد ويشفق عليهم.
- بالليل يا عفو اعفو عني ، وفي النهار يدعو فإذا جهل عليه يعفو ويصفح ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾^(٢)

(١) سورة يسن _ الآية ٢٠

(٢) سورة النور _ الآية ٢٢

- أعظم عبودية في النهار ليس كلامك مع الحق: يارب ، بل كلامك مع الخلق: (أن تتكلم مع العاصي والجاهل ، يا عباد ربكم).
- أعظم عبودية عبودية الأنبياء، ليلهم غير نهارهم، بالليل يا كريم وبالنهار يتخلق بصفة الكرم والرحمة والشفقة.
- أهم وأعظم شخصية هي شخصية الداعي.
- من أجل الإنسان الجاهل الله ﷻ أرسل الأنبياء.
- من أجل الإنسان الجاهل، الله ﷻ قال: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(١) ، ﴿ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ﴾^(٢) ، ﴿ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴾^(٣) ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٤) وكل ذلك من أجل تكريم الجاهل، حتى يرجع ويُقبل علي ربه.

- من أجل المريض وجد المستشفى ، وفتحت كليات الطب، وتعلم الطبيب وأخذ درجته، وفتحت شركات الدواء والصيدليات وكليات ومعاهد التمريض وأجهزة الطب وجعل الدواء، وأجريت الأبحاث من أجل الدواء وكل ذلك

(١) سورة الأعراف - الآية ١٩٩ .

(٢) سورة الحجر - الآية ٨٥ .

(٣) سورة مريم - الآية ٨٧ .

(٤) سورة القلم - الآية ٤ .

لمصلحة المريض، وليس لتحقيق المريض وكلما عالج الدكتور عدد أكبر كلما ترقى في الأجر والخبرة والمرتبة الاجتماعية.

○ كذلك كل علوم القرآن وتجويد وتحسين الصوت للقرآن والتفاسير والكتب والاسطوانات وشرح السنة والأحاديث والفقه وكليات التربية والمعاهد وغيرها لخدمة الضال الجاهل السفيف الظالم العاصي الكافر المشرك، والمؤمن التقي.

○ وهذا الجهد أعظم جهد وليس جهد مالا جهد له وعمل مالا عمل له قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ^(١) وليس لتخرج نفسك، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ ^(٢). وليس لعك تتذكر.

○ أعظم فقه، فقه الدعوة ، جهد الأساس ، جهد الروح للدين .

○ ختم النبوة نعمة كبرى، ولكن ختم جهد النبوة مصيبة كبرى (عدم جهد مصيبة كبرى علينا وعلى العالم).

(١) سورة إبراهيم - الآية ١ .

(٢) سورة طه - الآية ٤٤ .

○ الدعوة وسيلة والعبودية مقصد والنبوة وسيلة ولكن العبودية مقصد:

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ (٣)

وقال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ (٤)

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ

(١) سورة الإسراء - الآية ١ .

(٢) سورة الكهف - الآية ١ .

(٣) سورة الفرقان - الآية ١ .

(٤) سورة الجن - الآية ١٩ .

﴿(١)﴾

وقال تعالى: ﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً * فَادْخُلِي فِي عِبَادِي * وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (٢).

○ العبودية تعبيد مشيك، فكرك، كلامك، نظراتك، نفقاتك، آمالك، شعورك، ففي الشورى تعبيد فكرك، أثناء الجولة تعبيد كل جسمك علوة على كلامك وأخلاقك.

○ فالله مجد عبودية المشي في الدعوة، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴾ (٣). رغم أنهم لم يصلوا ولم يصوموا ولم يحجوا .. فمخاطبة العاقل تعليم ، ومخاطبة الجاهل .. السفیه .. الظالم .. الكافر .. الكاذب .. دعوة .

○ يحتاج الداعي إلى سعة وانسراح الصدر حتى يستطيع التعامل مع هؤلاء الأصناف:

(١) سورة البقرة - الآية ٢٣ .

(٢) سورة الفجر - الآيات من ٢٧ ، ٣٠ .

(٣) سورة الفرقان - الآيات من ٦٣ : ٦٥ .

قال تعالى: ﴿وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ * أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ * إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ (٥).

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَفْكَ مَفْتَرًى﴾ (٦).

(١) سورة ص - الآيتان ٤ ، ٥ .

(٢) سورة غافر - الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

(٣) سورة المطففين - الآيتان ١٢ ، ١٣ .

(٤) سورة الفرقان - الآية ٥ .

(٥) سورة الجاثية - الآية ٢٤ .

(٦) سورة سبأ - الآية ٤٣ .

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَّلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾^(١)

○ جهد الدعوة اجتناء ولكن جهد العبادة : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢)
هذا عام لكل الأمم .

○ أعظم عبودية بالليل يا رب .

○ أعظم عبودية بالنهار يا أبتى ، يا قوم ، يا بني آدم ، يا أيها الناس ، يا أخي .

○ الدعوة تصنع الأتقي والمقابل الأشقي الذي يصد عن سبيل الله ، والقرآن تكلم عن الداعي للحق (الأتقي) – والداعي للباطل (الأشقي) .

○ فأعظم فقه في الدعوة جهد الدعوة ، وأسهل جهد هو جهد الدعوة لا يحتاج لعبقري أو شهادات أو ذكاء غير عادي فالله ما ذكر قصة عابد في القرآن يظل (٧٠) سنة يعبد الله وما ذكره الله ، ولكن رجل بسيط يتحرك ساعة ، يتجول ساعة، في النصره ساعة، ذكره الله حتى قيام الساعة، قال

(١) سورة لقمان - الآية ٢١ .

(٢) سورة البقرة - الآية ١٨٣ .

تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٢) - قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَابٌ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا﴾^(٤).

(١) سورة يسن - الآية ٢٠

(٢) سورة القصص - الآية ٢٠

(٣) سورة القصص - الآية ٢٠

(٤) سورة الكهف - الآيتان ٣٧ ، ٣٨ .

○ أعظم عبودية :

قال تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ

الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ كُنَّا فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ

رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٣). ودعوة كل الأنبياء في القرآن (نوح ولوط وهود وشعيب

...) ولكن عند الرسول ﷺ ما قال واذكر في الكتاب محمد ﷺ ولكن قال

تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ

فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي

الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ

يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيَغِظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا

(١) سورة مريم - الآية ٤١.

(٢) سورة مريم - الآية ٥٤.

(٣) سورة مريم - الآية ٥١.

الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا^(١) - وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ^(٢)﴾ كل الأمة رجال ونساء .

- هذا جهد (١٢٤٠٠٠) نبي ورسول ، ونحن نائبين عنهم.
 - ولهذا حتى تكون نائبا عن شخص معين لا بد أن تعرف مقصوده وفكره وأخلاقه وأسلوبه ، فنائب الملك بفكر الملك وليس بفكر السائق للملك أو الوزير أو المزارع .
 - في الدنيا لا يصح أن نعين مزارع نائب للوزير أو ميكانيكي نائب للدكتور ولا رجل أُمي نائب لوزير التربية والتعليم، كذلك نائب الرسول الأعظم محمد ﷺ .. ولذا الإخوة تقول: هذا جهد ميسر من الكتاب والسنة ويستطيعه كل فرد في الأمة.
 - فسيدنا نوح (٩٥٠) سنة يضحي بكل شيء من أجلهم وهذا صعب، ولكن الأصعب أن يضحي بهم، قال تعالى: ﴿وَأَوْحِي إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ^(٣)﴾.
- فكان هذا الأمر من أصعب الأمور علي نوح، فدعا عليهم نوح خشية أن

(١) سورة الفتح - الآية ٢٩.

(٢) سورة غافر - الآية ٢٨.

(٣) سورة هود - الآية ٣٦.

يخرج من أصلابهم الكفار والفجار، قال تعالى: ﴿وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا﴾^(١).

○ في الدعوة يضحي الإنسان بنفسه وبما يملك من أجلهم، وفي القتال يضحي الإنسان بنفسه من أجل الله قال تعالى: ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾^(٢) أن تكون مثل الرسول ﷺ والصحابة إقتداء أحوالهما وتضحياتهما ومشاعرهما .

○ سيدنا نوح لم يقل إني أنذرت قومي، ولكن ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾^(٣). فالشكوى ليس من إيذائهم ولكن لرفضهم الدعوة قال تعالى: ﴿إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ﴾^(٤). ولا أنهم سيظلوا على إيذائهم لي ، ولذا الآيات مثل ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا﴾^(٥) هي أوضح للداعي من قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ

(١) سورة نوح - الآية ٢٦.

(٢) سورة الكهف - الآية ٦.

(٣) سورة نوح - الآية ٥.

(٤) سورة نوح - الآية ٢٧.

(٥) سورة مريم - الآية ٤١.

الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ
مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١﴾ .

○ وقوله تعالى للرسول ﷺ : ﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ * وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ * وَثِيَابَكَ

فَطَهِّرْ * وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ * وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ * وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴾ (٢)

للعوم وليس ذكر قومك، ولذا دعا الناس يا بني آدم — يا أيها الناس .
فالرسول ﷺ رحمة للعالمين وهذا مقصود الرسول ﷺ وكذلك مقصود أمته من
بعده ، ولذا دعاء أهل الإيمان قال تعالى: ﴿ حَبِّبْ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي
قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ ﴾ (٣) وليس كره إلينا
الكفرة والفاستقين والعصاة — المطلوب تكره الأفعال القبيحة وليس تكره الذي
يفعل القبيح ، مثل: رجل عنده ولد مريض ، فهو يكره المرض ولا يكره ابنه
، ولذا يسعى لعلاجه وليس لموته وهلاكه.

○ وقال تعالى: ﴿ أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴾ (٤) وكأننا لا

نعرف مقصد ولا جهد وترتيب رسولنا الكريم ﷺ .

(١) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

(٢) سورة المدثر - الآيات من ٢ : ٧ .

(٣) سورة الحجرات - الآية ٧ .

(٤) سورة المؤمنون - الآية ٦٩ .

○ لا يستطيع الداعي عامة أن ينجح في دعوته إلا إذا كان به صفات مثل كظم الغيظ والصبر الجميل والصفح الجميل والإحسان .

وكظم الغيظ : عدم رد الفعل السيئ.

الصبر الجميل : الذي لا شكوى فيه ولكن محفوظ في الذاكرة .

أما الصفع الجميل : عدم الشكوى ومسح الفعل من الذاكرة ولا يفكر في أخذ حقه ، أي مسح الفعل من الذاكرة.

والإحسان : الإحسان لمن أساء إليك قال تعالى: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةِ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣).

(١) سورة القصص - الآية ٥٤ .

(٢) سورة الرعد - الآية ٢٢ .

(٣) سورة فصلت - الآية ٣٤ .

ولا يفعل ذلك إلا من كان قلبه مملوء بالشفقة والرحمة والرأفة والعفو ، مثل الرسول ﷺ ما عاتب خالد بن الوليد – ولا عكرمة بن أبي جهل – ولا عمير بن وهب ولا عمر بن الخطاب ، مثل يوسف ما عاتب إخوته ونسب فعلهم للشيطان ، ولا يعقوب عاتب أولاده بما فعلوا بأخيهم رغم علمه بما فعلوا وهذه أخلاق الأنبياء والمرسلين الأسوة والقودة لنا .

○ قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١) حتى يصدر منك

أحسن عبودية وأرقى عبودية ، وهو المقصود من خلق البشرية، ولذا الله يرسل الأنبياء عليهم السلام ليعلموا البشرية كيف يصدر منهم أحسن عبودية ، ومثل رسولنا ﷺ صدر منه أعلى وأعظم عبودية قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢) ، ولذا الله سلمك جسدك تستخدمه

كما تشاء قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٣) ومن

خلال الدين يعرفك ربك قيمة نعم الله في جسدك ، فبتسبيحة واحدة باللسان في لحظة يأخذ شجرة في الجنة ، يسير في ظلها الجواد المضرر مائة سنة ما يقطعها – ولا حول ولا قوة إلا بالله : كنز من كنوز الجنة ، أما في الدعوة فأجور لا يعلمها إلا الله ، فالنجاشي قال كلمات لسيدنا عمرو بن

(١) سورة التين _ الآية ٤ .

(٢) سورة الأنبياء _ الآية ١٠٧ .

(٣) سورة الكهف _ الآية ٢٩ .

العاص في حوالى دقيقة واحدة كانت سبب في هدايته ، أخرج ابن إسحاق عن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: لم انصرفنا يوم الأحزاب عن الخندق جمعت رجالاً من قريش كانوا يرون رأيي ويسمعون مني، فقلت لهم: تعلمون - والله - إنني أرى أمر محمد يعلو الأمور علواً منكراً، وإنني لقد رأيت أمراً فما ترون فيه؟ قالوا: وما رأيت؟ قال: رأيت أن نلحق بالنجاشي فنكون عنده، فإن ظهر محمد على قومنا كنا عند النجاشي، فإننا أن نكون تحت يديه أحب إلينا من أن نكون تحت يدي محمد؛ وإن ظهر قومنا فنحن من قد عرفوا فلن يأتينا منهم إلا خير. قالوا: إن هذا لرأي. قلت: فأجمعوا لنا ما نهدي له، فكان أحب ما يهدي إليه من أرضنا الأدم، فجمعنا له أدماً كثيراً ثم خرجنا حتى قدمنا عليه. فو الله إنا لعنده إذ جاءه عمرو بن أمية الضمري وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعثه إليه في شأن جعفر وأصحابه. قال: فدخل عليه ثم خرج من عنده. قال: فقلت لأصحابي: هذا عمرو بن أمية لو قد دخلت على النجاشي فسألته إياه فأعطانيه فضربت عنقه، فإذا فعلت رأيت قريش أني قد أجزأت عنها حين قتلت رسول محمد. قال: فدخلت عليه فسجدت له كما كنت أصنع. فقال: مرحباً بصديقي هل أهديت لي من بلادك شيئاً قال: قلت: نعم، أيها الملك، قد أهديت لك أدماً كثيراً. قال ثم قربته إليه فأعجبه واشتهاه. ثم قلت له: أيها الملك، إنني قد رأيت رجلاً خرج من عندك وهو رسول رجل عدو لنا؛ فأعطنيه لأقتله فإنه قد أصاب من أشرافنا وخيارنا. قال: فغضب، ثم مد يده

فضرب بها أنفه ضربة ظننت أنه قد كسره؛ فلو انشقت الأرض لدخلت فيها فرقاً. ثم قلت: أيها الملك، والله لو ظننت أنك تكره هذا ما سألتك. قال: أتسألني أن أعطيك رسول رجل يأتيه الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى فتقتله؟ قال قلت: أيها الملك، أكذاك هو؟ قال: ويحك يا عمرو، أطعني واتبعه فإنه - والله - لعلّ الحق، وليظهرنّ على من خالفه كما ظهر موسى بن عمران على فرعون وجنوده. قال: قلت: أفتبايعني له على الإسلام؟ قال: نعم. فبسط يده فبايعته على الإسلام. ثم خرجت على أصحابي وقد حال رأيي عما كان عليه وكتمت أصحابي إسلامي. ثم خرجت عامداً إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأسلم، فلقيت خالد بن الوليد، ذلك قبيل الفتح وهو مقبل من مكة. فقلت: أين يا أبا سليمان؟ فقال: والله، لقد استقام الميسم، وإنّ الرجل لنبي، أذهب - والله - أسلم فحتى متي؟ قال: قلت: والله جئت إلا وسلم. قال: فقدمنا المدينة على النبي صلى الله عليه وسلم فتقدم، خالد بن الوليد فأسلم وبايع، ثم دنوت فقلت: يا رسول الله، إني أبايعك على أن تغفر لي ما تقدم من ذنبي ولا أذكر ما تأخر. قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «يا عمرو، بايع فإنّ الإسلام يجب ما كان قبله، وإنّ الهجرة تجب ما كان قبله». قال: فبايعته ثم انصرفت. كذا في البداية. وأخرجه أيضاً أحمد، والطبراني عن عمرو نحوه - مطوّلاً. قال الهيثمي: ورجالها ثقات. انتهى^(١).

(١) حياة الصحابة - قصصه عليه السلام في الأخلاق - إسلام عمرو بن العاص ١٣٥/١.

ومعروف بسبب هدايته كم هو جاهد في نشر الإسلام ، وانتقل بإمكانياته من معسكر الشيطان إلى معسكر الرحمن، وكان قائد فتح مصر، ولذا قالوا: أن أهل مصر في صحيفة عمرو بن العاص ومن معه من الجنود، وأهل مصر وعمرو بن العاص في صحيفة النجاشي رضي الله عنه.

وكذلك تعرف أهمية طاقات الفكر ، القلب ، الأذن ، الرجلين ، النظر .
ففي الدعوة تعبيد كل الجوارح للدين بخلاف العابد تماماً ، مثل الذي يسبح في الماء بخلاف الذي يسير على الأرض ، ولذا الآية قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴾^(١).

○ هذا الجهد اجتناء من الله لخير خلقه الأنبياء، ولو كان هناك أفضل منه لأعطاه لخير خلقه، ولهذا لا يستخدم الله أى إنسان فيه إلا بصدق القلب، قال تعالى: ﴿ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿ يَأَيُّهَا

(١) سورة الشوري _ الآية ١٣.

(٢) سورة التوبة _ الآية ٤٠.

النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ^(١) فالله لا يحتاج
لنا لنصره دينه ، ولكن نحن فقراء إلى الله نطلب ونلح بالصدق أن الله
يستخدمنا في هذا الجهد .

○ الذي يجتهد للعالم ويجمع منها الكثير عند الموت يصير مورث كبير
ويحاسب عليه ، أما الذي يجتهد للدين عند الموت يصير وارث كبير، قال
تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا
خَالِدُونَ﴾^(٢) نظام الدنيا نظام إيمان [نحاسب عليه] وفي الجنة نظام
تمليك .

يحيا الدين بـ تخرج ، وتخرج ويموت الدين بـ : تجلس وتجلس
غيرك.



(١) سورة فاطر _ الآية ١٥ .

(٢) سورة المؤمنون _ الآيتان ١٠ ، ١١ .

الجهر بمنزاج التقوى

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ﴾^(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "من يأخذ عني هؤلاء الكلمات فيعمل بهن أو يعلم من يعمل بهن؟ فقال أبو هريرة فقلت أنا يا

(١) سورة الفرقان - الآيات من ٦٣ : ٦٧.

(٢) سورة المؤمنون - الآية ٦٠.

(٣) سورة المرسلات - الآية ٤١.

رسول الله فأخذ بيدي فعد خمسا وقال: " اتق المحارم تكن أعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب للناس ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب" رواه أحمد والترمذي وقال أبو عيسى هذا حديث غريب (١).

أيها الأحبة: أيها الأخوة هذا الجهد المبارك ثمرتهُ تحصيل التقوى، فعندما يدخل أهل الجنة الجنة ربنا لا يصفهم بكلمة جهد ((إنَّ المجاهدين)) بل { **إِنَّ الْمُتَّقِينَ** }، وهل قال: ((**وَسَيَقَ الَّذِينَ جَاهَدُوا...؟**)) لا، بل قال تعالى: ﴿ **وَسَيَقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا** 》 (٢).

ما معنى التقوى؟؟

أن تضع سخط الله أمامك، تتقي أن يسخطك، تتقي أن تعمل عمل يدخلك النار، تتقي الغيبة وتتقي النميمة، تتقي إيذاء أخيك المسلم، تتقي الله في أخيك الطيب وتتقي الله في أخيك الجاهل.. ﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ**

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب الرقاق ٣/ ١٤٣٠ .

(٢) سورة الزمر _ الآية ٧٣ .

وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١﴾ ... اصبر عليه، لا تشمت به لما يعصي الله؟؟
اتقي الله فيه، اتقي الله في نفسك، اتقي الله في أسرتك...

والله سبحانه وتعالى مدح الجهد ليس بمزاج التعاضم (نحن)، بل بمزاج
التقوى... قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ
هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ
سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ
عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا
أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴾ (٢). يومياً
يمشون... ويومياً يتقوا الله في الجاهل { وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا
سَلَامًا } يومياً يقوموا الليل { وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا }
هذا جهد الليل بعد جهد النهار... { وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا
عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا } جهد بمزاج التقوى.

(١) سورة الأعراف _ الآية ١٩٩ .

(٢) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧ .

هذا المزاج إذا أرتته ربنا يمكنك منه، فقد أذن لأصحاب هذا الجهد أن يرفعوا أيديهم ويقولون : ربنا ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١)، أول مدرسة للتقوى ليست مدرسة الصيام و هي تعلم التقوى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾^(٢) ، لكن هذه المدرسة تأخرت بعد أربعة عشرة سنة من بعثته فتحت هذه المدرسة و لمدة شهر و لمرة واحدة كل سنة، ويدوم فيها فقط بشهر رمضان.. لكن مدرسة الجهد يوميا مفتوحة تخرج المتقين.

فأعظم مدرسة للتقوى، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٣).

(١) سورة الفرقان _ الآية ٧٤ .

(٢) سورة البقرة _ الآية ١٨٣ .

(٣) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧ .

كل يوم أتقى الله في هذا الجاهل و أمشي إليه، وأصبر عليه، ولا أذكر عيوبه، و ألاحظه... ﴿حُذِرِ الْعَفْوَ وَأُمِرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١) تتقي الله بالجاهل ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٢) اتقاء الله في الجاهل .

هكذا أحياناً نتقي الله في الجاهل الذي يعصى الله ولا نتقي الله في أخينا المسلم الخارج معنا.. الشيطان خبيث... يجتهد عليك.

يوماً يمشون.. ويوماً يبيتون يدعون لهذا الجاهل ... بالنهار يلاحظوه.. قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٣).

إلى أين ماشي؟؟ وما هو مقصده؟؟ يتق الله في هذا الجاهل ...ومن هو الجاهل في القرآن الكريم؟؟...من الجاهل عند ربنا؟؟

(١) سورة الأعراف - الآية ١٩٩ .

(٢) سورة فصلت - الآية ٣٤ .

(٣) سورة الفرقان - الآيات من ٦٣ : ٦٧ .

ليس الجاهل من جهل دنياه إنما الجاهل من يعصى الله عز وجل وكفا بالمرء علماً أن يطيع الله.

مع كل طاعة علم بالله وبصفاته، ومع كل معصية جهل بالله وصفاته، ولو معك ألف دكتوراه بالشريعة .

ربنا ما جعلك طائع و جعله عاص لله حتى تحقر الجاهل.. فليس رسالة المعلم في المدرسة تحقير الجاهل، أنت لا تفهم اطلع من المدرسة!! هو لو أن يفهم ما جاءك.. هو لا يفهم، وجاءك حتى تعلمه.

وليست رسالة الطبيب تحقير المريض، لماذا تأكل من هذا الطعام الفاسد؟؟ ولماذا عرضت نفسك للمرض؟؟ و إنما رسالة الطبيب أن يأخذ بيد المريض ويلطفه حتى يصل به إلى الشفاء.. فإذا ربنا أخرجك في سبيله ، وأعطاك هذا الجهد المبارك، وأعطاك الصفات الطيبة، ليس من أجل أن تحتقر إنسان لا يعرف ربه ويعص الله عز وجل.. بل يجب أن تمشي له.. تكرمه بالمشي إليه.. وبعد أن تكرمه بالمشي إليه تكرمه بالكلام الطيب، ﴿فَقُولَا لَهُ

قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾^(١) مع أنه يُذبح الأبناء، سَفَاك دماء ومجرم كبير لكن يا موسى اتق الله فيه، واجعل مقصدك من المشي اليومي والسفر اليومي ﴿هَلْ لَّكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى﴾^(٢) وكل يوم فرعون يقول: ﴿

(١) سورة طه _ الآية ٤٤ .

(٢) سورة النازعات _ الآية ١٨ .

ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى^(١) أسوء طمع إنسان يطمع في قتلك، وأحسن طمع إنسان يطمع في هديتك... فيقابل سيدنا موسى عليه الصلاة والسلام أسوء طمع ﴿ذُرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى^(٢)﴾ بأحسن طمع، يا الله اجعلني سبب لهدايته، اجعلني سبب حتى يقول لا إله إلا الله وتغفر له كل الذنوب ويصبح عريس في الجنة ومن أهل الجنة.

فالذي يتق الله في فرعون، فكيف لا يتق الله في بني إسرائيل؟؟
إذا مدرسة الجهد تعلمك التقوى بشرار الخلق، فكيف لا تتق الله في أخيك المسلم الذي يشاركك في الدعوة؟؟.

فإذا خرجنا وما تعلمنا أن نتق الله في كل إنسان، أخذنا جهد لكن الثمرة ضعيفة.. صحيح أن ربنا لا يضيع لك تعب، لكن الجهد الذي ينور قلبك بالإيمان وينور العالم كله هو الجهد بمزاج التقوى.. ربنا لا يضيع لك ذرة عمل لكن ما كل أجر يأتك منه النور.. لكن ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾^(٣).

وعن أبي ذر رضي الله عنه أن ناساً قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور: يصلون كما نصلي، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: "أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به: إن

(١) سورة غافر _ الآية ٢٦.

(٢) سورة غافر _ الآية ٢٦.

(٣) سورة الحديد _ الآية ١٩.

بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهي عن المنكر صدقة، وفي بضع أحدكم صدقة قالوا: يا رَسُولَ اللَّهِ أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتُهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟ قَالَ: "أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ وَزْرٌ؟ فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ" رواه مُسْلِمٌ^(١).

إنسان ينام مع زوجته ليعف نفسه وينبسط لها، له أجر عند الله، لكن النومة هذه لا تنور العالم.. ما في أحد يقول عندي أربع نساء كل يوم آتيهم والحمد لله الدين سوف ينتشر في العالم.. ﴿لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾^(٢).

فالجهد بمزاج التواضع وليس بمزاج التعظيم .. فما نزلت ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٣) لتفاخر بها و لتباهى بها على الناس.. وإنما نزلت لتتواضع بها للناس.. لنمشي بها إلى الناس.. لنخدم بها الناس.

(١) رياض الصالحين _ باب بيان كثرة طرق الخير .

(٢) سورة الحديد _ الآية ١٩ .

(٣) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

فبنوا إسرائيل كانوا أفضل أمة في أيامهم، لاختيار ربنا لهم، ربنا يختار على علم وليس على جهل.. أنهم خير أمة في ذلك الزمان ﴿وَلَقَدْ اخْتَرْنَاَهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾^(١) وبعد ذلك نظروا إلى أنفسهم أن الأنبياء منا، ليس نبي ولا مئة بل ألوف الأنبياء منهم، وقالوا : ((نحن شعبُ الله المختار)) اختارنا وغيرنا شعب تافه.. فلما تعالوا على الناس صاروا أرذل الناس.

فما جاءت ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(٢) حتى تتعالى على الناس.

فعندما نذكر فضائل الدعوة، نذكر فضائلها ولا نغني أنفسنا لأننا لسنا دعاة .. لكن تذكر فضائل الدعوة وتعني نفسك؟؟ من أنت؟؟ ومتى صرت داعية؟؟ وهل صار عندك هم للدين؟؟ من منا بات ليلة واحدة وأصابه القلق في منامه لأن الدين ناقص عند جيرانه أو في بيته .. (كلام الهم شيء و الهم شيء آخر).

(١) سورة الدخان - الآية ٣٢ .

(٢) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

فنذكر الدعوة وفوائدها ونبرهن على أن أهلها هم الصحابة رضي الله عنهم **﴿وَالْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾** ^(١) ونتواضع ونقول يا ليتنا من خدام أهلها... فهذا التواضع ربنا ينورك وينور قلبك.. فما أحسن القديم عندما يخرج بنفسية الجديد.. لأن الجديد يخرج بنفسية الخوف وهو يتذكر ذنوبه، لكن القديم وهو يتذكر الأشهر التي خرجها.

فيا إخواننا الداعية هو الذي يعد سيئاته وينسى حسناته، لأن الحسنات ليست من عندنا **﴿(وَأَبَوُّا بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ)﴾** أي أن الحسنات نعمة الله **﴿(وَأَبَوُّا بِذُنُوبِي فَاعْفُرْ لِي)﴾** أي أن السيئات من عندي... فالحسنات نعمة الله ويسلبها إن شاء فاشكر ربنا حتى يثبت هذه النعمة وينسبها إليك.

لهذا يقول مشايخنا الكرام في النهار نجتهد جهد متعب، وبعد أكمل جهد نقوم في الليل حتى تنفي جهك ... فما أحسن النفي بعد الإثبات... فبعد أكمل جهد، الصحابة بعد ما رموا في بدر أحسن رمى، وقتلوا أحسن قتل نزلت **﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾** ^(٢) لكن لو واحد قاعد في البيت وقال : الله الذي رمى .. ماذا نفى هذا؟؟ نفى كسله.. بعد ما سيوفهم قتلت المشركين في بدر نزلت آية **﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾** ^(٣).

(١) سورة الفتح _ الآية ٢٦ .

(٢) سورة الأنفال _ الآية ١٧ .

(٣) سورة الأنفال _ الآية ١٧ .

فعندما نخرج جهد كامل بإذن الله وبعدها تأدب مع الله وقل هذه نعمة الله، وإن الله وفّقني لهذا الجهد، وتتواضع واذكر سيئاتك فالجهد بمزاج التواضع وبمزاج التقوى ينشر الدين وليس بمزاج التعاضم.. فنجدد الخروج مرة أخرى حتى نخرج بمزاج التقوى.. لا نرى أنفسنا أفضل من الذي ما خرج، لأن الخروج أفضل من القعود.. لكن ليس أنا أفضل منه، نفاضل بين الأعمال ولا نفاضل بين العمال.. لأننا لا نعرف ممن يتقبل الله.. ممن ربنا يتقبل؟؟ إنما يتقبل الله من الدعاة؟؟ من المجاهدين؟؟ صح آيتك واقرأها ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾^(١).

مرات يخرج الإنسان لأربع شهور يتغير ويتعب حتى يرضي ربه... وبعدها يسهل عليه أن يسخط ربه بالغيبة أو النسيمة.. يا رجل أربع شهور تغبرت حتى ترضيه وهان عليك سخطه؟ فإما أن تغتاب صاحبك، أو مأكّل من حرام أو من شبهة، أين تعبك، أين تعبك؟؟.

نظام الدنيا عندنا أول شيء ليس كيف أَرْضِي سلطان بلدي، بل كيف لا أغضبه حتى لا يضعني في السجن... أول هدف كيف ما أسخط السلطان.. فترك كل المحذورات لأني أخاف من سجنه.

(١) سورة المائدة _ الآية ٢٧.

لهذا دعوة نبينا والثبات عليه بمزاج الخوف قل يا محمد لماذا أثبت على الدعوة؟؟ ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾^(١) ربنا يعلم نبيه الثبات على الجهد بمزاج الخوف من عذابه بمزاج التقوى، حتى يسهل علينا ماذا؟؟ لما يكون الجهد والتعب أربع شهور بمزاج الخوف.. يسهل علينا ترك الغيبة بمزاج الخوف.. يسهل علينا ترك أكل الحرام بمزاج الخوف ﴿لَقَدْ كِدْتَ تَرْكُنْ إِلَيْهِمْ شَيْئًا قَلِيلًا﴾^(٢) ربنا يخوفه بمزاج الخوف، قال تعالى: ﴿إِذَا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾^(٤) هذه آيات مكية كلها التحذير من التهاون بالدعوة... { وَلَا تَرْكُنُوا } إلى بيئة القاعدين ... بيئة أهل الدنيا وتتركوا الدعوة ساعة من الزمن { فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ } .

الجهد بمزاج التقوى وبعدها يسهل عليك ترك الغيبة وترك النسيمة وترك أكل الحرام.

(١) سورة الأنعام _ الآية ١٥ .

(٢) سورة الإسراء _ الآية ٧٤ .

(٣) سورة الإسراء _ الآية ٧٥ .

(٤) سورة هود _ الآية ١١٣ .

جهد بمزاج التقوى تكون من أهل الفردوس الأعلى، رفع رجل يديه أمام الحسن البصري وقال: اللهم إني أسالك الفردوس الأعلى.. فقال له الإمام الحسن البصري: إلى جانبك رجل أقصى غاياته أن ربنا يرحمه عن نار جهنم يقصد به نفسه.. يعني لا أستطيع أن أسأل الله الفردوس الأعلى.. يستحي لأنه ما عنده أعمال تمكنه من الفردوس الأعلى.

سيدنا إبراهيم عليه السلام جمده بأي مزاج؟؟

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾^(١).

هذا إبراهيم عليه السلام.. جهد بمزاج لعل هذا الجهد بسببه ربنا يغفر لي خطيئتي.. وأي خطيئة؟؟ خطيئته أحسن من حسناتنا.

سحرة فرعون بأي مزاج ضحوا بأنفسهم؟

قال تعالى: ﴿قَالَ لِلْمَلَأِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ * يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ * قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ * يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ * فَجُمِعَ السَّحَرَةُ لِمِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ * وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُجْتَمِعُونَ * لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِنْ كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ * فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا

(١) سورة الشعراء - الآية ٨٢.

لِفِرْعَوْنَ أَتِنَّا لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ * قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا
لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ * قَالَ لَهُم مُّوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ * فَأَلْقَوْا
حِبَالَهُمْ وَعَصِيَّهِمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ * فَأُلْقِيَ
مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ * فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ
* قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ * رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ * قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ
قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِّنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ *
قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ * إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا
خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

لما جاء السحرة وقد جمعوهم من أقاليم بلاد مصر، وكانوا إذ ذاك
أسحر الناس وأصنعهم، وكان السحرة جمعاً كثيراً وجملاً غفيراً، قيل: كانوا
اثني عشر ألفاً، وقيل: خمسة عشر ألفاً، وقيل: غير ذلك، والله أعلم بعدتهم.
واجتهد الناس في الاجتماع ذلك اليوم، وقال قائلهم: { لَعَلَّنَا نَتَّبِعُ
السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ } ، ولم يقولوا نتبع الحق سواء كان من

السحرة أو من موسى، بل الرعية على دين ملكهم { **فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ** } أي إلى مجلس فرعون، وقد جمع خدمه وحشمه، ووزراءه ورؤساء دولته، وجنود مملكته، فقام السحرة بين يدي فرعون يطلبون منه الإحسان إليهم أن غلبوا فقالوا: { **أَيْنَ لَنَا لَأَجْرًا إِنْ كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ** * **قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذَا لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ** } أي وأخص مما تطلبون أجعلكم من المقربين عندي وجلسائي، فعادوا إلى مقام المناظرة { **قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ** * **قَالَ أَلْقُوا** } وقد اختصر هذا ههنا فقال لهم موسى: { **أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلْقُونَ** * **فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ** } وهذا كما تقول الجهلة من العوام إذا فعلوا شيئاً هذا بثواب فلان، { **فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ** } أي تخطفه وتجمعه من كل بقعة وتتبلعه فلم تدع منه شيئاً. قال الله تعالى { **فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ** } فكان هذا أمراً عظيماً، وبرهاناً قاطعاً للعدر، وحجة دامغة، وذلك أن الذين استنصر بهم وطلب منهم أن يغلبوا غلبوا، وخضعوا وآمنوا بموسى في الساعة الراهنة، وسجدوا لله رب العالمين الذي أرسل موسى وهارون بالحق وبالمعجزة الباهرة، فغلب فرعون غلباً لم يشاهد العالم مثله، وكان وقحاً جريئاً عليه لعنه الله والملائكة

والناس أجمعين، فعدل إلى المكابرة والعناد ودعوى الباطل، فشرع يتهدهم ويتوعدهم، ويقول: { إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ فَلَسَوْفَ تَعْلَمُونَ } تهدهم فلم ينفع ذلك فيهم، وتوعدهم فما زادهم إلا إيماناً وتسليماً، وذلك أنه قد كشف عن قلوبهم حجاب الكفر، وظهر لهم الحق من أن هذا الذي جاء به موسى لا يصدر عن بشر، إلا أن يكون الله قد أيده به وجعله له حجة، ودلالة على صدق ما جاء به من ربه، ولهذا لما قال لهم فرعون { آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ } ؟ أي كان ينبغي أن تستأذنوني فيما فعلتم ولا تفتاتوا عليّ في ذلك، فإن أذنت لكم فعلتم وإن منعتكم امتنعتم، فإني أنا الحاكم المطاع { إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السَّحَرَ } وهذه مكابرة يعلم كل أحد بطلانها، فإنهم لم يجتمعوا بموسى قبل ذلك اليوم، فكيف يكون كبيرهم الذي أفادهم صناعة السحر؟ هذا لا يقوله عاقل، ثم توعدهم فرعون { لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ } * قَالُوا لَا ضَيْرَ إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ { أي لا حرج ولا يضرنا ذلك ولا نبالي به، { إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ } أي المرجع إلى الله عز وجل، وهو لا يضيع أجر من أحسن عملاً، ولا يخفى عليه ما فعلت بنا وسيجزينا على ذلك أتم الجزاء، ولهذا قالوا: { إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا } أي

ما فارقنا من الذنوب وما أكرهتنا عليه من السحر، { **أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ** } أي بسبب أننا بادرنا قومنا من القبط إلى الإيمان، فقتلهم كلهم^(١).

فالسحرة الذين جمعهم فرعون ليكونوا من جنده فجعلهم الله من جند الحق، بأي مزاج استحقوا الشهادة وهانت عليهم أنفسهم، قالوا: { **إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطَايَانَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ** } يعني افعل يا فرعون ما تفعل لعل هذا السيف يكون سبيل لمغفرة الله لنا، جهد بمزاج التقوى. اليوم المجاهد نفخ حاله وحقر القاعد والداعي حقّر الجالس، جهد بمزاج التعاضل .

ربنا مدح الجهد بمزاج التقوى، قال تعالى: ﴿ **إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ** ﴾^(٢).

أعظم جهد: جهد الأنبياء وأصحاب الأنبياء، جهد كامل متواصل، قال تعالى: ﴿ **وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ** ﴾^(٣).

(١) مختصر تفسير ابن كثير _ تفسير سورة الشعراء.

(٢) سورة الحجر _ الآية ٤٥.

(٣) سورة آل عمران _ الآية ١٤٦.

ما دخل الوهن في قلوبهم ونحن كل يوم وكل ساعة يدخل الوهن في عظامنا.. جهد كامل متواصل.. وما هو دعائهم؟؟.

قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ قَوْلُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا﴾^(١) وهم في هذا الجهد متذكّرين إسرافهم وهم الأنبياء وأصحابهم.. ونحن نسينا إسرافنا ونحن نقوم بهذا الجهد.

هذا الجهد عظيم كيف ننتفع منه أحسن انتفاع؟؟

كما قلنا أن الله لا يضيع لنا ذرة في هذا الجهد ولكن كيف ننتفع منه أحسن انتفاع؟؟ لا بد من جهد بمزاج التقوى... شهور يخرج وضحي المسكين بعدها عندما تأتي فرصة أكل الحرام لا يبالي... وهو يغتاب أخوه الطيب أي قديم يغتاب قديم.. شيخ يغتاب شيخ.. ما هو الرأي؟؟ ليس بأن تتركوا الجهد.

أعظم مدرسة التي تخرج التقوى هي الجهد، لما قال قال تعالى: ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٢) ما كان عندهم حتى الآن لا صوم ولا حج.

ربنا ذكر الليل يخلف النهار والنهار يخلف الليل أعطانا فرصة الليل والنهار للجهد.. لكن نهار الآخرة ووقت الآخرة لا يصلح، قال تعالى: ﴿وَهُوَ

(١) سورة آل عمران _ الآية ١٤٧.

(٢) سورة الفرقان _ الآية ٧٤.

الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿١﴾

يا رب من أحسن ممن استغل ظرف النهار؟؟ فالنهار ظرف، وأحسن مَظروف أن تمشي إلى الجاهل.. فبدأ بجهد النهار، قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٢).

والله لو علم ربنا أن هناك مَظروف أحسن لهذا الظرف في النهار لوضعه.. أحسن نهار لموسى عليه السلام، قال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ ﴿٣﴾ أحسن الليل قول يا كريم وأحسن نهار تخلق بكرمه.. هذه التقوى..

(١) سورة الفرقان _ الآية ٦٢.

(٢) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧.

(٣) سورة طه _ الآية ٢٤.

بالليل تعلق قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾^(١) تعلق بكرمه حتى يكرمك بالجنة ويكرمك بالتقوى... وفي النهار إكرام أخوك.. في الليل يا حليم وفي النهار إتق الله بحملك واحلم على أخوك، النهار تخلق بهذا الحلم.. في الليل تدعو يا رحيم وفي النهار ارحم الخلق.. في الليل تدعو يا ودود وفي النهار تودد إلى أخوك اتق الله بالتودد إليه ليس بل عبس في وجهه والغضب عليه. ((البرشيء حين وجهه طليق وقول لين)) كلام من هذا؟؟ كلام ابن عمر رضي الله عنه، فقط معك الوجه الطليق والكلمة الطيبة وامشي وحافظ على هذا الوجه الطليق... هذا معنى قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِيتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(٢).

في الليل يا ودود، وعندما ربنا يتودد إليك لا يتودد لك بكاسة شاي ويشربك إيها.. بل يتودد لك بجنة عرضها السماوات والأرض وأنهار اللبن ويقول لك يا عدي هل رضيت؟؟ راضي عني.. يعطيك ويسترضيك.. قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ

(١) سورة المزمل - الآية ٨.

(٢) سورة الأنعام - الآية ١٢٢.

وُدًّا ^(١) حتى الله يتودد لك بجنة عرضها السماوات والأرض تود أخوك تودد، تودد لأخوك ببسمة صغيرة بالبسمة وتقول: يا رب أعطني جنة.

بالليل تدعو يا ودود وبالنهار تودد للخلق، بالليل تدعو يا غفور وبالنهار اغفر للناس.. (بالليل تعلق و في النهار تخلق) هذه مدرسة التقوى... هذه مدرسة مفتوحة ليس فقط بشهر رمضان.. بل رمضان وشعبان... أربعة وعشرين ساعة فتحت المدرسة ومنذ أن بعث النبي صلى الله عليه وسلم ولا تغلق حتى قيام الساعة... لا تنتظر حتى يأتي رمضان لتتعلم التقوى... إذا جاء رمضان زادهم تقوى ليس علمهم.

درجة الإمامة في التقوى ما كانت تعطى إلا للأنبياء، منزلة تليق بالنبي فقط، قال تعالى: ﴿ **قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا** ﴾ ^(٢) لكن لما شرف الله هذه الأمة أعطاها هذه المرتبة إذا قامت بهذا الجهد بحب التقوى وبمزاج التقوى... فأذن لهم بالدعاء حتى يستجيب لهم قال لهم ادعوا: ﴿ **وَالَّذِينَ**

يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴾ ^(٣) لكن يمشون بعد ما يبيتون.. لكن عندما لا نمشي إلى الناس في النهار ولا نصبر على الجاهل وندعوه إلى الله، ونكون بالنهار مع أولادنا نضحك وبالليل

(١) سورة مريم _ الآية ٩٦.

(٢) سورة البقرة _ الآية ١٤٢.

(٣) سورة الفرقان _ الآية ٦٥.

نتمازح.. ونرفع أيدينا ربنا ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١) أنت الآن إمام للغافلين ليس إمام للمتقين.. فقدم السبب على الدعاء.. أعظم سبب للتقوى يمشون إلى الجاهل.. يتق الله في الجهل.. وأنت اتق الله في العاقل... واحد كله شر وسترت عيوبه من أجل هدايته كيف لا أسر عيوب أخي المسلم؟؟ الوقوع في سخطه سهل وكسب مرضاته صعب أربع شهور جاهدوا.. لكن الغيبة والنميمة وأكل الحرام توقعك في سخطه ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ﴾^(٢) اتقوا الظن السيئ الآية حذرت من ثلاث أمور وقالت اتقوها.. أولها اتقوا الظن السيئ.. ما ظننت بإخواني والحمد لله طيبين... لكن واحد قال لي: أنت لا تعرفهم تعال معي أبين لك أحوالهم.. هذا اسمه تجسس.. لا تبحث عن عيوب إخوانك.. ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا﴾^(٣).

حسنت الظن وما تجسست وأنت قاعد أتاك الخبر اليقيني بدون سوء ظن و بدون تجسس... أخبرك عشرون واحد أن فلان فعل كذا كذا... وجاءك

(١) سورة الفرقان _ الآية ٧٤.

(٢) سورة الحجرات _ الآية ١٢.

(٣) سورة الحجرات _ الآية ١٢.

الخبر اليقيني بعيوبه...بعدها ﴿وَلَا يَغْتَبِ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾^(١) بعد مجيء

الخبر اليقيني، بدون تجسس وبدون سوء ظن.. استر عليه عيوبه.

الغيبة: معناها جأءك الخبر اليقيني بعيوبه... استر: ﴿أَيُّحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ

يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾^(٢) ماذا بعدها : ((وَاتَّقُوا اللَّهَ)) يا

خارجين أربع شهور، اتق الله.. وحسن الظن، اتق الله ولا تتجسس... اتق الله ولا تغتاب .

هذا الأمر بتقوى الله كان موجه إلى أكبر مجاهدين إلى أكبر دعاة في

العالم.. وربنا من فوق عرشه يطرق أذن سيد الخلق بالأمر بالتقوى: ﴿يَا

أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ﴾^(٣) أشرف منزلة ربنا جعلها منبع لكل خير.. فالتقوى

تنبع من مرتبة الإحسان لن تكون محسن في جهتك وأنت ما عندك تقوى لأكل الحرام ولا الغيبة ولا النميمة.

ومن التقوى ينبع بعد ذلك مرتبة الصبر، لخص سيدنا يوسف عليه

السلام معاملته لربه، بالرق وفي السجن وهو على خزائن مصر بكلمتين: ﴿إِنَّهُ

(١) سورة الحجرات _ الآية ١٢ .

(٢) سورة الحجرات _ الآية ١٢ .

(٣) سورة الأحزاب _ الآية ١ .

مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ^(١) وضعوني في الحب واتقيت الله وما وضعت في قلبي
الحقد عليهم، أي اتقى الله في إخوانه واتقى الله في الذين سجنوه، وما دعا
عليهم، ودبر لهم خطة اقتصادية تنقذ ميزانية مصر من إفلاس سبع سنين ما
قال: هؤلاء يستحقوا ذلك لأنهم طواغيت.. واتقى الله في التي فتنته وما حول
القضية على امرأة العزيز، اسألوا امرأة العزيز.. بل قال: ﴿مَا بَالُ النِّسْوَةِ
اللاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾^(٢) ستر عليها: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ﴾^(٣) هذه
خلاصة جهد سيدنا يوسف (تقوى وصبر).

المنافقين يكيّدوا للسليين؟؟

لكن لا نستطيع أن نحمل سيوفنا ضد المنافقين لأنهم يقولوا لا اله إلا الله...
فلو أحدهم قال: افرض أن هذا المسلم عنده عيوب ، نقول له: لكن لا تصل
عيوبه إلى عيوب المنافقين.

فكيف المسلمون يتقوا شر المنافقين؟؟ نتقي شر الكفار بالسيف، لكن لا
يستطيع الرسول أن يشهر سيفه ويقطع رأس عبد الله بن أبي، فقد حدث بعد
غزوة المريسيع سنة ست من الهجرة ورد الناس الماء ، وفيهم عمر ، ومع
عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَجِيرٌ لَهُ مِنْ بَنِي غِفَارٍ ، يُقَالُ لَهُ جَهْجَاهُ بْنُ مَسْعُودٍ يَقُودُ

(١) سورة يوسف _ الآية ٩٠.

(٢) سورة يوسف _ الآية ٥٠.

(٣) سورة يوسف _ الآية ٩٠.

فَرَسَهُ ، فَازْدَحَمَ جَهْجَاهَ وَسِنَانُ بْنُ وَبَرٍ الْجُهَنِيُّ - حَلِيفُ بَنِي عَوْفِ بْنِ الْخَزْرَجِ - عَلَى الْمَاءِ فَاقْتَتَلَا ، فَصَرَخَ الْجُهَنِيُّ : يَا مَعْشَرَ الْأَنْصَارِ ، وَصَرَخَ جَهْجَاهُ : يَا مَعْشَرَ الْمُهَاجِرِينَ ، فَغَضِبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَعِنْدَهُ رَهْطٌ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالَ : مَا مَثَلُنَا وَمِثْلُهُمْ إِلَّا كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ : سَمَنْ كَلْبِكَ يَأْكُلُكَ ، أَمَا وَاللَّهِ لئن رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى مَنْ حَضَرَهُ مِنْ قَوْمِهِ فَقَالَ لَهُمْ : هَذَا مَا فَعَلْتُمْ بِنَفْسِكُمْ ؛ أَحَلَلْتُمُوهُمْ بِلَادَكُمْ ، وَقَاسَمْتُمُوهُمْ أَمْوَالَكُمْ ، أَمَا وَاللَّهِ لوْ أَمْسَكْتُمْ عَنْهُمْ مَا بِأَيْدِيكُمْ لَتَحَوَّلُوا إِلَى غَيْرِ دَارِكُمْ .

فَسَمِعَ ذَلِكَ زَيْدُ بْنُ أَرْقَمَ فَمَشَى بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَذَلِكَ عِنْدَ فَرَاغِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ عَدُوِّهِ فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ ، وَعِنْدَهُ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ، فَقَالَ : مُرْ بِهِ عَبَادُ بْنُ بَشْرٍ فَلْيَقْتُلْهُ . فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «فَكَيْفَ يَا عُمَرُ إِذَا تَحَدَّثَ النَّاسُ أَنَّ مُحَمَّدًا يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ؟ لَا وَلَكِنْ أَدْنُ بِالرَّحِيلِ» . وَذَلِكَ فِي سَاعَةٍ لَمْ

يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَرْتَحِلُ فِيهَا ، فَارْتَحَلَ النَّاسُ . وَقَدْ مَشَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنُ سُلُولٍ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حِينَ بَلَغَهُ أَنَّ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ قَدْ بَلَغَهُ مَا سَمِعَ مِنْهُ ، فَحَلَفَ بِاللَّهِ مَا قُلْتُ مَا قَالَ وَلَا تَكَلَّمْتُ بِهِ . - وَكَانَ فِي قَوْمِهِ شَرِيفًا عَظِيمًا - ، فَقَالَ مَنْ حَضَرَ رَسُولَ

اللَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْأَنْصَارِ مِنْ أَصْحَابِهِ : يَا رَسُولَ اللَّهِ عَسَى أَنْ يَكُونَ الْغُلَامُ قَدْ أَوْهَمَ فِي حَدِيثِهِ وَلَمْ يَحْفَظْ مَا قَالَ الرَّجُلُ .

فَلَمَّا اسْتَقَلَّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَارَ لِقِيَاهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ ، فَحْيَاهُ بِتَحِيَّةِ النَّبُوءَةِ وَسَلَّم عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ : يَا نَبِيَّ اللَّهِ وَاللَّهِ لَقَدْ رُحْتُ فِي سَاعَةٍ مُنْكَرَةٍ مَا كُنْتُ تَرَوْحُ فِي مِثْلِهَا؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : «أَوْ مَا بَلَغَكَ مَا قَالَ صَاحِبُكُمْ» ؟ قَالَ : وَأَيَّ صَاحِبٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟ قَالَ : «عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي» . قَالَ : وَمَا قَالَ ؟ قَالَ : « زَعَمَ أَنَّهُ إِنْ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَ الْأَعَزَّ مِنْهَا الْأَذْلَّ » . قَالَ : فَأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَاللَّهِ تَخْرِجُهُ مِنْهَا إِنْ شِئْتَ ، هُوَ وَاللَّهِ الدَّلِيلُ وَأَنْتَ الْعَزِيزُ . ثُمَّ قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ أُرْفُقْ بِهِ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ جَاءَنَا اللَّهُ بِكَ ، وَإِنْ قَوْمَهُ لَيَنْظِمُونَ لَهُ الْخَزَرَ ؛ لِيَتَوَجَّوهُ ، فَإِنَّهُ لَيَرَى أَنَّكَ قَدْ اسْتَلَبْتَهُ مُلْكًا . وجاء ابنه إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، إِنَّهُ بَلَغَنِي أَنَّكَ تُرِيدُ قَتْلَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي فِيمَا بَلَغَكَ عَنْهُ ، فَإِنْ كُنْتَ لَا بُدَّ فَاعِلًا فَمُرْنِي بِهِ ، فَأَنَا أَحْمِلُ إِلَيْكَ رَأْسَهُ ، فَوَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُ الْخَزَرَ جُ مَا كَانَ لَهَا مِنْ رَجُلٍ أَبْرَ بِوَالِدِهِ مِنِّي ، وَإِنِّي أَخْشَى أَنْ تَأْمُرَ بِهِ غَيْرِي فَيَقْتُلَهُ فَلَا تَدْعُنِي نَفْسِي أَنْظُرُ إِلَى قَاتِلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي يَمْشِي فِي النَّاسِ فَأَقْتُلُهُ ، فَأَقْتُلَ رَجُلًا مُؤْمِنًا بِكَافِرٍ ، فَأَدْخُلَ النَّارَ . فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « بَلْ نَتَرَفَّقُ بِهِ ، وَنُحَسِّنُ صُحْبَتَهُ مَا بَقِيَ

مَعَنَا » وَجَعَلَ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا أَحْدَثَ الْحَدَّثَ كَانَ قَوْمُهُ هُمُ الَّذِينَ يُعَاتِبُونَهُ وَيَأْخُذُونَهُ وَيُعَفِّفُونَهُ ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ حِينَ بَلَغَهُ ذَلِكَ مِنْ شَأْنِهِمْ : « كَيْفَ تَرَى يَا عُمَرُ ، أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ قَتَلْتَهُ يَوْمَ قُلْتَ لِي أُقْتَلُ لَأَرْعَدْتَ لَهُ أَنْفٌ لَوْ أَمَرْتَهَا الْيَوْمَ بِقَتْلِهِ لَقَتَلْتَهُ » ؛ فَقَالَ عُمَرُ : قَدْ وَاللَّهِ عَلِمْتُ لَأَمُرُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَعْظَمَ بَرَكَةً مِنْ أَمْرِي ^(١)

وصدق الله: ﴿ وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ۖ ﴾ ^(٢).

فأعظم فتنة سلط الله عليهم الأمر بالتقوى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً ﴾ ^(٣). فتنة الاختلاف سلط عليا الضوء وأفردها بسورة الأنفال.. وكل الفتن نتقيها لكن شر فتنة، ولو ملأت الأرض جهد وعملت مشكلة وأوقعت الخلاف بين الناس.. يا ليتك ما اجتهدت، فالقاعد والمسلمين سالمون من شرها أحسن من الخارج وشره على الناس، فأول مرتبة في الإسلام ، أن يسلم المسلمون من لسانك ويدك، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " المسلم من سلم المسلمون من لسانه

(١) سيرة ابن هشام (٢٩١-٢٩٣) بتصرف يسير ..

(٢) سو آل عمران _ الآية ١٢٠.

(٣) سورة الأنفال _ الآية ٢٥.

ويده، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه " متفق عليه^(١) .. أول مرتبة لم

تحققها!! فكيف ستحقق المراتب العليا في الإسلام؟؟

قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً
وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ
فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

قال البخاري: الأنفال المغنم، عن سعيد بن جبير قال، قلت لابن عباس رضي الله عنهما سورة الأنفال، قال: نزلت في بدر، وروي عن ابن عباس أنه قال: الأنفال الغنائم، كانت لرسول الله صلى الله عليه وسلم خالصة ليس لأحد منها شيء وكذا قال مجاهد وعكرمة وعطاء والضحاك وقتادة ومقاتل بن حيان وغير واحد أنها المغنم .

سبب نزول الآية : قال الإمام أحمد عن أبي أمامة قال: سألت عبادة عن الأنفال، فقال: فينا أصحاب بدر نزلت، حين اختلفنا في النفل وساعت فيه

(١) رياض الصالحين _ باب تحريم الظلم والأمر برد المظالم.

(٢) سورة الأنفال _ الآية ٢٥.

(٣) سورة الأنفال _ الآية ٢٥.

أخلاقنا، فاتنزهه الله من أيدينا، وجعله إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم
فقسمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بين المسلمين عن بواء، يقول: عن
سواء.

وقال الإمام أحمد أيضاً عن عبادة بن الصامت قال: خرجنا مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم فشهدت معه بدرًا، فالتقى الناس فهزم الله تعالى العدو،
فانطلقت طائفة في آثارهم يهزمون ويقتلون، وأقبلت طائفة على العسكر
يحوزونه ويجمعونه، وأحدثت طائفة برسول الله صلى الله عليه وسلم لا
يصيب العدو منه غرة حتى إذا كان الليل، وفاء الناس بعضهم إلى بعض، قال
الذين جمعوا الغنائم: نحن حويناها فليس لأحد فيها نصيب، وقال الذين
خرجوا في طلب العدو: لستم بأحق به منا، نحن منعنا عنه العدو وهزمناهم،
وقال الذين أحرقوا برسول الله صلى الله عليه وسلم: خفنا أن يصيب العدو
منه غرة فاشتغلنا به، فنزلت: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} فقسمها رسول الله
صلى الله عليه وسلم بين المسلمين، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
إذا أغار في أرض العدو نفل الربيع، فإذا أقبل راجعاً نفل الثلث، وكان يكره
الأنفال "رواه أحمد والترمذي وابن ماجه وقال الترمذي: هذا حديث صحيح".
وروى أبو داود والنسائي وابن مردويه واللفظ له، عن عكرمة عن ابن عباس
قال: لما كان يوم بدر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من صنع كذا
وكذا فله كذا وكذا) فتسارع في ذلك شبان القوم وبقي الشيوخ تحت

الرايات، فلما كانت المغنم جاءوا يطلبون الذي جعل لهم، فقال الشيوخ لا تستأثروا علينا فإننا كنا ردءاً لكم لو انكشفتم لفئتم إلينا؛ فتنزعوا، فأنزل الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ}، وقال الإمام القاسم بن سلام رحمه الله في كتاب الأموال الشرعية: أما الأنفال فهي المغنم، وكل نيل ناله المسلمون من أموال أهل الحرب فكانت الأنفال الأولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم، يقول الله تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ} فقسمها يوم بدر على ما أراه الله من غير أن يخمسها، ثم نزلت بعد ذلك آية الخمس فنسخت الأولى، قلت: هكذا روي عن ابن عباس، وبه قال مجاهد وعكرمة والسدي، وقال ابن زيد: ليست منسوخة بل هي محكمة، والأنفال أصلها جماع الغنائم إلا أن الخمس منها مخصوص لأهله على ما نزل به الكتاب وجرت به السنة. ومعنى الأنفال في كلام العرب: كل إحسان فعله فاعل تفضلاً من غير أن يجب ذلك عليه، فذلك النفل الذي أحله الله للمؤمنين من أموال عدوهم، وإنما هو شيء خصهم الله به تفضلاً منه عليهم، بعد أن كانت الغنائم محرمة على الأمم قبلهم، فنفلها الله تعالى هذه الأمة فهذا أصل النفل. وشاهد هذا ما في الصحيحين: (وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي) وذكر تمام الحديث.

فتنة الاختلاف؛ لو إثنين اختلفوا لا يقولوا إثنين بل يقولوا أهل الدعوة اختلفوا... المسلم مرآة للإسلام... مرآة لدينه كله... مرآة للمجتمع الإسلامي فالكفار عندما تكلموا على الإسلام وذموه لم يقرأوا كتب بل عندما رأوا أهله... يقولوا أهل الدين تقاتلوا.

وما نزلت هذه الآية في الصحابة، استمر الخلاف بينهم شهرين.. فقط تسألوا خمس دقائق نحن أحق بالأنفال الشباب يقولوا نحن أحق بالأنفال والأنصار يقولوا نحن أحق بالأنفال وبعدها أحوالوا القضية على الرسول ﷺ، وبعدها نزل قرآن يجيب على التسأل والمسألة التي حولها على الشرع.. وهي كيف نعمل بالأنفال: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} فالسؤال رقم واحد و ربنا جعل الجواب في آية رقم أربعين... أولاً هيأهم (التقوى قبل الفتوى)... فأول آية في سورة الأنفال، لكن يا معشر الصحابة يا معشر أهل بدر وهم سادة الخلق قبل الجواب {اتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ} ولا تختلفوا (ما في تقوى وما في جواب) (بدون تقوى ما في فتوى)... لو كل الناس قالوا: هذا حرام وأنت نفسك تحب فعله... تتجاوز كل الفتوى.

ونحن خلفنا يستمر سنين وما في تقوى.. ﴿أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾^(١). من هؤلاء؟؟ أهل بدر أن مرة ثانية لا تختلفوا.. ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ * وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُّعْرِضُونَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾^(٣).

جهد مع (وحدة الصف) جهد مع (وحدة الكفر).. هذا الجهد الذي يحيى ليس جهد مع الخلاف، رأيك غير رأي، فطريق التقوى هو الجهد حسب الأصول، كما قال الشيخ جمشيد: (جهد الرسول بإتباع الأصول، حسب الأصول طريق الوصول)، ليس طريق التقوى الجهد على كيفك! ليس فاستقم كما أحببت بل ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾^(٤) هذا التقوى... لكن كما أحببت سهل تخرج إلى مكان تحبه

(١) سورة الأنفال - الآية ٢٥.

(١) سورة الأنفال - الآيتان ٢٢، ٢٣.

(٢) سورة الأنفال - الآية ٢٥.

(٤) سورة هود - الآية ١١٢.

وتختاره الجماعة التي بدك إيها هم ويا الله شمة هوى.. وآخر شيء تشاور الأمير، نريد أن نذهب إلى البلد الفلاني، فالمسكين ماذا سيقول الله في هذا الجهد؟؟ ما قال وأمتك. وما قال من آمن.. وقال: { وَمَنْ تَابَ مَعَكَ }.

فأول عبودية تقول لا إله إلا الله، والتوبة من عبادة الأصنام، فأول عبودية التوبة، وبعد التوبة الدعوة، فالدعوة ورثتهم التقوى، ومع استمرار التضحية هناك منزلة خصوصية في التقوى هي الإمامة خواص الأتقياء... (التوبة فالدعوة فالتقوى فالإمامة وآخر مرحلة الخلافة) ... الآن لا يوجد استخلاف ولا إمامة ولا تقوى ولا دعوة ولا توبة إلا من رحم ربي.. وإنشاء الله تكونوا ممن رحمهم ربي. كل الحاضرين إن شاء الله مرحومين..

أول عبودية: أن عابد الصنم تاب وقال لا إله إلا الله وانتهى الشرك.. وبعد

هذه التوبة ربنا فرض الصيام أم الحج؟؟ فرض الدعوة.

أول عبادة مفروضة في أي سنة؟؟

في السنة العاشرة للبعثة وصيام كصيامه بعد أربعة عشر سنة من البعثة.. وحج كحجه بعد عشرين سنة من البعثة.. ولكن من أول يوم دعوة كدعوته.

التوبة فالدعوة فالتقوى فالإمامة ﴿وَجَعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(١) حتى الآن ما في صيام ولا حج.. لما نزل قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٢). ربنا يمدح من فوق عرشه أعظم عبودية نشأت على الأرض.. فالمقصد الذي خلقنا الله من أجله ما سماه دعوة بل سماه عبادة.. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣).

خلق الأنبياء حتى يعبدوه، وخلق موسى عليه السلام حتى يعبد.. والدعوة وسيلة لتحقيق أكمل عبودية وأعظم عبودية ولحفظ العبودية ولتقوية العبودية ولنشر العبودية.

وبدون الدعوة العبودية ضعيفة، سرعان ما يفتن صاحبها، لهذا ربنا لا يقول والدعاة ، بل قال: {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ} لأنهم حققوا أعظم عبودية عن

(١) سورة الفرقان _ الآية ٧٤.

(٢) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧.

(٣) سورة الذاريات - الآية ٥٦.

طريق الدعوة... بالنهار يمشي إلى الكافر ويدعوه إلى الله، وفي الليل كانوا يتعبدون بالسجود والركوع تعبدًا وفي النهار يمشون تعبدًا والمقصد واحد.

أيهما أعلى مستوى زمن أعظم عبادته صلى الله عليه وسلم بالليل ساجداً، أم في النهار ماشياً إلى أبو جهل؟؟ نفس المستوى.. نفس المقصد.. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾^(١) في بعض التفاسير ليس معناها ابق ساجداً ولا ترفع رأسك بل هو مقام أربعة وعشرين ساعة، تسجد أخلاقك، سجد جهدك، سجد مقصدك، إمشي إلى الناس.. فجسمك يمشي وروحك ساجدة.. فكرك ساجد لله، تعلق بالله بالسجود وتعلق بالله وأنت تمشي إلى الجهال {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ} يعني يعبدوني وهم يمشون، ويسترحمونني وهم يمشون.

فلو صفة العبادة إلى هذا الاسم المبارك {الرَّحْمَنِ} فعندما تقول {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} في الفاتحة كيف تعمل علاقة مع الرحمن؟؟ {إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} فلا يوجد نسب بين البشر وبين الله فلا يوجد أعمام للرحمن ولا أخول!! ماذا لديه؟؟ عباد، (الله أرحم بخلقه؟ ولا بعبدته؟) إبليس مخلوق لكن لا ينال ذرة من رحمة، فعن عمر بن الخطاب قال : قدم على النبي ﷺ سبي فإذا امرأة من السبي قد تحلب ثديها تسعى إذا وجدت صبياً في

(١) سورة الحجر - الآية ٩٨.

السبي أخذته فألصقته ببطنها وأرضعته فقال لنا النبي ﷺ : " أترون هذه

طارحة ولدها في النار ؟ " فقلنا : لا وهي تقدر على أن لا تطرحه فقال : "

لله أرحم بعباده من هذه بولدها " متفق عليه^(١)

فهذا الجلسة تسترهم رحمة ربنا فهو رحمن لا تستطيع أن تتصور

قدرها.. إذا ربنا يقول في المشهد { وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ } .

صنفان:

صنف يشتري لهو الحديث: قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ

الْحَدِيثِ يُضِلُّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَٰئِكَ لَهُمْ

عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾^(٢)

والصنف الآخر: يحقق أعظم عبودية ألا وهي: التضحية، قال تعالى: ﴿

وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ

﴾^(٣) .

ما هو حظه من التضحية في سبيل الله؟؟.

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب الدعوات _ باب سعة رحمة الله تعالى ٧٣٢/٢ .

(٢) سورة لقمان - الآية ٦ .

(٣) سورة البقرة - الآية ٢٠٧ .

رأفة الله.. منك التضحية ومني الرأفة { وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ
 {فتستحق الصحابة رأفة ربنا.

فخلاصة جهد سيدنا يوسف : ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا
 يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (١).

بماذا حقق الصبر والتقوى؟؟ بجهد الدعوي.. (حب الخير للغير).
 فلخص معاملته لربه: ﴿ إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ
 الْمُحْسِنِينَ ﴾ (٢).

ولخص معاملته ربه له: ﴿ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ ﴾ (٣) وقع في
 الحب ولكن وقع للطف.. الرق لطف.. متى تعرف صفة اللطف؟؟ عندما تأتي
 نازلة وأحوال مثل سيارة انقلبت عشر قلبات وكان من المفروض عظامك
 تتكسر، لكن الله لطف الحمد الله (يا لطيف لم تزل أطف بنا في منزل).. فلما
 تأتي النازلة وعندك صبر وتقوى ربنا سيطلق فيك.. وأعظم نازلة مصيبة
 الموت وإذا تجد الحوريات تضحك في وجهك و تهون عليك الموت.

(١) سورة يوسف- الآية ٩٠.

(٢) سورة يوسف- الآية ٩٠.

(٣) سورة يوسف- الآية ١٠٠.

فالدعوة فالتقوى.. لكن الدعوة بمزاج التقوى، أطلبها من ربنا.. إما أن
 تزني يا يوسف وإما نضعك في السجن: ﴿وَلَكِنْ لَّمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لِيُسْجَنَنَّ﴾
 ﴿^(١) فالذي يتقي الله ماذا سيقول؟؟ والله لا أرتكب حرام ولو ذبحوني ، فعندما
 خير بين السجن وارتكاب الحرام، فوراً ما تردد: ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ
 إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ^(٢) .

فلما يعرض عليك حرام وتختار السجن هذه هي التقوى، لا تقول أن لي
 رخصة لارتكاب الحرام لأني سأسجن، أو لي رخصة لأن الأحوال لا تساعد
 على التقوى فترتكب الحرام، وكم خارج أربع شهور؟ أربع شهور تعبان حتى
 ترضي ربك: ﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ﴾ ^(٣) لهذا
 قال: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ^(٤) .

متى جاء الإحسان، بعدها يأتي التقوى.. ما في تقوى فكيف تريد أن
 تحسن؟؟ (إذا أحب الله عبداً جمع له بين الإحسان والخوف) يتقي خايف على

(١) سورة يوسف - الآية ٣٢ .

(٢) سورة يوسف - الآية ٣٣ .

(٣) سورة يوسف - الآية ٣٣ .

(٤) سورة يوسف - الآية ٩٠ .

نفسه ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴾ (١).

من الخير وجهد { قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } .. (إذا أحب الله عبداً جمع له بين الإحسان والإشفاق) .. (وإذا مقت الله عبداً جمع له بين الإساءة والأمن)... لم يعمل شيء من الأعمال الصالحة، ويرى نفسه شيخ المتقين... (بين الإساءة والأمن) ... ونريد أن نكون مع من؟؟ مع الجماعة { وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ } أربع أشهر خارج أو سنة خارج وخايف على حالك... فمن مستعد جهد بمزاج التقوى؟؟... ونجد أن نخرج مرة ثانية بمزاج التقوى.



(١) سورة المؤمنون - الآية ٦٠.

الفرق

بين نبي الله معلماً ونبي الله داعية

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾^(١).

فمقصد حياتنا { أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ }.

وعن معاوية رضي الله عنه قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين" متفق عليه^(٢).

(١) سورة الشوري - الآية ١٣.

(٢) رياض الصالحين - باب العلم.

فلا نستطيع إقامة الدين إلا إذا فقهنا الدين، فمقصد حياتنا ومقصد وجودنا إقامة الدين والفقه في الدين.

ما هو الدين؟؟

هو حياة نبينا ﷺ، وفي حياته دين يومي، وفيه دين بالعُمر مرة مثل الحج دين لكن فعله مرة في العُمر، الصيام دين و لكن ليس كل يوم يصوم.. لهذا قالوا أن الدين الذي يتكرر والعبادة اليومية التي ما في يوم خلا منها أربع أنواع من الدين.. كل يوم يُعلم أصحابه أولاً: التعليم و التعلّم... نحن عندنا جهد التعلّم والتعليم ، النبي ﷺ، كان يتعلم من جبريل ويُعلّم أصحابه ومن تبعه وآمن به يومياً ويجلس معهم، وما في يوم حَجَبَ نفسه عن أصحابه (يوم أجازة).. مثل مُدرس في الجامعة الجمعة والسبت عطلة.. لا يوجد جمعة وسبت عطلة عند الرسول ﷺ يومياً يُعلم الناس الذين دخلوا في الدين الطيبين.. و الغير طيب المُتعبّد عن الدين يعبد الدنيا ومتوجه إليها، يومياً يرغب ويدعوه إلى الله.. (الدعوة والتعلم) ويومياً دعاء مع بكاء أمام الله. واستغفار (العبادات والذكر) ويومياً تراه يبتسم في وجوه أصحابه ويخدم أهله (الأخلاق والخدمة) هذه أعمال يومية... ليست شهرية بل يومية. لكن ليس يومياً يصوم ولا يومياً يقاتل ولا يومياً يحج ولا يومياً يعتمر إذاً هذه الأربع أعمال لا يوجد يوم من الأيام عمل واحد توقف التعليم والتعلم والدعوة، والعبادات والأخلاق والخدمة.. محاسنة الخلق.

وفي هذه الجلسة المباركة في هذه الصبيحة نُبين ما هو الفرق بين شخصية نبينا ﷺ وهو يُعلم وبين شخصيته حين يدعو؟؟ وما الفرق بين كلمة دعوة وتعليم؟؟ وما الفرق بين مطالب الدعوة و مطالب التعليم؟؟

عندما نخرج نقوم بحلقة التعليم يومياً.. هذا التعليم لا نسميه دعوة وهي جزء من الحياة الدعوية.. فالحياة الدعوية مجموعة أربعة أعمال.. كما أن الصلاة لا تسمى صلاة بالركوع وحده.. لها أربع هيئات، إما تجد المصلي راکعاً أو ساجداً أو قائمة أو جالساً للتحيات.. أيضاً للداعي أربع هيئات فإما أن تجده يخدم أو تجده يُعلم أو يتعلم أو تجده يدعو الله سبحانه وتعالى ويعبّد ويذكر أو تجده خارج يتجول على الناس و يدعو إلى الله.. إما داعياً أو في العلم، أو في العبادات، أو في الخدمة.. أربع هيئات.

فلا نقول من أفضل؟؟ نبي الله راکعاً أو ساجداً؟؟ فالصلاة لا تصح إذا توقف الركوع وقفرت عنه ولو كان السجود ((أقرب ما يكون العبد إلى ربه و هو ساجد)) وقلت أريد أن أكون قريب وتجاوزت عن الركوع فلا تصح الصلاة.. وهكذا لا تكون داعية إذا توقف عمل من الأعمال... فحتى تكون داعية كامل يجب الإشتغال بالأربع أعمال... لكن الله لا يظلم مثقال ذرة. الآن المذاكرة بعنوان (الفروق بين نبي الله معلماً ونبي الله داعية)، فعندما تقول نبي الله معلماً شرفنا التعليم لأنه جهد نبوي، وعندما نقول نبي الله داعية شرفنا الدعوة لأنها جهده، ولأن كل ما خرج من بدنه لا يثمن

بِثْمَن، الذي يُثْمَنُهُ رَبُّنا فخير من عِلْمٍ هو ﷺ .. إذاً التفريق ليس بين جهد وجهد، هذا نور العلم، وهذا نور الدعوة، فما الأعمال، لا بل كلها مرفوعة كما قلنا إن هذا الدين للناس {أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ} .حتى نقيم الدين في الناس، ينقسم الناس إلى قسمين: إلى الراغبين في الدين وغير الراغبين في الدين.. ناس في النور وناس في الظلمة أي ظلمة؟؟ ظلمة المعصية ظلمة الكفر ظلمة حب الدنيا والتعلق بها.

فمقصد الدعوة: إخراج الناس من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة من بيئة

الظلمة إلى البيئة النورانية قال تعالى: ﴿الرَّ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ ^(١) مثل إنسان ما عنده رغبة في الدين تقول له: ﴿جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ ^(٢) وأنهار من لبن فيقول: خليها لك هذا لا نقول من يُعَلِّمُهُ لا يريد أن يتعلم بل من يرغبه من يدعوهُ.

فجهد الدعوة على الناس، لدعوة الناس الذين لا يرغبون في الدين (غير الراغبين) وأحياناً إنسان مُتدين وعنده رغبة في كل شيء ولكن ما عنده رغبة في الدعوة، أيضاً نرغبه ونذكر له فضائل الدعوة، لأن عنده ظلمة عدم

(١) سورة إبراهيم - الآية ١ .

(٢) سورة البقرة - الآية ٢٥ .

حُبُّ للدعوة قد لا يكون عنده رغبة في قيام الليل، لكن الظلمة الكاملة هي ظلمة الكفر، لكن الذي يأتي إلى المسجد يوجد عنده بعض الظلمة، فكيف نجتهد على بعض ﴿لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾^(١).

فجهد الدعوة على غير الراغبين، أين كان يجتهد سيدنا لوط؟؟ على أهل الخبائث... هل أهل الخبائث يصلحوا أن ندخلهم المعاهد الشرعية؟؟. إذاً الذي تجتهد عليه لا يصلح أن يكون طالب علم.. فكان لوط عليه السلام يجتهد على أهل الخبائث حتى يصبحوا أهل الطيبات فمقصد الدعية: كيف أهل القبائح يصيروا أهل ملاح؟؟ ومقصد التعليم: كيف أهل الملاح يتفقهوا بالأحكام الشرعية؟؟ فرسول الله معلماً مع أصحابه مع أبو بكر وعمر، و داعية مع أبي جهل و أمثاله.. وهكذا ربنا يحدد ميدان جهد الداعية (أن انت القوم الطيبين؟؟) لا بل ﴿وَإِذْ نَادَى رَبُّكَ مُوسَى أَنْ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢) حتى يصيروا أولياء الله، حتى ينتهوا عن الظلم.

(١) سورة إبراهيم - الآية ١ .

(٢) سورة الشعراء - الآية ١٠ .

أين جهد سيدنا موسى؟؟ وأين ميدان دعوته؟؟

قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ

فُظْلَمُوا بِهَا فَاَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١)

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ

وَمَلَأِهِ بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ

فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿اِذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ

مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَأِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ﴾ (٥)

(١) سورة الشعراء - الآية ١٠٣ .

(٢) سورة يونس - الآية ٧٥ .

(٣) سورة هود - الآيتان ٩٦ ، ٩٧ .

(٤) سورة طه - الآية ٢٤ .

(٥) سورة المؤمنون - الآيتان ٤٥ ، ٤٦ .

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ * إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَقَارُونَ فَقَالُوا سَاحِرٌ كَذَّابٌ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿وَفِي مُوسَىٰ إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾^(٢)

وهل فرعون عنده رغبة في الدين؟.

الفرق بين الداعي والمعلم:

الفرق الأول:

ميدان التعليم على الناس الطيبين، (على الراغبين) ويكون في المسجد في المدرسة، فتجد المعلم إما في المسجد وإما في المدرسة أو في الجامعة، لكن ميدان الدعوة (على غير الراغبين).

الفرق الثاني:

حتى يصبح عندك عبادة التعليم والتعلم لا تحتاج أن تحرك قدمك من بلد إلى بلد بل يضعف تعلمك وأنت تتحرك فلا بد أن تسكن وتجلس حتى تستوعب.. فرسول الله معلماً لا يمشي في الأسواق حتى يعلم الناس بل

(١) سورة غافر - الآيتان ٢٣، ٢٤.

(٢) سورة الذاريات - الآية ٣٨.

يجلس في المسجد والصحابة يأتون لتلقي العلم.. (فالعلم لا يأتي بل يؤتى إليه) ^(١) فالذي تجتهد عليه يسمى طالب، مُحِب، ومن المطلوب؟ أنت.

فالتالِب الذي يتحرك إلى أستاذه، (فالعلم يؤتى)، لكن رسول الله لا يستطيع أن يقول يا أبا جهل تعال إلي في المسجد، فالذي ما عنده رغبة تمشي إليه، لهذا المشهد الدعوي في القرآن دائماً في مشي ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مِينًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي

(١) يحكى ان هارون الرشيد أقوى الخلفاء في ذلك الوقت أرسل الى مالك بن أنس قائلاً: هل تقبل أن تأتي إلى العراق لتعلم أولادي من علمك؟ فرد عليه مالك بن أنس: بكل ثقة قائلاً: يا أمير المؤمنين أعزك الله .إن العلم خرج منكم .فإن أعزتموه يعز. وإن أذلتموه يذل . يا أمير المؤمنين ! العلم يؤتى ولا يأتي. فلم يستطع الخليفة الغضب .وقال : صدقت. فليخرج الأولاد الى مالك . فاشتراط مالك بن انس ألا يتخطو الرقاب وأن يجلسوا حيث انتهى بهم المجلس. ومن الطريف أن أتى هارون الرشيد المدينة وأرسل إلى مالك أن يأتي إليه ليعلمه العلم فأعاد مالك له نفس العبارة: العلم يؤتى ولا يأتي.

فقال هارون الرشيد :إذا آتيك ولكن قل للناس أن ينصرفوا حتى أنتهي ثم يحضروا هم للدرس. فقال مالك : يا أمير المؤمنين .إن العلم اذا اختص به الخاصة دون العامة .لم يستفد به لا الخاصة ولا العامة. فحضر هارون الرشيد للدرس .فأشار مالك لتلاميذه أن يجلس حيث انتهى المجلس. فقام حاشية الخليفة باعطاء الخليفة كرسيًا ليجلس عليه بدأ مالك بن أنس الدرس قائلاً : قال رسول الله صلى الله عليه و سلم أن الله قال في حديث قدسي: من تواضع لي هكذا (و جعل ينزل بيده في الأرض)رفعته هكذا (و جعل يرفع يده الى السماء)، ونظر إلى هارون الرشيد وتبسم،فقال هارون الرشيد لحاشيته :خذو الكرسي ، وجلس ككل من يحضر الدرس .

الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١﴾ مشى النبي إلى الطائف.. وأول كلمة في القصة الدعوية في سورة يس: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾ (٢). ومؤمن آل فرعون: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ (٣). وقال تعالى: ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾ (٤). وقال تعالى: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰ أَنِ ائْتِ الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٥) لو ما حرك قدمه ما تحدث بقية الأحداث وهو يقول يا قومي.

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ

(١) سورة الأنعام - الآية ١٢٢.

(٢) سورة يس - الآية ٢٠.

(٣) سورة القصص - الآية ٢٠.

(٤) سورة طه - الآية ٢٤.

(٥) سورة الشعراء - الآية ١٠.

يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا^(١). فغير الراغبين متفرقين في العالم منهم في ألمانيا، ومنهم في أمريكا، ومنهم في إفريقيا في جميع أنحاء الأرض، فلا بد من جماعات تغطي هذه المساحات، فرسول الله معلماً يجلس والصحابة يأتون، لا يمشي إلى بيت أبي هريرة ولا بيت أبو بكر ولا بيت عمر، لكن رسول الله داعية يمشي إلى بيت أبو جهل ويطرق عليه الباب و يذكره و يدعوهُ فالذي هو الداعي (الطالب) يمشي كزلة الطالب إلى المدعو هو (المطلوب).

الفرق الثالث: التعليم علاقة بين إنسان طيب مع طيب... بين طالب العلم و طلب العلم نور والمعلم وإعطاء العلم نور والاثنين في المسجد يتحصلوا على نور المسجد.. فعلى الطالب احترام المعلم وإكرامه:

| | |
|------------------------|--------------------------|
| قم للمعلم وفه التبجيلا | كاد المعلم أن يكون رسولا |
|------------------------|--------------------------|

وعلى الأستاذ أن يخلص في التعليم.. إذا تبادل حقوق علاقة بين إنسان طيب وطيب.. فالمعلم له حق يطلب حقوقه من الطلاب أن يحترموه لكن في الدعوة ما في تبادل حقوق.

الآن الذي تدعوه لا يعرف حق الله فكيف سيعطيك حقك؟؟ في علاقة بين إنسان طيب وإنسان خبيث ما عنده طيب.. يا داعية إعطي الحق الذي عليك و اطلب حقك من الله، أسقط حقوقك.. لو سبك وشتتك لا تقول لماذا تسبني

(١) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧.

أين حقي عليك أنا أدعوك إلى الله وأنت تسبني وتقابل الإحسان بالإساءة أنا
أتكلم كلام طيب وأنت تقابله بكلام قبيح، يقول الله: ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ
أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(١) اصبر على
كلام الجاهل.

فالداعية ليس له حق على البشر مطلقاً.. تطلب حقك من الله.. وإذا
أردت أن تطلب حقك من البشر تسقط هيبتك الدعوية وضع سلا الجزور
على رأسه ﷺ وما قال لقومه أنا رسول وحقي عليكم أن تكرموني،
وكيف تؤذوا نبيكم بل قال: كما جاء في الحديث عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَحْكِي نَبِيًّا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ ضَرَبَهُ قَوْمُهُ فَأَدْمَوْهُ ، وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ
عَنْ وَجْهِهِ ، وَيَقُولُ : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ . متفق
عليه^(٢) . » ما قال لأهل الطائف أنا ضيف عليكم وحقي عليكم أن تكرمني
تكرمني لأن أفضل عادة عند العرب قبل الإسلام إكرام الضيف يقول
شاعرهم في الجاهلية:

(١) سورة فصلت _ الآية ٣٤.

(٢) رياض الصالحين _ باب الصبر.

| | |
|-------------------------------|---|
| وإني لعبد الضيف ما دام نازلاً | وما شيمة لي غيرها تشبه العبد ^(١) |
|-------------------------------|---|

ليس خادم بل عبد للضيف و يفتخر لا لأنه (محافظ أو متصرف) بل لأنه عبد للضيوف، فهو لاء الذين كانوا يكرمون الضيف.

وأحسن ضيف على الطائف: هو رسول الله ﷺ .. طردوه وأذوه، كأن لسان حالهم يقول: كل ضيف يستحق الكرامة إلا هذا الضيف.. فأسقط حقه وقال: (اللهم اهد قوم فإنهم لا يعلمون)^(٢). لأنهم جاهلون، قال تعالى:

﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾^(١)

(١) للمقنع الكندي.

وقيس بن عاصم قال أبياتا تشبه كلام المقنع:

قيل : أن قيس بن عاصم المنقري تزوج من منقوسة بنت زيد الفوراس الضبي، فأنتته في الليلة الثانية من بنائه بها بطعام فقال لها أين أكيلي، فلم تفهم ما يريد فأنشد :

| | |
|-------------------------------|---------------------------------|
| أيا بنة عبد الله وابنة مالك | ويا بنت ذي البردين والفرس الورد |
| إذا ما صنعت الزاد فالتمسي له | أكيلاً فإني لست آكله وحدي |
| أخاً طارقاً أو جار بيتٍ فإنني | أخاف ملامات الأحاديث من بعدي |
| وإني لعبد الضيف من غير ذلة | وما في إلا تلك من شيم العبد |

وعروة بن الورد: أيضاً قال أبيات تشبه بيت المقنع:

| | |
|-------------------------------|-----------------------------|
| وإني لعبد الضيف ما دام ثاوياً | وما في إلا تلك من خلق العبد |
|-------------------------------|-----------------------------|

(٢) وكان صلى الله عليه وسلم شديد الصبر على أذى قومه له مع حلمه عليهم، حتى قيل له لما رماه عتبة بن أبي وقاص يوم أحد فكسر رباعيته السفلى وجرح شفته السفلى وشج عبد الله بن شهاب الزهري قبل إسلامه وجهه وجرح عبد الله بن القمئة وجنته فدخلت حلقتان من المغفر فيها ذلك اليوم: ادع الله عليهم. فقال: " اللهم اهد قومي فإنهم لا يعلمون " امتثالاً لقوله

وهكذا في التعليم هناك تبادل حقوق... فلو المعلم يدرس في الجامعة وقام طالب بالضحك والاستهزاء بالمعلم ليس من مطالب التعليم أن يصير عليه ويأخذ بالعفو لا بل أعاقبه وأفصله من الجامعة حتى تحفظ هيبة المعلم لأن العلم له هيبة.

لكن في الدعوة لو قام المدعو بالضحك والاستهزاء بالداعي من مطالب الدعوة الصبر عليه وتأخذ بالعفو وكلما صبر الداعي يعلو... في المشهد الدعوي وقال تعالى: ﴿إِذَا رَأَوْكَ إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ وَهُمْ بِذِكْرِ الرَّحْمَنِ هُمْ كَافِرُونَ﴾ (٣).
في الجهد التعليم لا يوجد طلاب يحملوا عصي على المعلمين.. لكن حملوا عصي على الأنبياء، قال تعالى: ﴿وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ

تعالى المؤذن بالتسلية له: (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) أي أصحاب عقد القلب على إمضاء الأمر، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلى الله عليه وسلم (ذكره السيوطي في الدر المنثور ٢ / ٢٩٨ وعزاه لابن أبي شيبه وأحمد في الزهر وأبي نعيم وابن عساكر من طريق مجاهد عن عبيد بن عمير). سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد ١/ ٥٩٤ .

(١) سورة الفرقان - الآية ٦٣.

(٢) سورة الفرقان - الآية ٤١.

(٣) سورة الأنبياء - الآية ٣٦.

لِيَأْخُذُوهُ وَجَادُلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ
عِقَابِ ﴿١﴾

إذا في مشهد الدعوة قيل له ساحر كذاب شاعر مجنون وأوذي، لكن لا
يمكن في مشهد التعليم أن يحدث هذا... رسول الله معلماً للناس كأن على
رؤوسهم الطير احتراماً و توقيراً.

في التعليم تأخذ كرمتك... تستطيع أن تكون معلماً مع عزة نفسك،
فرسول الله يكتسب العزة وهو يُعَلِّم... ولا تستطيع أن تكون داعيةً قوياً إلا
مع إذلال نفسك... فهذا الكلام الذي أتكلّمه معكم أين يدخل في ميدان الدعوة
ولا في ميدان التعليم؟؟ في ميدان التعليم.

نعم أعلم الناس الطيبين الفرق بين جهد الدعوة والتعليم، فتخاطب عاقلاً
مقبلاً راغباً تكون معلماً وعندما تخاطب غير راغب تكون داعياً.

وكلام الدعوة مع الطيبين الراغبين عبارة عن تعليم تصور الدعوة،
وعندما تتكلم مع الجاهل العاصي تحقق الدعوة إذاً في التعليم ما في أحوال.
لا تقول للمعلم في الجامعة أعطينا الأحوال، ما هي الأحوال؟؟ لقد شرحت
الدرس والطلاب انتبهوا لهذا لا يقوم مُدرّس الجامعة بإعطاء الأحوال كل يوم
للعמיד.. لأنه لا يوجد أحوال، درس شرحناه للطلاب انتبهوا... لكن كل ما
تخرج تعطي الأحوال.. المعاملة تختلف.

إذاً في القرآن الكريم هناك أحوال ماذا يقول موسى وأحوال موسى.. وأحوال إبراهيم.. وأحوال إبراهيم غير أحوال موسى ما قالوا لموسى فألقوه في الجحيم، وما قال لإبراهيم أن ألقى عصاك.. وأحوال نبينا غير أحوال الأنبياء الآخرين.. فكل خروج له أحوال.. إذاً في التعليم لا يوجد أحوال وفي الدعوة فيه أحوال، المعلم يتكلم والداعي يتكلم.. الدعوة (قل ، قل) ماذا نقول؟؟ ﴿ قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا ﴾ (١) . نتكلم عن ربنا و نتكلم عن الآخرة.

وفي التعليم نتكلم عن المسائل الفقهية أحكام.. فالكلام الذي يقوله العالم من السهل أن تتعلمه بدقة أو بدقيقتين؟، تحتاج على سنين حتى تتعلمه.. لكن كلام الداعية سهل وتتعلمه بدقائق ومن ثاني يوم تقوم وتعلن أمام الناس يا إخواننا فلاحنا ونجاحنا بامتثال أوامر الله.. فكلام الداعية سهل، قال تعالى : ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا * إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا * يَا أَبَتِ إِنَّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا * يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا * يَا أَبَتِ إِنَّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا * ﴾ قال أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا

إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا * قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ
لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا * وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو
رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿١﴾

يا أبتى يا حبيبي لا تعبد الشيطان، يا أبي أعبد الله، وهكذا كلام الداعية
سهل جداً لكن كلام العالم ليس سهل و ليس من حق أي أحد أن يقوله.. ليس
من السهل أن تتكلم عن ربا الفضل، وعن الزواج وعن الطلاق.. لكن كلمة
الداعية السهلة هذه تحتاج إلى جهد طويل حتى نصل إلى صاحبه.
فمرات تسافر بتذكرة إلى أمانيا حتى تتكلم كلام سهل مع واحد يشرب
الخمير أو تارك الدين.

إذاً كلام الداعية سهل ومن خلفه الجهد العميق، (سفر طويل) والعواطف
العميقة، (عاطفة الهداية والهم).

وكلام العالم ضخم وعميق لكن لا يحتاج إلى مشي.

ومتى العالم يعطي كلمته العميقة ويتكلم؟

إذا طلب منه الكلام :

قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ﴾ (١).

(١) سورة مريم - الآيات من ٤١ : ٤٨ .

(٢) سورة البقرة - الآية ٢٢٢ .

وقال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ﴾ (٣) .

وعند الإفتاء، فلا يستطيع العالم أن يفرض الذي عنده على الإنسان لأن الحاجات مختلفة، فإذا سئل عن الحج يتكلم عن الحج حتى يعلم الحج، لكن كلمة الداعية سواء سألوه أو ما سألوه يقولها ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ

فِيهَا﴾ (٤)، ففرعون لا يطلب من موسى أن يتكلم بل يقول له لا تتكلم معي. إذا المتسبب بالدعوة الداعية يمشي إلى المدعو و يتكلم معه.. والمتسبب بالتعليم سؤال السائلين واستفتاء المفتيين وطلب الطالبين.

فلا أستطيع أن أفرض عليك تعلم اللغة العربية، تعال أعلمك الفاعل المرفوع، تقول يا حبيبي لا أريد أن أتعلم الفاعل، ولا أقدر أن أرفض عليك الصرف والتفسير القرآن.

لكن إنسان في الظلمة افرض شخصيتك عليه واتكلم معه لماذا؟؟ لأنه إذا ما تكلمت معه سوف يذهب إلى جهنم.. تسبب بهذا الخير الذي لا بد منه لكل إنسان.. المسبب في الدعوة من؟؟ ليس الناس بل الداعية.. ﴿وَأَنِّي

(١) سورة البقرة - الآية ١٨٩ .

(٢) سورة البقرة - الآية ٢١٩ .

(٣) سورة النساء - الآية ١٧٦ .

(٤) سورة المؤمنون - الآية ٨٤ .

كُلَّمَا دَعَوْهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ ﴿١﴾ أَي لَا تَتَكَلَّمْ
معنا فمع أنهم يرفضون السماع، نوح يتكلم في الدعوة، قل ، سألوكم أو ما
سألوكم... ﴿قُلْ لِّمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا﴾ (٢)، ﴿قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ (٣) .

في التعليم لا بد من الطلب:

فما دام التعليم ما في أحوال والدعوة فيها أحوال بدك تصبر، والصبر
يحتاج إلى رسائل للتثبيت.. فربنا نزل قرآن مكي أكثر من نصف القرآن،
حتى يثبتك على جهد الدعوة ما نزلت ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٤)
حتى يثبت سيدنا محمد ﷺ ويصبر على تعليم أبو هريرة ؓ أبو هريرة فاتح
أذنه و يستمع بالتوجه مع الطلب ﴿تَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا
نُثِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ (٥) .

في التعليم الطالب بحاجة إلى التثبيت يا طالب اصبر على طلب العلم..
أي المشاكل والمشاق عند الطالب، وفي الدعوة المشاكل والمشاق عندك أيها

(١) سورة نوح - الآية ٧ .

(٢) سورة المؤمنون - الآية ٨٤ .

(٣) سورة المؤمنون - الآية ٨٨ .

(٤) سورة مريم - الآية ٤١ .

(٥) سورة هود - الآية ١٢٠ .

الداعية فلا بد من هدايات ﴿فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى﴾ (١) . يا موسى.. استمع،
أيها الداعية لما يوحى حتى تثبت.

إذاً تقرأ القرآن المكي مثل سورة نوح ، سورة إبراهيم ليس فقط بقصد
التلاوة والعبادة بل لمقصد التثبيت.

ولا تستطيع أن تثبت إلا مع الهدايات المستمرة، هدايات الخارجين،
هدايات الراجعين، هدايات للقدمات، هدايات للجُدد.

لكن ما في هدايات للمعلمين حتى يستمروا بالتعليم.. من أول يوم يعلم
ويبقى على آخر يوم في حياته وهو يعلم.. ما عنده مشاكل والطلاب
يحترمونه.

لكن في جهد الدعوة أحوال فلا بد من هدايات، وسيد الخلق ما استغنى
عن الهدايات، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا
نَبِيًّا﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ
الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾ (٣).

(١) سورة طه - الآية ٣١.

(٢) سورة مريم - الآية ٤١.

(٣) سورة مريم - الآية ٥٤.

وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلِصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾^(١). يعطيه قصص دعوية سبقت حتى يثبت.

وقال تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ﴾^(٣).

في جهد الدعوة أحوال فلا بد أن نسمع هدايات يومية. وإذا ما سمعت هداية واعتزيت بشخصيتك لا تثبت بل تزل قدمك، فدائماً استضعف نفسك أمام الجهد ولا تقول أنا قوي.. لكن في التعليم تحس أنك قوي وأقوى من الطالب، لكن في الدعوة تذلل لربك حتى يثبتك (تذل لمولاك حتى يتولاك).

وهكذا في جهد الدعوة أحوال تواجه الداعية.. لكن في التعليم كلمة المعلم لا تتكرر كل يوم، اليوم علمته الموضوع وغداً التيمم والمسح حتى يفهم ثم تنتقل إلى موضوع آخر.

فمنهاج التعليم في السنة الأولى في الدراسة غير السنة الثانية، والسنة الثالثة يتغير، ولكن في الدعوة، وقال تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ

(١) سورة مريم - الآية ٥١ .

(٢) سورة هود - الآية ١١٢ .

(٣) سورة طه - الآية ١٣٠ .

قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا^(١). هل غير كلامه ؟ كلامه في اليوم الأول وبعد سنة و بعد مائة سنة نفس الكلام، فما قال فقلت لهم في السنة الأولى وفي السنة الثانية كلام آخر فكل يوم سيدنا إبراهيم يقول يا أبتى يا أبى يا حبيبي... وكل يوم سيد الخلق يقول يا أيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا.

فكلام الداعية يتكرر، فإذا رغبته بشيء، كل يوم ترغبه بنفس الشيء، فممكن يتغير اللفظ لكن المعنى لا يتغير، الكلام يتكرر والخلق يتكرر، والوسائل كلها تتغير، تتكرر ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢) تتكرر.

في جهد التعليم الكلام يتغير لماذا ؟؟

لأنه جهد على العقل، العقل اليوم عرف الوضوء، الآن ننتقل إلى التيمم، ينتقل من معلومة إلى معلومة، لكن جهد الداعية على القلب، القلب متوجه إلى الدنيا عنده حب الدنيا وما عنده حب للآخرة، وفيه عظمة المخلوق وما في قلبه عظمة الخالق، فكيف أغير عواطف قلبه ومشاعره من الدنيا إلى الآخرة؟؟ و ذلك بالجهد على القلب ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ

(١) سورة نوح - الآية ٥.

(٢) سورة الأعراف - الآية ١٩٩.

عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١﴾ جَهِدْ عَلَى الْقَلْبِ ﴿٢﴾ اَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣﴾ .

لهذا قالوا قوتك في التعليم بقيمة المعلومات التي تحفظها، حتى في البيانات لا نختار واحد عنده نور وإيمان ولا يعرف أن يتكلم لا نضعه يُبين... (قوة التعليم بقوة المعلومات) ، (قوة الراجحة بقوة الصفات) فعندما تأخذ قصة دعوية لا تصبح مفتي وأنت تقرأ قصة إبراهيم، ولا بتصير قاضي ولا تستطيع أن تتعلم التيمم وأنت تقرأ قصة موسى كل يوم.

سيدنا إبراهيم يستخدم صفة الحلم، ﴿٤﴾ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ ﴿٥﴾ وصفة الصبر، قال تعالى: ﴿٦﴾ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نَّعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٧﴾ وصفة العفو ﴿٨﴾ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنْ الْجَاهِلِينَ ﴿٩﴾، ﴿١٠﴾ اَدْفَعْ بِأَلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ

(١) سورة الأعراف - الآية ١٩٩ .

(٢) سورة فصلت - الآية ٣٤ .

(٣) سورة هود - الآية ٧٥ .

(٤) سورة ص - الآية ٤٤ .

(٥) سورة الأعراف - الآية ١٩٩ .

كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ^(١) فالمدح في الآية للداعية، لا مدح علمه ولا مدح قوته البدنية، بل مدح خلقه ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(٢).

إذا عُرِّفت الدعوة: هي استخدام القوة الخلقية لكن مفتي، قاضي ومدرس جامعة، معلم ماذا يستخدم؟؟ أستخدم القوة العلمية، ومقاتل يستخدم القوة العضلية.. فلو واحد حامل سيفه ماذا يستخدم؟؟ القوة الغضبية.

ومعلم الجامعة ماذا يستخدم؟؟ القوة العلمية، واحد في الخمارة تريد أن

تجتهد عليه ماذا تستخدم؟؟ القوة الخلقية تتواضع له و تكرمه... (**فَقُوَّةُ الْعَالَمِ**

بِقُوَّةِ الْمَعْلُومَاتِ)، لو سألت الطالب كيف أستاذك يقول ما أحسن شرحه

واضح لكن كيف كرمه؟؟ يقول ما علاقتي بكرمه... كيف قيام الليل؟؟ يقول ما دخلني بالموضوع أنا.

فلو أستاذ الجامعة صاحب العلم كل يوم يكرم الطلاب ويذبح الدجاج ليطعم الطلاب، يقولوا يا أستاذ لم نأتي حتى نأكل دجاج عندك بل جئنا حتى نُعلمنا... لكن لو كل يوم الداعي يكرم العاصي الذي في الخمارة ويذبح دجاج من أجل الله يطعمه ليأتي معه ويدخل المسجد.

(١) سورة فصلت _ الآية ٣٤.

(٢) سورة القلم _ الآية ٤.

هكذا قوة الدعوة بقوة الصفات... فعن طريق العلم يزيد فقهك، سنة أولى ثم سنة ثانية فابعة تصبح فقيه، لكن عن طريق الدعوة يزيد طبيبك (من زار أخاً له في الله) يدعوهُ إلى الله (ناداه منادٍ من السماء أن فقهه!!) لا ، لو كل يوم سبعين ألف زيارة لا تصبح فقيه... كل زيارة يقال لك طبت، كما في الحديث: عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " من عاد مريضاً أو زار أخاً له في الله ناداه مناد: بأن طبت وطاب ممشاك، وتبوأَت من الجنة منزلاً " رواه الترمذي وَقَالَ حَدِيثٌ حَسَنٌ. وفي بعض النسخ غريب^(١).

قال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(٢)
 عفوت عن أخيك، تقول لك طبت وطاب عفوك.
 قال تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ﴾^(٣) أطعمت الطعام ، تقول لك طبت وطاب طعامك.

قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ﴾^(٤) قمت الليل ، تقول لك طبت وطاب ليلك .

(١) رياض الصالحين - باب الصبر ص ٦٠.

(٢) سورة الأعراف - الآية ١٩٩.

(٣) سورة الإنسان - الآية ٨.

(٤) سورة السجدة - الآية ١٦.

إذاً ربنا جلّاله جعل ثمرة جهد الدعوة كله هذه الكلمة قال تعالى: ﴿طِبُّتُمْ فَأَدْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾^(١).

ومن ثمرة الجهد تزكية النفس، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٢).

تصبح إنسان زكي تصبح إنسان طيب وأبواب الجنة الثمانية لا تفتح بسبب صفة علمتم ولا فقهتم بل بصيغة ﴿طِبُّتُمْ﴾.

ثلاثة عشر سنة وجهد الدعوة جعل الأمة تصبح طيبة فلما صارت طيبة نزلت آيات الزواج وآيات الطلاق حتى يصير مفتي، قاضي طيب. فأولاً: في العالم الصناعة تحتاج إلى حديد فيه استعدادات وصفات، حديد طيب، وبعدها تُصنع ثلاجة طيبة، غسالة طيبة.. و فيعالم الدين والدعوة وجهد الدين أولاً الإنسان الطيب وبعدها تخصص وكن عالم طيب، قاضي طيب، مزارع طيب، مهندس طيب.

إذاً في جهد الدعوة ننطلق نخرج في سبيل الله نجتهد على غيرنا حتى نكتسب صفة الطيب.. وأول ما ينوي الداعية نفسه كيف أصبح طيب بهذا الجهد؟؟... فلو جلست في بيتك وقلت أريد أن أصبح حلیم، لأن الحلم صفة

(١) سورة الزمر - الآية ٧٣.

(٢) سورة الشمس - الآية ٩.

طيبة مثل إبراهيم ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُنِيبٌ﴾^(١) لا تصبح حليماً حتى تدعو واحد سفيه، تتكلم معه كلمة طيبة فيتكلم عشرين كلمة خبيثة وكل ما زادت سفاهته يزداد حلمك فلولا سفاهة أبو جهل ما ظهر حلم سيدنا محمد.

إذاً أول ما ينوي المعلم طلابه، كيف أفهمهم الدرس؟؟ وأول ما ينوي الداعية نفسه، كيف أترقى باليقين والأخلاق والصفات، فأعظم نتيجة من جهد التعليم، أن الطلاب يستفيدوا، فإذا كانت نسبة النجاح ٩٠% المعلم يفرح ولو ٧٠% نجحوا يفرح... لكن لو كل الطلاب رسبوا، وأسفاه.. لا يقول المعلم لا تأسفوا لأنني أنا فهما والطلاب لم يفهموا ليس المقصود أن المعلم يفهم بل المقصود الطلاب يفهموا.

فسيدنا إبراهيم يدعو أباه للإيمان وأبوه ما فهم ومات كافر ودعا قومه لكنهم لم يؤمنوا... فما استفاد من الجهد في العراق فكانت ثمرة جهده في العراق ﴿فَأَمَّنَ لَهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(٢) ما قال: وأسفاه... لأنه كل يوم يكتسب الحلم الدعوي وصفات

الداعية وصار خليل الرحمن.. فيأتي النبي و ليس معه أحد، كما في الحديث عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال، قال رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ: " عرضت على الأمم فرأيت النبي ومعه الرهيط والنبي ومعه الرجل

(١) سورة هود - الآية ٧٥.

(٢) سورة العنكبوت - الآية ٢٦.

والرجلان والنبى ليس معه أحد، إذ رفع لى سواد عظيم فظننت أنهم أمتى، فقيل لى: هذا موسى وقومه ولكن انظر إلى الأفق. فنظرت فإذا سواد عظيم، فقيل لى: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل لى: هذه أمتك ومعهم سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. ثم نهض فدخل منزله فخاض الناس فى أولئك الذين يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب. فقال بعضهم: فلعلهم الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقال بعضهم: فلعلهم الذين ولدوا فى الإسلام فلم يشركوا بالله شيئاً، وذكروا أشياء فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: ما الذى تخوضون فيه؟ فأخبروه فقال: هم الذين لا يرقون ولا يسترقون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون فقام عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال: أنت منهم ثم قام رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. فقال:

سبقك بها عكاشة " متفق عليه^(١). لا نقول وا أسفا ولا أحد، استفاد بسبب أن هذا الجهد المبارك أخذ مرتبة عند الله.. فأعظم مرتبة في الدعوة ﴿وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾^(٢)

نية الداعي والمعلم :

فأول ما ينوي المعلم ، ينوي أن يأجر بالإخلاص، لكن لا ينوي أن يربي نفسه، لكن في الدعوة ينوي الأجر والتربية الأجر والتزكية، الأجر وكيف الله ينور قلبك بهذا الجهد، الأجر وكيف الله يعطيك اليقين، وأنت تتكلم عن اليقين... فنخوف الآخرين حتى نخاف، ونشوق إلى الجنة حتى نشواق، ونرغب في الآخرة حتى نرغب، ونخشع حتى نخشع، ونذكر حتى نتذكر.

نزلت ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾^(٣) في الجهد المكي ، فأول ما تركت به أمة النبي جهد الدعوة إلى الله، أما أمة موسى أصبحت طيبة عن طريق أولاً جهد العبادة.. ﴿وَجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾^(٤) صار الناس صالحين.

(١) رياض الصالحين - باب اليقين والتوكل.

(٢) سورة الطور - الآية ٤٨.

(٣) سورة الشمس - الآية ٩.

(٤) سورة يونس - الآية ٨٧.

فتحقق صلاح الأمم السابقة بجهد العبادة.. وتحقق صلاح الأمة أولاً
بجهد الدعوة.

أول عبادة مفروضة بالسنة العاشرة، هل قبل ذلك لم تكن الأمة صالحة؟؟
أصلح أمة ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ
وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا
لَّهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا
وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا
وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا
كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ
يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾ (٢).

(١) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

(٢) سورة الفرقان - الآيات من ٦٣ : ٦٧ .

فيثني الله على صلاح الأمة عن طريق صفاتهم الدعوة: ﴿أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا * وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا * إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا * وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ

(١) سورة القصص - الآية ٥٤ .

(٢) سورة الرعد - الآية ٢٢ .

(٣) سورة فصلت - الآية ٣٤ .

يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿١﴾. فيثني على صلاح الأمة

بالصفات الدعوية، وما يثني عليهم بأنهم يصمون ويحجون .

فأول ما ننوي أنفسنا بهذا الجهد المبارك، ولا نستطيع أن تنوي نفسك إلا إذا اجتهدت على غيرك... فما تكون طيب إذا ما زرت أخوك... فلا تصبح حليم إلا إذا صبرت على السفية.

جهد التعليم نوعين:

عام وخاص، لكن في التعليم العام الكل يستطيع أن يعلم سورة الفاتحة والإخلاص ، لكن الترقى بالتعليم حتى تصبح عالم كبير ومعلم كبير إلى مواهب فكرية.. ليس من السهل أي واحد يصبح عالم كبير، لكن سهل على إنسان أُمي وضعيف مقطوع الرجلين واليدين يصبح داعي كبير.. ففي جهد الدعوة مجال التنافس ويستطيع الأُمي ينافس أكبر عالم في تطبيق ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾^(١) وفي تطبيق ﴿ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾^(٢) لكن لا يستطيع الأُمي أن ينافس العالم في تفسير القرآن وشرح السنة.

(١) سورة الفرقان _ الآيات من ٦٣ : ٦٧.

(٢) سورة الأعراف - الآية ١٩٩.

(٣) سورة فصلت _ الآية ٣٤.

إذاً التعميق بجهد التعليم يحتاج إلى مواهب فكرية.. فإذا سمعت كلام فضيلة الشيخ القرضاوي لا تستطيع أن تكون مثله لا بعد يومين ولا بعد سنتين... لكن تقدر من أول يوم أن تنافس الناس في الصبر على الجاهل وفي إكرام المسلمين وفي حب الخير لهم.

في جهد الدعوة: جهد أمة تتنافس، فيضاف جهد الدعوة للأمة: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

ويضاف جهد الفتوى لواحد مفتي أو مفتيين.. والعلم الكثير لعالم.. والله يوجد عندنا أربع علماء كبار في البلد.. لكن لو أربع دعاة فقط في البلد مصيبة.. كل الصحابة دعاة كبار وليس كل الصحابة مفتيين كبار ولا كلهم حفاظ القرآن.. فما كلهم حفظ القرآن وما كلهم روي عنهم.

لهذا يقول ابن القيم (رحمه الله) والذين حفظت عنهم الفتوى من أصحاب رسول الله مائة ونيف وثلاثون نفساً ما بين رجل وامرأة، وكان المكثرون منهم سبعة: عمر بن الخطاب وعلي بن أبي طالب وعبد الله بن

(١) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

مسعود، وعائشة أم المؤمنين وزيد بن ثابت وعبد الله بن عباس وعبد الله بن عمر^(١).

نتنافس في المطالب الدعوية، لكن في الفتوى لا يوجد تنافس لأنه عمل خاص، فالتعمق بجهد التعليم جهد خاص، والتعمق بجهد الدعوة جهد عام، ميدان مفتوح ... تتنافس مع أخوك بالحلم والكرم والصفات.

لهذا التعمق بجهد التعليم يعتمد على مواهب فكرية، لكن التعمق بجهد الدعوة يعتمد على الهمة، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي

(١) أعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم.

(٢) سورة يسن - الآية ٢٠

(٣) سورة القصص - الآية ٢٠

يَعِدُّكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿١﴾ هذه القصص ليست عبقرية، ما فيها ذكاء ، هذه رجولة تحتاج إلى همة، وبقدر الهمة تبرز في الدعوة.



مقارنته

بين الدعوة والقتال في الإسلام

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾^(١).

قال تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ * فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ﴾^(٢).

قال تعالى: ﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رَوْحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾^(٣).

قال تعالى: ﴿قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ﴾^(١).

(١) سورة التين - الآية ٤ .

(٢) سورة الإنفطار - الآيتان ٧ ، ٨ .

(٣) سورة ص - الآية ٧٢ .

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ
وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾^(٢).

قال تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا مِّنْهُ﴾^(٣).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ
خَلِيفَةً﴾^(٤).

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾^(٥).

وعَنْ أَبِي مُوسَى عَبْدَ اللَّهِ بْنِ قَيْسٍ الْأَشْعَرِيِّ رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " إِنْ
اللَّهُ تَعَالَى يَسِطُ يَدَهُ بِاللَّيْلِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ النَّهَارِ، وَيَسِطُ يَدَهُ
بِالنَّهَارِ لِيَتُوبَ مَسِيءُ اللَّيْلِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا " رواه

(١) سورة ص - الآية ٧٥.

(٢) سورة الإسراء - الآية ٧٠.

(٣) سورة الجاثية - الآية ١٣ .

(٤) سورة البقرة - الآية ٣٠ .

(٥) سورة الإسراء - الآية ١٥ .

مُسَلِّمٌ. والنسائي ، ولذا نخرج بالتوبة إلى الله لأننا تركنا وظيفتنا قبل هذا الجهد، وأيضاً لا نقوم عليه كما يجب .

الله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان وجعل له ذات وصفات :

فالذات (الجسد) طويل ، قصير، أو معتدل، أبيض، أسود أو بين الإثنين ... وجعله في أحسن صورة ، وسواه بيده - وأسجد له ملائكته - وكرمه على جميع خلقه - وسخر له ما في السموات والأرض وشرفه بأن جعله خليفته في أرضه، فالذات ليس لنا دخل فيها ... والله لا يحاسبنا عليها، ولكن الصفات هي محل الاختبار والامتحان للإنسان مثل الإيمان والكفر، والكرم والبخل - والجبن والشجاعة، والتريس والاندفاع والعدل والظلم.. وهذه الصفات هي التي ترفع الإنسان إلى أعلى عليين أو تخفضه إلى أسفل السافلين، فالإنسان بصفاته وليس بذاته، فالطبيب بصفاته وليس بذاته، المهندس بصفاته وليس بذاته، وكذلك المزارع ، والسائق، والمدرس ، والوزير ، والتاجر ... وهذه المسميات صفات وليست ذات ، كذلك صفات الإيمان ، التقوى ، الإنابة ، الخشية ، الورع ، الخوف من الله .. وكذلك أيضا صفات الكفر والمعاصي.. والله ﷻ ينظر إلى الصفات ولا ينظر إلي الذات، فعن أبي هريرة عبد الرحمن بن صخر رضي الله عنه قال، قال رسول الله ﷺ:

" إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم، ولكن ينظر إلى قلوبكم " رواه مسلم^(١).

في رواية له: " إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم " ^(٢) أي إلى صفاتكم المكسوبة .

وعن أبي ذر جندب بن جنادة رضي الله عنه عن النبي ﷺ فيما يروي عن الله تبارك وتعالى أنه قال: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا، يا عبادي كلكم ضال إلا من هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عار إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم، يا عبادي إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعاً فاستغفروني أغفر لكم، يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل

(١) رياض الصالحين - باب الإخلاص وإحضار النية في جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية.

(٢) صحيح مسلم - باب تحريم الهجر فوق ثلاث بلا عذر شرعي .

واحد منكم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل ما نقص ذلك من ملكي شيئاً، يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا في صعيد واحد فسألوني فأعطيت كل إنسان مسأله ما نقص ذلك مما عندي إلا كما ينقص المحيط إذا أدخل البحر، يا عبادي: إنما هي أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيراً فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه قال سعيد: كان أبو إدريس إذا حدث بهذا الحديث جثا على ركبتيه. رواه مسلم.

ورويانا عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله قال: ليس لأهل الشام حديث أشرف من هذا الحديث (١).

فالأصوار والأجساد ذات الإنسان ، ولكن نظر الله إلى القلوب والأعمال أي إلى الصفات ، فالله أعطى الإنسان الذات سليمة وعلى الفطرة ويريد منه أن يعود لربه سليماً على الفطرة أيضاً .

ولا يستطيع الإنسان أن يكتسب أى صفة من الصفات إلا بمصاحبة أهلها سواء كانت صفة طيبة أو خبيثة ، دينية كانت أو دنيوية ، فمثلاً الصفات الدنيوية مثل الطب ، هندسة ، تجارة ، زراعة ، ميكانيكا .. لا يمكن اكتسابها ، أى نقلها من شخص إلى شخص آخر إلا بمصاحبة أهل هذه المهنة فيتعلمها نظرياً وعملياً، وكذلك صفات الإيمان مثل الصدق والإجابة والصبر والذكر والكرم والخشية لله والشفقة والرحمة.. يكتسبها الإنسان بمصاحبة أهل هذه الصفات، ولذا يسمى من يصاحب الأنبياء والرسل بالحواريين أو الصحابة.

الله الرحمن الرحيم الودود الكريم التواب الحليم، رحيم بهذا الإنسان ولذا أرسل له فريق الهداية (كوكبة النور والرحمة)، قال تعالى: قال تعالى: ﴿ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (١).

فالرسل والأنبياء والدعاة لتجميل وتحسين الصفات التي يحبها الله تبارك وتعالى لهذا الإنسان، قال تعالى: ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ (١).

أرسل له الأنبياء والرسل ومعهم الكتب التي يكتسب الصفات الطيبة، حتى تكتمل جمال صفاته مع جمال ذاته، فيكون أهلاً لدخول الجنة ونوال رضا الله تبارك وتعالى .

لذا مقصود بعثة الأنبياء والمرسلين، رحمة هذا الإنسان، تحسين صفاته القولية والفعلية، أي إصلاحه بعد فساده (التركزية) وتذكيره بالعهد الأول الذي اعترف به في عالم الذر قال تعالى: قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَلِكَ نَفْصَلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٢).

(١) سورة المائدة - الآية ١٥.

(٢) سورة الأعراف - الآيات من ١٧٢ : ١٧٤ .

وتعتبر هذه أعظم فرصة للإنسان حتى يرجع ويتوب ويستقيم حتى يسعد سعادة أبدية وإلا يكون في الشقاء الأبدى ، ولذا فى نهاية الآيات السابقة (وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) والرحمن الرحيم التواب الحليم يقول: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ (١).

ولذا أرسل الله ﷻ الرسل والأنبياء لتركية وإصلاح هذا الإنسان، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ : " ما من مولود إلا يولد علي الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء (٢)؟ ثم يقول: ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٣) متفق عليه (٤).

(١) سورة - الآية .

(٢) يقول الإمام النووي (رحمه الله): وأما قوله ﷺ: " كما تنتج البهيمة، بهيمة " فهو بضم التاء الأولي وفتح الثانية، ورفع البهيمة، ونصب بهيمة، ومعناه: كما تلد البهيمة بهيمة جمعاء، بالمد أي كاملة الأعضاء سليمة من نقص، لا توجد فيها جدعاء بالمد وهي مقطوعة الأذن أو غيرها من الأعضاء ومعناه أن البهيمة تلد البهيمة كاملة الأعضاء لا نقص فيها، وإنما يحدث فيها الجدع والنقص بعد ولادتها (صحيح مسلم بشرح النووي - ٢٠٩/١٦) .

(٣) سورة الروم - الآية ٣٠.

(٤) مشكاة المصابيح - كتاب الإيمان - باب الإيمان بالقدر ٣٣/١.

وهذه التذكرة والنصيحة والرجوع لا يكون بالدعوة والموعظة الحسنة ،
والصبر الجميل وهذا هو جهد الأساس قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا
رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١) وفي بعض الأحيان يكون بالحزم والشدة ، أو القتل
لفئة تقف في طريق عودة هذا الإنسان لربه تبارك وتعالى ، ولذا نجد أكثر
الأنبياء والمرسلين ما قاتلوا ولكن شغلهم الشاغل الدعوة .

لهذا الله أرسل الرسول ﷺ داعياً ومقاتلاً ، وفي هذه المذاكرة للفرق بين
الدعوة والقتال ربما تقرأ ألفاظ مرادفة للدعوة وألفاظ مرادفة للقتال مثل
استعمال القوة الخلقية (الدعوة) والقوة الغضبية (للقتال) التحلى بصفات
الجمال لله (الدعوة) والتحلى بصفات الجلال (القتال) اللطائف والكتائف -
المحاسن والمساوئ - البيان والبنیان - الجهد الأساسى والجهد التكميلى ،
جهد الضعفاء وجهد الأقوياء .

الفرق بين جهد الدعوة وجهد القتال :

يعنى ليست الدعوة ضد القتال ، أو القتال ضد الدعوة ، فهما مثل الفرق
بين الصلاة والزكاة أو الصلاة والحج ، فالذى يريد أن يؤدى فريضة الزكاة
يؤديها بفقهِه الزكاة وليس بفقهِه الصلاة ، وأيضاً الصلاة بفقهِه الصلاة وليس

(١) سورة الأنبياء _ الآية ١٠٧ .

فقه الزكاة أو الصيام، ويحج بفقه الحج، كذلك الدعوة بفقه الدعوة، والقتال بفقه القتال، وليس الدعوة بفقه القتال ، فالدعوة على بصيرة، أى ببصيرة الدعوة، والقتال أيضاً ببصيرة القتال ، وكذلك الصلاة ببصيرة الصلاة .

الدعوة مقصدها إقامة كل الدين فى كل العالم حتى قيام الساعة، وليس بعض الدين فى بلد واحد، أى يتمتع العالم كله بالدين الكامل، وهذا هو مقصد الداعى، وكذلك مقصد المقاتل إحياء الدين فى العالم كله، ففي الحديث عن أبي موسى **رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ** أن أعرابياً أتى النبي **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ** فقال: يا رَسُولَ اللَّهِ الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليذكر، والرجل يقاتل ليرى مكانه. وفي رواية: يقاتل شجاعة، ويقاقل حمية. وفي رواية: يقاتل غضباً، فمن فى سبيل الله؟ فقال رَسُولُ اللَّهِ **صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ**: "من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو فى سبيل الله" متفق عليه^(١) ، وهذا متفق عليه من كل المسلمين أن مقصد الدعوة والقتال هو إحياء الدين فى العالم كله .

سلاح الداعى ووسيلته تنحصر فى أعمال تسمى اللطائف، لطيفة البسمة ، لطيفة الكرم، لطيفة الحلم، لطيفة العفو، لطيفة الشفقة، لطيفة الرحمة ، لطيفة قيام الليل .. وسلاح المقاتل ممنوع استعمال اللطائف ولكن الكتائف أى

(١) رياض الصالحين _ كتاب الجهاد.

السلاح، القوة، الغلظة، التخويف، التجويع، الانتقام، الضرب، السلب، القتل، الأسر، فالدعوة الرحمة، والقتال الغضب والغلظة .

الدعوة كل أعمالها في المحاسن، سواء في المعاملة، في الكلام، في الطعام، في الدعاء، في العفو، محاسن باللسان واليد وما يملك أما أثناء القتال استعمال المساوئ باللسان واليد وما يملك، خذها يا عدو الله، أما في الدعوة : يا أبا الحكم، يا أخى، يا أبتى، يا قوم .

الله جعل الدين كله محاسن، ويستعمل له أساليب اللطائف، اللطائف الدعوية، والقتال استثنائي، فعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ في بعض أيامه التي لقي فيها العدو انتظر حتى مالت الشمس ثم قام في الناس فقال: "أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا، واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف ثم قال: اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم" متفق عليه^(١).

لا تتمنوا إسالة الدماء والقتل ولكن قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا

لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(٢).

(١) رياض الصالحين _ كتاب الجهاد.

(٢) سورة الأنفال _ الآية ٤٥.

فالدعوة أساس والقتال تكميل ، ولذا في المدينة، قال تعالى: ﴿ **الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ** ﴾^(١).

العمارة الأساس ثابت والجدار يتحرك، انتشار المحاسن في الناس وحب الهداية للناس هذا شئ ثابت لا يتغير .

لكن من الذى يستطيع أن يقوم بعمل الدعوة القوى أم الضعيف ؟ لطائف خذ العفو ، الحلم ، الصبر ، البسمة ، الشفقة ، الرحمة ، سهلة على كل الناس ، القوى والضعيف ، الغنى والفقير ، الرجل والمرأة ، الكبير والصغير ، السيدة سمية ، عمار ، بلال ، صعيب جهد الضعفاء (ليس لأنه ضعيف ، ولكن يقوم به الضعفاء والأقوياء أيضاً) ولذا أثناء الدعوة الأقوياء يتشبهون بالضعفاء، وإذا خرج الضعفاء فى القتال يتشبهون بالأقوياء فيصبغوا لحاهم بالسواد، ويظهرون القوة كأنهم شباب وأقوياء، ولذا عندما فتح الله باب القتال جاء الله بعمر بن العاص، وخالد بن الوليد ، جاء بالشباب ، ما أعطى الرسول ﷺ الراية لبلال أو صهيب ، فى القتال القادة شباب، وفى الدعوة المشايخ الكبار ذو الخبرة والصفات .

فى الدعوة لا نمل من لطائف العفو والحلم والصبر .. مدة سيدنا نوح ٩٥٠ سنة دعوة أى صبر أى ٩٥٠ سنة حلم ، عفو ، سنة شفقته ، إكرام ، رحمة ، كذلك سيدنا صالح عمره ٢٩٠ سنة ، هود ١٥٤ سنة ، إبراهيم

(١) سورة المائدة_ الآية ٣.

١٥٠ سنة ، لوط ٩٠ سنة أى ٥٠ سنة دعوة فى قرية تعمل الخبائث،
إسماعيل عمره ١٣٧ سنة ، ما حملوا السلاح أى عملهم كله لطائف
ومحاسن وبيان .. فلو ظل مثلاً سيدنا نوح ٩٥٠ سنة قتال ، فما يستطيع
المقاتل أن يؤدى حقوق نفسه ولا والداه ولا أهله ، ولذا فى القتال السنة فى
أن تستعجل النصر (تكون المعركة قصيرة) ولكن فى الدعوة قال تعالى: ﴿
فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾^(١) وقال
تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾^(٢) واللطائف فى كل مكان، وطول
الوقت ، ولذا نتمنى أن تمتلئ الأرض باللطائف ، وليس بالكتائف والمذابح
والدماء والجروح والقتلى والأسرى .

فى الدعوة ما تحتاج درهم حتى تغفو، حتى تحلم ، حتى تبسم ، حتى
تشفق، حتى ترحم، حتى تدعو، حتى تصبر، حتى تحزن، حتى تبكى، حتى
تفكر، حتى تكتم الغيظ، ولكن فى القتال تحتاج أسباب قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا
لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِّنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رَّبَاطِ الْخَيْلِ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿
وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْقَرْيَتَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا * إِنَّا مَكْنَا

(١) سورة الأحقاف _ الآية ٣٥.

(٢) سورة القلم _ الآية ٤٨.

(٣) سورة الأنفال _ الآية ٦٠.

لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا^(١) . وقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ^(٢) . ولكن في الدعوة قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ^(٣) . وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا^(٤) . وقال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مُوسَى^(٥) لا تحتاج أسباب، ولذا الأخذ بالأسباب في القتال فريضة ، فالرسول ﷺ عند الغزو يقول تجهزوا . قال تعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ^(٦) . وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَرَادُوا

(١) سورة الكهف - الآية ٨٣ ، ٨٤ .

(٢) سورة البقرة - الآية ٢٤٧ .

(٣) سورة مريم - الآية ٥٤ .

(٤) سورة مريم - الآية ٤١ .

(٥) سورة مريم - الآية ٥١ .

(٦) سورة التوبة - الآية ٩٢ .

الْخُرُوجَ لِأَعْدَاؤِ لَهُ عُدَّةً»^(١) قال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾^(٢) ولكن الالتفات إلى الأسباب في الدعوة نقص في الإيمان ، فالرسول ﷺ في اللطائف ليس معه طعام ويمشى على رجله ، ولذا أعطوه قطف عنب .

لذا سقطت فريضة القتال عن الضعفاء والمرضى والأعرج والأعمى ، ولم تسقط عنهم فريضة الدعوة قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ﴾^(٣) معنى نصحو : يعنى الدعوة .

إذا أراد الله أن يظهر قوة الداعي، يقدم عليه أسباب الضعف:

فسيدنا يوسف وقع في الجب ، وفي الرق ، وفي السجن .

وسيدنا نوح قال تعالى: ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ﴾^(٤) .

(١) سورة التوبة - الآية ٤٦ .

(٢) سورة الأنفال - الآية ٦٠ .

(٣) سورة مريم - الآيتان ٩١ ، ٩٢ .

(٤) سورة القمر - الآية ١٠ .

وسيدنا شعيب قال له قومه: ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ﴾ (١) .

وسيدنا أيوب الله قدر عليه المرض ، ولكن عليه بالدعوة .
وكل الرسل والأنبياء قالوا: ﴿وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَا آذَيْتُمُونَا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ (٢) .
وقال تعالى: ﴿يَحْسِرَةُ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿وَمَا يَأْتِيهِمْ مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (٤) .
والله تعالى قال لرسوله ﷺ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ (٥) .
والرسول ﷺ في اللطائف منفرداً ، ويهاجر سراً .
وقال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا﴾ (١) .

(١) سورة هود - الآية ٩١ .

(٢) سورة إبراهيم - الآية ١٢ .

(٣) سورة يس - الآية ٣٠ .

(٤) سورة الزخرف - الآية ٧ .

(٥) سورة إبراهيم - الآية ١٢ .

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوءًا وَلَعِبًا﴾ (٢) .

وقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِادِّى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ﴾ (٤) .

وسيدنا يوسف فى السجن ولكن فى الدعوة ، لأن المسجون والعبيد (الرقيق) لا يذهبون إلى القتال منفردين لأنهم ملك لأسيادهم ، فكيف يكون نبى ويكون فى الرق والسجن ويقاتل ؟ لو أن أصل نشر الدين القتال .
فلو أن الله أرسل جبريل ليوسف ويأمره أن يقوم بالجهد للدين وأمره بالقتال فيصبح فى حيرة ، كيف يا رب تأمرنى بالقتال وتقدر على السجن ، لأنه كيف يقدر على الضعف وتطلب منى القوة .

فالقدر من الله والشرع من الله ، فلا تعارض ، كما أن القرآن لا يعارض بعضه بعضاً ، فلا تعارض بين القدر والشرع ، ولذا كان الرسول ﷺ يرفض

(١) سورة الكهف - الآية ٥٦ .

(٢) سورة المائدة - الآية ٥٨ .

(٣) سورة الكهف - الآية ٢٨ .

(٤) سورة هود - الآية ٢٧ .

الضعفاء في القتال ، ولذا عندما فتح باب القتال أتى الله بخالد وعمرو وغيرهم من الشباب والأقوياء .

في الدعوة القوة الخلقية، قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١) هذه آية مكية في سورة القلم، وهذه القوة لا تحتاج أسباب، ولذا إذا غضب المقاتل نجح ، وإذا رضى فشل، والداعي إذا غضب فشل.

أقوى الناس في الدعوة سلاحه لا ينكسر، ما هو سلاحه ؟
سلاحه اللطائف ، واللطائف لا تنكسر رغم الأحوال المعارضة صعب كيف يواجه صاحب اللطائف صاحب الكتائف ، صاحب يس بلطائفه واجهه القوم الذي حملوا عليه السيف لقتله وذهب إلى الجنة بلطائفه، ظل ثابت على لطائفه، ولذا يقول ﴿يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ﴾^(٢) رغم أنهم قتلوه .

دعوة مصعب بن عمير رضي الله عنه في المدينة (باللطائف):

سيدنا مصعب بن عمير أثناء دعوته في المدينة واجه بلطائفه سيدنا أسيد بن حضير وسعد بن معاذ بكتائفهما أخرج ابن إسحاق عن عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وغيره أن أسعد بن زُرارة خرج

(١) سورة القلم - الآية ٤ .

(٢) سورة يس - الآيتان ٢٦ ، ٢٧ .

بمصعب بن عمير يريد به دار بني ظَفَر، وكان سعد بن معاذ ابن خالة أسعد بن زرارة، فدخل به حائطاً من حوائط بني ظَفَر على بئر يقال له بئر مَرَق. فجلسا في الحائط واجتمع إليهما رجال ممن أسلم ، وسعد بن معاذ وأُسَيْد بن حُضَيْر يومئذٍ سيّدا قومهما من بني عبد الأشهل وكلاهما مشرك على دين قومه ، فلما سمعا به قال سعد لأُسَيْد: لا أبا لك، انطلق إلى هذين الرجلين اللذين قد أتيا دارينا ليسفها ضعفاءنا فازجرهما وانهما أن يأتيا دارينا، فإنه لولا أسعد بنت زرارة مني حيث قد علمت كفيتك ذلك، هو ابن خالتي ولا أجد عليه مقدماً. قال: فأخذ أُسَيْد بن حُضَيْر حربته ثم أقبل إليهما. فلما رآه أسعد بن زرارة قال لمصعب: هذا سيّد قومه وقد جاءك فأصدق الله فيه. قال مصعب: إن يجلس أكلمه. قال فوقف عليهما مُتَشَتِّماً فقال: ما جاء بكما إلينا تسفهان ضعفاءنا؟ اعتزلانا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة. فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع، فإن رضيت أمراً قبلته، وإن كرهته كفّ عنك ما تكره. قال: أنصفت، قل ثم ركز حربته وجلس إليهما، فكلّمه مصعب بالإسلام، وقرأ عليه القرآن. فقالا فيما يُذكر عنهما: والله لَعَرَفْنَا فِي وَجْهِهِ الْإِسْلَامَ قَبْلَ أَنْ يَتَكَلَّمَ فِي إِشْرَاقِهِ وَتَسَهُّلٍ، ثُمَّ قَالَ؛ مَا أَحْسَنَ هَذَا وَأَجْمَلُهُ كَيْفَ تَصْنَعُونَ إِذَا أَرَدْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا فِي هَذَا الدِّينِ؟ قَالَا لَهُ: تَغْتَسِلُ فَتُطَهَّرُ وَتُطَهَّرُ ثَوْبَيْكَ، ثُمَّ تَشْهَدُ شَهَادَةَ الْحَقِّ ثُمَّ تَصَلِّي. فَقَامَ فَاغْتَسَلَ وَطَهَّرَ ثَوْبَيْهِ وَتَشَهَّدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ ثُمَّ قَامَ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ ثُمَّ قَالَ لِهَمَّا: إِنَّ وَرَائِي رَجُلًا إِنْ اتَّبَعَكُمَا لَمْ يَتَخَلَّفْ عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَسَأَرْسِلُهُ إِلَيْكُمَا الْآنَ: سَعْدُ بْنُ مَعَاذٍ.

ثم أخذ حربته وانصرف إلى سعد وقومه وهم جلوس في ناديهم، فلما نظر إليه سعد بن معاذ مقبلاً قال: أحلف بالله لقد جاءكم أسيّد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلما وقف على النادي قال له سعد: ما فعلت؟ قال: كلّمت الرجلين، فوالله ما رأيت بهما بأساً، وقد نهيتهما فقالا: نفعل ما أحببت، وقد حدّثت أنّ بني حارثة خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وذلك أنهم عرفوا أنّه ابن خالتك ليحقّروك. قال: فقام سعد بن معاذ مغضباً مبادراً تخوّفاً للذي ذكر له من بني حارثة، وأخذ الحربة في يده ثم قال: والله ما أراك أغنيت شيئاً. ثم خرج إليهما سعد فلما رآها مطمئنين عرف أن أسيّداً إنما أراد أن يسمع منهما، فوقف متشمتاً، ثم قال لأسعد بن زرارة: يا أبا أمانة أما والله لولا ما بيني وبينك من القرابة ما رُمّت هذا مني، أتغشانا في دارنا بما نكره؟ قال: وقد قال أسعد لمصعب: أي مصعب جاءك، والله! سيّد من وراءه من قومه، إن يتبعك لا يتخلّف عنك منهم اثنان، قال: فقال له مصعب: أو تقعد فتسمع، فإن رضيت أمراً ورغبت فيه قبلته، وإن كرهته عزلنا عنك ما تكره؟؟ قال سعد: أنصفت. ثم ركز الحربة وجلس، فعرض عليه الإسلام، وقرأ عليه القرآن، وذكر موسى بن عقبة أنّه قرأ عليه أول الزخرف، قالوا: فعرفنا، والله! في وجهه الإسلام قبل أن يتكلّم في إشراقه وتسهّله، ثم قال لهما: كيف تصنعون إذا أنتم أسلمتم ودخلتم في هذا الدين؟ قالوا: تغتسل فتطهّر، وتطهّر ثوبيك، ثم تشهد شهادة الحق، ثم تصلي ركعتين. قال: فقام

فاغتسل وطهّر ثوبيه وشهد شهادة الحق، ثم ركع ركعتين، ثم أخذ حربته فأقبل عائداً إلى نادي قومه ومعهم أُسَيْدُ بن حضير.

فلَمَّا رآه قومه مقبلاً قالوا؛ نحلف بالله لقد رجع إليكم سعد بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم. فلَمَّا وقف عليهم قال: يا بني عبد الأشهل: كيف تعلمون أمري فيكم؟ قالوا: سيدنا وأفضلنا رأياً وأيمننا نقيية. قال: فَإِنَّ كلام رجالكم ونسائكم عليّ حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، قال: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلماً أو مسلمة. ورجع أسعد ومصعب إلى منزل أسعد بن زُرارة فأقام عنده يدعو الناس إلى الإسلام، حتى لم تبق دار من دور الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون؛ إلا ما كان من دار بني أمية بن زيد، وخطمة؛ ووائل، وواقف، وتلك أوس. كذا في البداية^(١)

الرسول يتحلي بالفضائل واللطائف (فن وافقه جاء علي النخير) :

(١) الرسول ﷺ واجه الأعرابي عندما حمل عليه السيف وهو نائم ، بلطائفه:

فعن جابر رضي الله عنه أنه غزا مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل نجد فلما قفل رسول الله صلى الله عليه وسلم قفل معهم فأدركتهم القائلة في واد كثير العضاء، فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وتفرق الناس

يستظلون بالشجر، ونزل رسول الله صلى الله عليه وسلم تحت سمرة فعلق بها سيفه، ونمنا نومة فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعونا وإذا عنده أعرابي فقال: إن هذا اخترط علي سيفي وأنا نائم فاستيقظت وهو في يده صلتا قال: من يمنعك مني؟ قلت: الله ثلاثا ولم يعاقبه وجلس. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

وفي رواية قال جابر: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بذات الرقاع فإذا أتينا على شجرة ظليلة تركناها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فجاء رجل من المشركين وسيف رسول الله صلى الله عليه وسلم معلق بالشجرة فاخرطه فقال: تخافني؟ قال لا فقال: فمن يمنعك مني؟ قال الله.

وفي رواية أبي بكر الإسماعيلي في صحيحه فقال: من يمنعك مني؟ قال الله فسقط السيف من يده فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم السيف فقال: من يمنعك مني؟ فقال: كن خير آخذ. فقال: تشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله؟ قال: لا ولكني أعاهدك أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلى سبيله، فأتى أصحابه فقال: جئتم من عند خير الناس^(١).

(٢) عمير بن وهب الجمحي:

جاء بالسيف، بعد أن شحذه بالسهم لقتل الرسول ﷺ، والرسول ﷺ واجهه بلطائفه، فعن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: جلس عمير بن وهب الجمحي مع صفوان بن أمية في الحجر بعد مصاب أهل بدر ببسير، وكان

(١) رياض الصالحين - باب اليقين والتوكل.

عمير بن وهب شيطاناً من شياطين قريش، وممن كان يؤذي رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ويلقون منه عناءً وهو بمكة وكان ابنه وهب بن عمير في أسارى بدر، فذكر أصحاب القلب ومصابهم. فقال صفوان: والله ما إن في العيش بعدهم خير. قال له عمير: صدقت، أما والله! لولا دين عليّ ليس عندي قضاؤه وعيال أخشى عليهم الضيعة بعدي لركبت إلى محمد حتى أقتله، فإن لي فيهم علة ابني أسير في أيديهم. قال: فاغتنمها صفوان بن أمية: فقال: عليّ دينك أنا أقضيه عنك، وعيالك مع عيالي أواسيهم ما بقوا لا يسعني شيء ويعجز عنه. فقال له عمير: فاكنتم عليّ شأني وشأنك. قال: سأفعل. قال: ثم أمر عمير بسيفه فشحذ له وسماً، ثم انطلق حتى قدم المدينة. فبينما عمر بن الخطاب رضي الله عنه في نفر من المسلمين يتحدثون عن يوم بدر ويذكرون ما أكرمهم الله به وما أراهم في عدوهم؛ إذ نظر عمر إلى عمير بن وهب وقد أناخ على باب المسجد متوشحاً بالسيف. فقال: هذا الكلب عدو الله عمير بن وهب ما جاء إلا لشر، وهو الذي حرّش بيننا، وحررنا للقوم يوم بدر.

ثم دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا نبي الله، هذا عدو الله عمير بن وهب قد جاء متوشحاً سيفه. قال: « فأدخله عليّ ». قال: فأقبل عمر حتى أخذ بحمالة سيفه في عنقه فلبّيه بها، وقال لمن كان معه من الأنصار: أدخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فأجلسوا عنده،

واحذروا عليه من هذا الخبيث فإنه غير مأمون. ثم دخل به على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم وعمر آخذ بحمالة سيفه في عنقه. قال: «أرسله يا عمر. إدنُ يا عمير فدنا ثم قال: أنعم صباحاً، وكانت تحية أهل الجاهلية بينهم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «قد أكرمنا الله بتحية خير من تحيتك يا عمير، بالسلام تحية أهل الجنة». قال: أما والله ! يا محمد إن كنتُ بها لحديث عهد. قال: «فما جاء بك يا عمير؟» قال: جئت لهذا الأسير الذي في أيديكم فأحسنوا فيه. قال: «فما بال سيف في عنقك؟» قال: قبَّحها الله من سيوف وهل أغنت عنا شيئاً؟ قال: «أصدقني ما الذي جئت له؟» قال: ما جئت إلا لذلك. قال: «بل قعدت أنت وصفوان بن أمية في الحجر، فذكرتما أصحاب القلب من قريش، ثم قلت: لولا دين عليّ وعيالٌ عندي لخرجتُ حتى أقتل محمداً؛ فتحمل لك صفوان بن أمية بدينك وعيالك على أن تقتلني له، والله حائل بينك وبين ذلك». فقال عمير: أشهد أنك رسول الله، قد كنا يا رسول الله نكذبك بما كنت تأتينا به من خبر السماء وما ينزل عليك من الوحي، وهذا أمر لم يحضره إلا أنا وصفوان؛ فوالله إنني لأعلم ما أتاك به إلا الله، فالحمد لله الذي هداني للإسلام وساقني هذا المساق، ثم شهد شهادة الحق. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «فقهوا أخاكم في دينه، وعلموه القرآن، وأطلقوا أسيره» ففعلوا. ثم قال: يا رسول الله، إني كنت جاهداً على إطفاء نور الله، شديد الأذى لمن كان على دين الله، وأنا أحب أن تأذن لي فأقدم مكة أدعوهم إلى الله وإلى

رسوله وإلى الإسلام، لعلَّ الله يهديهم، وإلا آذيته في دينهم كما كنت أؤدي أصحابك في دينهم، فأذن له رسول الله صلى الله عليه وسلم قلحق بمكة. وكان صفوان حين خرج عمير بن وهب يقول: أبشروا بوقعة تأتاكم الآن في أيام تنسيكم وقعة بدر. وكان صفوان يسأل عنه الركبان حتى قدم راكب فأخبره عن إسلامه، فحلف أن لا يكلمه أبداً ولا ينفعه بنفع أبداً. كذا في البداية^(١).

(٣) **قصة الأعرابي** : فعن أنس بن مالك قال كنت أمشي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وعليه برد نجراني غليظ الحاشية فأدركه أعرابي فجذبه بردائه جذبة شديدة حتى نظرت إلى صفحة عاتق رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أثرت بها حاشية البرد من شدة جذبته ثم قال يا محمد مر لي من مال الله الذي عندك فالتفت إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم ضحك ثم أمر له بعطاء رواه البخاري.

(٤) **زيد بن سحنة (الحبر اليهودي)** :

عن عبد الله بن سلام رضي الله عنه قال: إنَّ الله عزَّ وجلَّ لما أراد هُدى زيد بن سحنة قال زيد بن سحنة: ما من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفتُها في وجه محمد صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين لم أخبرهما

(١) حياة الصحابة.

منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيد شدة الجهل عليه إلا حُلماً. قال زيد بن سُعْنَة: فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم يوماً من الحُجرات ، ومعه علي بن أبي طالب ، فأتاه رجل على راحلته كالبدوي، فقال: يا رسول الله، لي نفر في قرية بني فلان قد أسلموا ودخلوا في الإسلام، وكنت حدثتهم إن أسلموا أتاهاهم الرزق رَغداً. وقد أصابتهم سنة وشدة وقحط من الغيث، فأنا أخشى ، يا رسول الله ، أن يخرجوا من الإسلام طمعاً كما دخلوا فيه طمعاً؛ فإن رأيت أن ترسل إليهم بشيء تغيثهم به فعلت. فنظر إلى رجل إلى جانبه، أراه علياً ، فقال: يا رسول الله ما بقي منه شيء. قال زيد بن سُعْنَة: فدنوت إليه فقلت: يا محمد، هل لك أن تبيعني تمرّاً معلوماً في حائط بني فلان إلى أجل معلوم، إلى أجل كذا وكذا. قال: «لا تُسمَّ حائط بني فلان» قلت: نعم، فبايعني، فأطلقت همياني فأعطيته ثمانين مثقالاً من ذهب في تمر معلوم إلى أجل كذا وكذا، فأعطاه الرجل وقال: «إعدل عليهم وأغثهم».

قال زيد بن سُعْنَة: فلما كان قبل محلِّ الأجل بيومين أو ثلاثة خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم ومعه أبو بكر، وعمر، وعثمان رضي الله عنهم في نفر من أصحابه، فلم صلى على الجنازة ودنا إلى الجدار ليجلس إليه أتيته، فأخذته بمجامع قميصه وردائه ونظرت إليه بوجه غليظ، وقلت له: يا محمد، ألا تقضيني حقِّي؟ فوالله، ما علِمْتُ بني عبد المطلب إلا مُطلاً، ولقد كان بمخالطكم علم. ونظرت إلى عمر وعيناه تدوران في وجهه كالفلك المستدير، ثم رماني ببصره فقال: يا عدو الله، أتقول لرسول الله صلى الله

عليه وسلم ما أسمع؟ وتصنع به ما أرى؟ فوالذي نفسي بيده لولا ما أحاذر فَوْتَهُ لضربت بسيفي رأسك، ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر إليّ في سكون وتؤدة. فقال: « يا عمر، أنا وهو كنا أحوج إلى غير هذا؛ أن تأمرني بحسن الأداء، وتأمره بحسن أتباعه. إذهب به يا عمر، فأعطه حقّه وزدّه عشرين صاعاً من تمر مكان ما رُعته ».

قال زيد: فذهب بي عمر فأعطاني حقّي وزادني عشرين صاعاً من تمر. فقلت: ما هذه الزيادة يا عمر؟ قال: أمرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أزيدك مكان ما رُعتك. قال: قلت: وتعرفني يا عمر؟ قال: لا. قلت: أنا زيد بن سُعنة. قال: الحبر؟ قلت: الحبر. قال: فما دعاك إلى أن فعلت برسول الله ما فعلت، وقلت له ما قلت؟ قلت: يا عمر، لم يكن من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفت في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين نظرت إليه إلا اثنتين، لم أخبرهما منه: يسبق حلمه جهله، ولا تزيده شدة الجهل عليه إلا حلماً. وقد اختبرتهما، فأشهدك، يا عمر، أنني قد رضيتُ بالله رباً، وبالإسلام ديناً وبمحمد نبياً، وأشهدك أن شطر مالي، فإني أكثرها مالاً صدقةً على أمة محمد صلى الله عليه وسلم قال عمر: أو على بعضهم فإنك لا تسعهم، قلت: أو على بعضهم. فرجع عمر، وزيد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال زيد: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. وآمن به وصدقّه وبايعه، وشهد معه مشاهد كثيرة؛ ثم توفي في غزوة تبوك مقبلاً غير مدبر. رحم الله زيدا. قال الهيثمي: رواه الطبراني ورجاله ثقات؛ وروى ابن

ماجه منه طرفاً: انتهى^(١).

كان الناس يغفلون علي النبي، والنبي صلي الله عليه وسلم يقابلهم بحلمه وشفقته ورحمته (اللطائف) فيدخلون في دين الله أفواجا ، والقصاص كثيرة فمن أراد الإستزادة فليقرأ باب الأخلاق المفضية إلي هداية الناس في كتاب حياة الصحابة للكاهنهلوي.

وهذه التربية في الدعوة إلي الله مأخوذة من كتاب الله تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ * وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾^(٢) أي عداوة بينك وبينه تتخيل وتهياً نفسك كأنه صديق عزيز غال عندك حتى تستطيع أن تدعوه بالشفقة والرحمة والحلم والصبر .

طبع الإنسان يميل إلي اللطائف ، ولكن في القتال يشهر الرجل سيفه على أبيه وأخيه وقريبه ويقطع عنقه ، لابد من الغضب والغلظة وعدم الرحمة ، والشفقة عكس القسوة تماماً ، الكتائف ضد الطبع ، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ ﴾^(٣).

(١) كتاب حياة الصحابة _ باب الأخلاق المفضية إلي هداية الناس ١/.

(٢) سورة فصلت _ الآيتان ٣٣ ، ٣٤.

(٣) سورة البقرة _ الآية ٢١٦.

فرعون يقتل أولاد بنى إسرائيل ، ولكن سيدنا موسى يواجهه بلطائفه
قال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا ﴾^(١).

فالداعى لا يحمل عاطفة الانتقام ، فالرسول ﷺ رغم إيذاء قومه له لم
يتغير داخلياً، لأنه ممتليء شفقة ورحمة .

الداعى يحمل عاطفة الرحمة ، ولكن أثناء القتال تكون عاطفة الانتقام
هى الأعلى.

أنت فى الدعوة تتخلق بصفات الجمال لله مثل الرحيم ، الكريم ، الوهاب ،
العفو ، الصبور ، الودود .

وفى القتال تتخلق بصفات الجلال لله تعالى مثل المنتقم، الجبار، المذل.
فأنت فى الحالتين خليفة الله تعالى فى أرضه ، ولذا الداعى لا يتأثر
بالأسباب ، وما دام سلاحه اللطائف فلا يتوقف عن الدعوة بحجة الاحوال ،
فسيدنا نوح ٩٥٠ سنة دعوة وأحوال شديدة ولكن لم يتوقف، قال تعالى: ﴿
قَالُوا لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴾^(٢) .

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ

فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِزٌّ ﴾^(٣).

(١) سورة طه - الآية ٤٤ .

(٢) سورة الشعراء - الآية ١١٦ .

(٣) سورة هود - الآية ٩١ .

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾^(١) .

والرسول ﷺ عاهد الكفار على عدم القتال ١٠ سنوات رغم أن بيت الله الحرام به أصنام ولكن لم يتوقف عن الدعوة لحظة واحدة : " يا عم والله لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في يساري على أن أترك هذا الأمر حتى يظهره الله، أو أهلك فيه ما تركته " ^(٢) كلمة دعوة واحدة ، جولة دعوية واحدة ، زيارة دعوية واحدة ، دعاء للدعوة ، بكاء ، عاطفة ... لا نتوقف لحظة واحدة .

مثال: لو أن هناك طريق به حفر ومجارى ويقع فيه العميان ويؤذيهم ، فلو أن المبصرون قالوا نعمل مؤتمر ونتفق فيه على عدم مساعدة العميان ، فالعقلاء يقولون : والله لا نوافق ولا نوقع على هذه المعاهدة ، لأن هذا يخل بالمروءة والعاطفة الإنسانية ، ولذا كيف أترك الناس تقع فى حفر جهنم والعياذ بالله .

فى الدعوة لا نتأثر بالأحوال، أما فى القتال نتأثر بالأحوال ، خالد ينسحب من أمام العدو ، ولكن فى الدعوة لم ينسحب أى نبي من الدعوة ،

(١) سورة الأنفال - الآية ٣٠ .

(٢) البداية والنهاية _ فصل تأليب الملأ من قريش على رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ج ٣ .

وعندما انسحب سيدنا يونس من الدعوة معروف ماذا حدث له ، والقرآن يحذرنا من ذلك قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ﴾^(١).

أثناء الدعوة (**كفوا أيديكم**) ولكن لا تكفوا عن الحلم ، عن العفو ، عن الكرم ، عن الرحمة ، عن الشفقة ، عن الدعاء لهم ، يوسف في السجن يدعو ، فالداعي الناجح يدعو في جميع الأحوال والأماكن ، ولذا الدعوة تؤثر في الأحوال .

الداعي دائماً يلزمه حالات في مجتمعه: مظلوم ، مغلوب ، يتعامل مع السفهاء ، الحمقاء، الغلطاء، كافر يسبه، كافر غليظ (سفيه واحد يغلب ألف حلیم) فإذا استعملت نفس الألفاظ والمعاملة للسفهاء فأنت مثلهم ، الرسول ﷺ غلبة أطفال الطائف، ولكن هو ظل على لطائفه (اللهم اهْدِ قَوْمِي فَإِنِّهِمْ لَا يَعْلَمُونَ)، سيدنا نوح ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرُ﴾^(٢).
٩٥٠ سنة مغلوب، لم يظل مغلوب مظلوم مسكين والناس تحتقره ٤٠ يوم أو ٤ شهور أو ٦٠ سنة ولكن ٩٥٠ سنة ، وليس هذا نقص في دينه ولكن هذا كمال دينه وخلقه وأدبه وصفاته والرسول وصحابته، قال تعالى: ﴿أُذِنَ

(١) سورة القلم - الآية ٤٨ .

(٢) سورة القمر - الآية ١٠ .

لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بَأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ * الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبَّنَا اللَّهُ ﴿١﴾.

ولكن مغلوب في المعركة فهذا نقص في دينه في شروط القتال وفي صفاته القتالية ، ولكن في الدعوة لا تنقص صفاته فأنت مغلوب مظلوم ، تدعو لمن ظلمك وغلبك وحقرك واستهزئ بك وسخر منك وشتمك ، أما في القتال تدعو على من ظلمك وغلبك وحقرك .

من هم الذين تدعوهم؟

ذكرهم الله في القرآن { قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ، قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ، لَا يُبْصِرُونَ ، قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ، الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ، الْغَافِلِينَ ، السُّفَهَاءَ ، الْمُسْتَهْزِئِينَ ، الْمَاكِرِينَ ، الْمُجْرِمِينَ ، كَانَتْ تَعْمَلُ الْخَبَائِثَ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمٌ سَوَاءٍ فَاسِقِينَ } . هؤلاء الأصناف هم ميدان جهد الأنبياء والدعاة إلى الله عز وجل.

وفوق ذلك:

(١) سورة الحج - الآيتان ٣٩ ، ٤٠ .

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادِلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾^(٢).

وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك (منع الدعوة) أو يخرجوك (الطرد) أو يقتلوك).

والداعي لا يشعر بعداوتهم رغم كل ذلك، ولكن يشعر بأخوتهم، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطٌ أَلَا تَتَّقُونَ﴾^(٣). وقال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾^(٤). كلمة أخوهم تبعث على الرحمة والشفقة والملاطفة ، يا قوم ، يا عشيرتي ، يا أهلي ، يا جيرانى ، ولكن فى القتال

(١) سورة غافر - الآية ٥.

(٢) سورة الأنفال - الآية ٣٠.

(٣) سورة الشعراء - الآية ١٦١.

(٤) سورة العنكبوت - الآية ٣٦.

بالغلظة والانتقام وعدم الرحمة وعدم الملاطفة ، وحتى تبطش تقول يا عدو الله ، كلمة تبعث فيك على الغلظة والانتقام والإيذاء والقتل والأسر .

في الدعوة تحسين الألفاظ والمعاملة : يا أخى ، يا قوم ، يا بنى آدم (نحن

أولاد أب واحد) يا أيها الناس ، يا أيها الإنسان الذى كرمك ربك ، تخاطب فيهم الإنسانية ، لأن الإنسان ذات وصفات كما سبق ، صفات فيها معصية وكفر وعناد وفسق ... ولكن يخاطبه فى ذاته ، أيها الإنسان المكرم والذى أحسن الله صورتك ووهب لك العقل وسخر لك كل ما فى السموات والأرض ، فالدخول على الكافر والعاصى من جهة الذات فيذكره بالإنسانية ، بالإخوة الآدمية ، ثم يدخل بعد ذلك على صفاته الكفرية ، والكراهة للصفات وليس للذات ، ولذا حرم الله قتل الكافر قبل دعوته ولذا مقصد الأنبياء والرسول : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾^(١) أى تغيير صفاتهم للأحسن والأفضل وليس تغيير ذاتهم ، والإنسان الكافر عنده استعداد أن يتعلم لأنه جاهل (لا يعلمون ، لا يفقهون) كافر عنده استعداد للإيمان ، عاص عنده استعداد أن يتوب ويرجع ، فالقلب يكره الصفات المذمومة ولا يكره الذات ، فإذا كرهنا الذات فلا ندعوه ، فنقتله فوراً ، وهذا تعطيل للرحمة والشفقة والعفو والحلم والصبر .. التى جاءت بها الرسل والأنبياء من الله تعالى.

(١) سورة الأنبياء _ الآية ١٠٧ .

وفى القتال تكره الصفات والذات، عداء كامل، قال تعالى: ﴿لَا تَتَّخِذُوا

عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾^(١) ليس فى مكة عدوى وعدوكم .

الله يقول عن الكافر أثناء الدعوة يا أيها الإنسان ، يا بنى آدم ، يا بنى إسرائيل ، يا أهل الكتاب ، وليس يا أيها الكافر، يا أيها العاصي ، يا أيها الفاسق ، ولكن يا أهل الكتاب ، يا بنى إسرائيل نسبة إلى الكتب المقدسة التوراة والزبور والإنجيل ونسبة إلى سيدنا يعقوب ، كلمة تدعو إلى الاحترام لهم .

لكن فى القتال يذكرهم بأبشع الصفات فلم يقل : قاتلوا أهل الكتاب ، قاتلوا بنى إسرائيل ، قاتلوا بنى آدم ، قاتلوا الناس ، ولكن قال تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿فَقَاتِلُوا أُمَّةَ الْكُفْرِ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾^(٥) وقال

(١) سورة الممتحنة _ الآية ١.

(٢) سورة التوبة _ الآية ٢٩.

(٣) سورة النساء _ الآية ٧٦.

(٤) سورة التوبة _ الآية ١٢.

(٥) سورة التوبة _ الآية ٣٦.

تعالى: ﴿ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿ وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنْفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾^(٢) ويذكرهم بـ (الضالين - المغضوب عليهم - الكفرة الفجرة) ففي القتال يذكر عيوبهم وصفاتهم الذميمة .

في الدعوة العداوة للشيطان فقط مثل يوسف، قال تعالى: ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾^(٣) ولم يقل بيني وبين أعدائي الذين حاولوا قتلى.

أسلوب الدعوة في القتال إمهالهم ثلاثة أيام ثم القتال، لأن فيه صيغة الأمر، مثلما قال ربعي بن عامر لرستم قائد الفرس: إن الله إبتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله .. ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .. ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله ﷻ ، قالوا : وما موعود الله ؟ قال الجنة لمن مات على قتال من أبى والظفر لمن بقى !!..^(٤) إما أن تسلم أو الجزية أو السيف ، فالدعوة في

(١) سورة الحجر _ الآية ٥٨.

(٢) سورة النمل _ الآية ١٤.

(٣) سورة يوسف - الآية ١٠٠.

(٤) البداية والنهاية لابن كثير.

القتال فيها إلزام ، فيها قوة ، مثل قوله تعالى: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

هذا أمر إلزامي ، ولكن أسلوب الدعوة يا أبتى ، قال تعالى: ﴿ وَيَقُومُ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النِّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ ﴾ (٢) يا أخى ، فيه تلطف.

وفى القتال المقاتل يتكلم مع الضعيف، أما فى الدعوة عكس ذلك الداعى ضعيف والكفار أقوياء، إبراهيم ضعيف أمام النمرود، وموسى ضعيف أمام فرعون القوى، قال تعالى: ﴿ قَالُوا يَشْعِيبُ مَا نَفَقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَاكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْ لَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ ﴾ (٣) رغم أن سيدنا شعيب كان خطيب الأنبياء، وذكروا ضعفه والمانع لرحمه (وهى أبشع وسيلة للقتل) أهلك وعشيرتك ، وأيضاً ماذا حدث للرسول ﷺ فى

(١) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

(٢) سورة غافر - الآية ٤١ .

(٣) سورة هود - الآية ٩١ .

مكة والطائف، وكذلك الصحابة في الجزء الأول من حياة الصحابة (أبواب تحمل الصحابة الشدائد في الدعوة إلى الله) .

● نضرب مثالين للعلاقة بين جهد الدعوة وجهد القتال :

أولاً : جهد المعلم ، فالمعلم عليه جهدان ، الأول شرح الدرس بأحسن الأساليب والألفاظ والأخلاق والمعاملة الحسنة ، لأن هذا الطالب سيصبح مهندس ، طبيب ، طيار ، فنى وهذا هو الجهد الأصلي ، أما إذا قصر أى طالب فى تحصيل دروسه وواجباته فالمعلم يضربه بالعصى ، فإذا قال الطالب يا أستاذ آخر مرة أقصر فى واجباتى وسوف أهتم بدروسى ، يترك الضرب ويترك التعنيف له ، ولذا قال تعالى: ﴿ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ﴾ (٢) ولذا فى القتال لو كافر قتل ١٠٠٠ مسلم ثم تاب وأسلم يفرح به المسلم ولا يقتله.

(١) سورة التوبة - الآية ٥ .

(٢) سورة التوبة - الآية ١١ .

فلو قيل صف لنا المعلم : قال من يحمل العصا ويضرب الطلبة فهذا ظلم كبير له، وكذلك لا نستطيع أن نصف الرسول ﷺ بأنه غليظ ، مقاتل ، رغم قول الله له : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾ (١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾ (٢) .

وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ (٣) .

ولكن قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ (٤). على: الاستعلاء

والارتفاع، ولذا في نهاية سورة براءة تصف أخلاق الرسول في القتال قال تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٥) .

وقال تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ (٦)

وقال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ (٧).

(١) سورة التحريم - الآية ٩.

(٢) سورة البقرة - الآية ١٩١.

(٣) سورة التوبة - الآية ٣٦.

(٤) سورة القلم - الآية ٤.

(٥) سورة التوبة - الآية ١٢٨.

(٦) سورة الزمر - الآية ٥٥.

(٧) سورة البقرة - الآية ٨٣.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ

إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بَالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾^(٢) .

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣) وليس موت وهلاك

وتعذيب وعداوات وشدة وغلظة .

ثانياً : جهد الأم: فالأصل في جهدها الرعاية والنظافة والتغذية والتعليم باللطف وأفضل وأرق وأحسن العبارات والأساليب ، ولكن عندما يتبرز أو يتبول طفلها تقوم على نظافته وإصلاحه وليس ضربه أو تركه على حالته ، ولكن في حالات نادرة جدا تضربه وتعنفه وربما تمنع عنه بعض محبوباته ، فلو قلنا صف لنا الأم فلو قال قائل التي تضرب ولدها وتمنع ما يحب، فهذا ظلم لها وإهدار جهدها العظيم في تربية وتنشئة وليدها .

بعدم وجود البصيرة أصبحنا لا نقوم على الدعوة، والأدهى من ذلك ندعو بدعاء القتال على الكفار ونحن لا ندعوهم ولا نقاتلهم مثل اللهم اقتلهم بـدداً ولا تبقى منهم أحداً، اللهم أهلك المشركين والكافرين .

فهم مثل الطبيب بدل أن يتعامل مع المريض بالمراهم والأدوية والحقن يتعامل معه بالساطور والسكاكين .

(١) سورة فصلت _ الآية ٣٣ .

(٢) سورة النحل - الآية ١٢٥ .

(٣) سورة الأنبياء _ الآية ١٠٧ .

المعركة

بين الحق والباطل

○ قال تعالى: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾^(١).

○ وقال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾^(٢).

○ الله ﷻ خلق الإنسان وكرمه وأسبغ عليه نعمه ظاهرة وباطنة، ودله على كل خير ينفعه وحذره من كل شر يضره .

○ فالحق من الله تعالى، والباطل من المخلوق، والأنبياء والرسل يبلغون رسالات الله فقط، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٣).

(١) سورة الإسراء - الآية ٨١.

(٢) سورة الأنبياء - الآية ٨١.

(٣) سورة الأحزاب - الآية ٣٩.

○ فالحق ليس من عندهم، ولكن الحق يقوده الأنبياء والرسل والدعاة إلى الله ، والباطل يقوده الشيطان وأتباعه قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ

رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ (١).

○ على قدر الإرادة من الإنسان يكون في الحق أو في الباطل، والإرادة المؤيدة من الله تعالى: إرادة الحق، لأنها تحقق مراد الله من خلقه، فمفتاح الحق والباطل (الإرادة).

○ وكل طاعة عبادة للحق، وكل معصية عبادة للشيطان، ففي الحق قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ * لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثُ ثَلَاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِنْ لَمْ يَنْتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٢).

○ وفي الباطل، قال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا

(١) سورة الكهف - الآية ٢٩.

(٢) سورة المائدة - الآيتان ٧٢ ، ٧٣.

الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ * وَأَنْ اعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
 * وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿١﴾ - (يَابَنِي
 آدَمَ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ) سواء كان صنم أو شمس أو بقرة، وقال
 تعالى: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ
 ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (٢).

○ روى الإمام أحمد والترمذي عن عدي بن حاتم رضي الله عنه: أنه لما
 بلغته دعوة رسول الله ﷺ فر إلى الشام، وكان قد تنصر في الجاهلية
 فأسرت أخته وجماعة من قومه، ثم من رسول الله ﷺ على أخته وأعطاهما،
 فرجعت إلى أخيها فرغبته في الإسلام وفي القدوم على رسول الله ﷺ،
 فقدم عدي إلى المدينة، وكان رئيساً في قومه طيئ وأبوه حاتم الطائي
 المشهور بالكرم، فتحدث الناس بقدومه، فدخل على رسول الله ﷺ وفي
 عنق عدي صليب من فضة، وهو يقرأ هذه الآية: ﴿اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ

(١) سورة يس - الآيات من ٦٠، ٦٢ .

(٢) سورة التوبة - الآية ٣١ .

وَرُهْبَانُهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١﴾

(١) قال فقلت: إنهم لم يعبدوهم فقال: " بلى إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام فاتبعوهم فذلك عبادتهم إياهم " وقال رسول الله ﷺ: " يا عدي ما تقول؟ أضررك أن يقال الله أكبر؟ فهل تعلم شيئاً أكبر من الله؟ أضررك أن يقال لا إله إلا الله، فهل تعلم إلهاً غير الله؟) ثم دعاه إلى الإسلام ، فأسلم وشهد شهادة الحق، قال: فلقد رأيت وجهه استبشر، ثم قال: " إن اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون " وهكذا قال حذيفة بن اليمان وعبد الله بن عباس وغيرهما في تفسير: { اتخذوا أبحارهم ورهبانهم أربابا من دون الله {إنهم اتبعوهم فيما حللوا وحرموا، ولهذا قال تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا } أي الذي ما شرعه اتبع، وما حكم به نفذ { لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ } أي تعالى وتقدس وتنزه عن الشركاء والنظراء والأعوان والأضداد والأولاد لا إله إلا هو ولا رب

سواه^(١).

○ وقال السعدي: وهذا - وإن كان يستغرب على أمة كبيرة كثيرة، أن تتفق على قول - يدل على بطلاته، أدنى تفكر وتسليط للعقل عليه - فإن لذلك سببا وهو أنهم: { اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ } وهم علماءهم { وَرُهَبَانَهُمْ } أي: العبَّاد المتجربين للعبادة. { أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ } يُحِلُّونَ لَهُمْ مَا حَرَّمَ اللَّهُ، فيحلونه، ويحرمون لهم ما أحل الله فيحرمونه، ويشرعون لهم من الشرائع والأقوال المنافية لدين الرسل فيتبعونهم عليها. وكانوا أيضا يغفلون في مشايخهم وعبادهم، ويعظمونهم، ويتخذون قبورهم أوثانا، تعبد من دون الله، وتقصد بالذبايح، والدعاء، والاستغاثة. { وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ } اتخذوه إلهًا من دون الله، والحال أنهم خالفوا في ذلك، أمر الله لهم على السنة رسله، قال الله تعالى: { وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ } فيخلصون له العبادة والطاعة، ويخصونه بالمحبة والدعاء. فنبذوا أمر الله، وأشركوا به، ما لم ينزل به سلطانا. { سُبْحَانَهُ

(١) مختصر تفسير ابن كثير _ تفسير الآية ٣١ من سورة التوبة.

{ وتعالى " عَمَّا يُشْرِكُونَ " أي: تنزهه وتقدس، وتعالى عظمته عن شركهم وافتراءهم، فإنهم ينتقصونه في ذلك، ويصفونه بما لا يليق بجلاله. والله تعالى العالي في أوصافه وأفعاله، عن كل ما نسب إليه، مما ينافي كماله المقدس. فلما تبين أنه لا حجة لهم على ما قالوه، ولا برهان لما أصّلوه، وإنما هو مجرد قول قالوه، وافتراء افتروه - أخبر أنهم { يُريدُونَ } بهذا { أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ } ونور الله: دينه، الذي أرسل به الرسل، وأنزل به الكتب. وسماه الله نورا، لأنه يستنار به في ظلمات الجهل، والأديان الباطلة. فإنه علم بالحق، وعمل بالحق، وما عداه، فإنه بضده^(١).

○ قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّنْ صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ * فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ * إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا

(١) كتاب تفسير القرآن الكريم للسعدي - تفسير الآية ٣١ من سورة التوبة.

تَكُونُ مَعَ السَّاجِدِينَ * قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ
صَلْصَالٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ * قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ * وَإِنَّ
عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ * قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ
* قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ * إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ * قَالَ رَبِّ
بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ * إِلَّا
عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ * قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ * إِنَّ
عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنْ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَإِنَّ
جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ * لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ
جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿١﴾ معنى أبي : أي أنه يستطيع السجود ولكن هو تكبر،

فإن الله أعطي الإنسان قوة الإذعان سواء في الحق أو في الباطل، وكذلك
الجن كما سبق في الآية .

○ هناك أمران من الله .

(١) أمر تكويني:

قال تعالى: ﴿إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ (١) .

وقال تعالى: ﴿يَنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ﴾ (٢) .

بردا وسلاما على إبراهيم فقط ولكن على الباقي بالحرق، ولا يستطيع أي مخلوق التمرد على ذلك الأمر.

(٢) أمر شرعي :

قال تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ رَبَّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ (٣) .

وقال تعالى: ﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ (٤) .

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا

رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ (٥) .

وقال تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ

(١) سورة الأحزاب - الآية ٣٩ .

(٢) سورة الأنبياء - الآية ٦٩ .

(٣) سورة المائدة - الآية ٧٢ .

(٤) سورة البقرة - الآية ٤٣ .

(٥) سورة الحج - الآية ٧٧ .

عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١﴾

والأمر التكويني: لا يتكرر، لأن التنفيذ فور الأمر، أما الأمر التشريعي

يتكرر، والله يرسل الأنبياء والرسل وأتباعهم بالترغيب والتكرار له، لذا يستطيع أضعف إنسان أن يذعن للحق أو يتمرد عليه.

○ قال تعالى: ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (٢) عدلا فيما أمر،

وصدقا لما وعد وأخبر، فإبليس كان مع أهل الحق (الملائكة) ويعمل الحق، ثم جاءه أمر تشريعي فأنكشف أمره، لأن الأمر المخالف للنفس يظهرها، ولكن الموافق لا يكشفها، فالجهد شيء والعمل شيء آخر .

○ فاجهد: كل أمر مخالف للنفس، ولكن العمل ممكن يكون موافق للنفس

مثل قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

الْمُسْرِفِينَ * قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ

مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ

الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ .

(١) سورة النحل_ الآية ١٢٥ .

(٢) سورة الأنعام _ الآية ١١٥ .

(٣) سورة الأعراف - الآيتان ٣١ ، ٣٢ .

وقال تعالى: ﴿فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ

أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا﴾ (١).

○ فالأمر (فاسجدوا) فالملائكة سجدت رغم إنهم خلقوا من نور، والنور أفضل من النار والطين، وهم في الطاعة الدائمة، وأقوى من آدم وأقوى من الجن، ولكنهم سجدوا لأن هذا أمر الله، وأيضا الله أكرم آدم، فالملائكة تكرم من أكرمه ربه .

○ فالسجود إذن فيه: أمر ومعنى. فالأمر: أسجد . والمعنى: تكريم لآدم. ولكن إبليس أبي قال تعالى: ﴿ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا ﴾ (٢).

○ مفتاح الباطل: تمجيد النفس وتحقير الخير (مجد نفسك وحقر غيرك).

○ ومفتاح الدعوة: زلل نفسه واحترم الآخرين .

○ ولذا الذي يعترض على هذا الجهد يقول: ما معك أولا ، يتكبر عليك وكأنه علامة وأنت جاهل، ثم يقول : تعلم ثم أدعو ثم يصل لدرجة أنه يشعر أنك على باطل وعلى بدعة وهو على الحق، وما معه من العلم

(١) سورة النساء _ الآية ٣.

(٢) سورة الإسراء _ الآية ٦١.

والمعرفة أفضل منك.

○ ثلاث مهلكات: [أنا . عندى . لى] وجهد الحق:

قال تعالى: ﴿ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (٣)

○ فإبليس أبي أن يسجد لآدم وقال قال تعالى: ﴿ قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ

طِينًا ﴾ (٤). بمعنى لا أسجد الآن ولا مستقبلا — يعني حتى رفض التفاوض فأصبح من الملعونين دنيا وآخره — فهو عنده كبر، وزاد عليه الحسد لآدم لأنه يعتقد أنه طرد من رحمة الله بسببه، فشمر عن ساعديه واجتهد

(١) سورة يونس _ الآية ٤٩ .

(٢) سورة المائدة _ الآية ٧٢ .

(٣) سورة يس _ الآية ٨٣ .

(٤) سورة الإسراء _ الآية ٦١ .

في الغواية والضلال ليس لأبنائه ولكن لآدم نفسه وزوجته، فبدأت معركة الحق والباطل من أول لحظة بين آدم وإبليس.

○ فبدأ إبليس في غواية آدم من خلال أقوى غريزتين في الإنسان هما :

حب التملك وحب البقاء، فقال إبليس: ﴿ هَلْ أَذُكَّ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ

وَمُلْكٍ لَا يَبْلَى ﴾ ^(١) وزاد في الخداع قال تعالى: ﴿ وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي

لَكُنتُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ ^(٢) ووقع آدم وزوجته في أول معصية ولكن

ندما قال تعالى: ﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا

لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ * اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي

الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ ^(٣) السماء طاهرة وليس فيها

معصية وسكانها أطهار طائعين، فالآن المعركة على الأرض .

ففتح الحق : دين نفسك أي اتهم نفسك، ففي الحديث عَنْ أَبِي يَعْلَى شَدَاد

بن أَوْس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: " الْكَيْسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ

(١) سورة طه _ الآية ١٢٠ .

(٢) سورة الأعراف _ الآية ٢١ .

(٣) سورة الأعراف _ الآيتان ٢٣ ، ٢٤ .

لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله!" رواه الترمذي وقال حديث حسن^(١).

وعن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه قال لرسول الله ﷺ علمني دعاء أدعو به في صلاتي، قال: " قل اللهم إني ظلمت نفسي ظلماً كثيراً ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم " متفق عليه^(٢).

ولم يقل قل: إني أسلمت من البداية مع رسولك وضحت بكل ما أملك في سبيل دينك، ولكن قل : اللهم إني ظلمت نفسي ... وهذا هو مفتاح الحق، مثل مفتاح العربة، مفتاح البيت، ومفتاح الخزينة، يظل معك وإلا تسرق فوراً.

○ فعندما عصي آدم ربه ثم تاب عليه هبط الاثنان إلى الأرض (آدم وإبليس) وبدأت معركة الحق والباطل على الأرض، فآدم هبط من مكان، ولكن ظلت مكانته عالية، أما إبليس هبط من المكان [كان وسط الملائكة] ونزل إلى الأرض . وهبط من المكانة أيضا (كان في الرحمة فأصبح من الملعونين) فشتان بين هبوط آدم وهبوط إبليس .

○ ولذا في الأنكار اتهام النفس وتمجيد الله تعالى : فالإتهام وإزلال للنفس :

(١) رياض الصالحين - باب المراقبة ص .

(٢) رياض الصالحين - باب الدعوات ص ٥٠٥ .

بالاستغفار والتوبة والاعتراف بالذنوب والتقصير (ظلمت نفسي) .
 والتمجيد لله بـ سبحان الله . والحمد لله . ولا إله إلا الله . والله أكبر . ولا
 حول ولا قوة إلا بالله . ثم الاعتراف بفضل الرسول الأعظم ﷺ بالصلاة
 عليه .

○ فالدعوة رسالة تكريميه من الله للإنسان على يد الأنبياء والدعاة إلى الله
 تعالى .

○ ويوجد شيطانان : جني وإنسي ، فشيطان الجن عداوته قائمة ولن تتغير،
 أما شيطان الإنس فله الدعوة:

قال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ ﴾ (١).

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ ﴾ (٢)

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ ﴾ (١)

(١) سورة الأعراف - الآية ٦٥.

(٢) سورة الأعراف - الآية ٧٣.

وقال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ * إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ
لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ * إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا﴾ (٢)

قرية كافرة وتعمل الخبائث فالله يرسل سيدنا لوط لمدة (٥٠) سنة دعوة فقط
ولا يؤمن معه إلا بيت واحد.

○ والرسول ﷺ لم يقول لأبو سفيان : يا عدو الله . يا أخو إبليس — يا كافر
— يا أبا جهل — يا فاسق (رغم أنه فرعون هذه الأمة) ولكن يقول له:
يا أبا الحكم أدعوك إلي الله وإلي رسوله.

والله يعلم فرعنة فرعون، ونمرده النمرود، ولكن يرسل لهما رسولين
من أولى العزم، ويوصي سيدنا موسى، قال تعالى: ﴿فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لِّئِنَّا
لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى﴾ (٣).

○ والقرآن أثناء الدعوة يوجه الدعوة بألفاظ : يا بني آدم .. يا أيها الناس
، يا أيها الإنسان أي يا أولاد آدم المكرم والمبجل، والذي معه نعمة العقل
، ويا أيها الإنسان : يحرك فيها مشاعر الإنسانية الصحيحة .. فأنت
إنسان عاقل مبصر .. حولك وفوقك وتحتك وفيك من الآيات ما تعرفك

(١) سورة الأعراف - الآية ٨٥.

(٢) سورة الأعراف - الآيات من ١٦٠ : ١٦٣.

(٣) سورة طه - الآية ٤٤ .

بربك الكريم العظيم الوهاب الكريم.. والنداء هذا لشياطين الإنس، أي للكفر المشركين والفاجرين، والمتآمرين على قتل الرسل والأنبياء والدعاة إلي الله تعالى .. وحتى أهل الكتاب المشركين والكافرين والحاسدين، ينادي عليهم بلفظ فيه الاحترام والتوقير، بسبب أنهم أولاد بني آدم وأيضا كان معهم كتاب: يا أهل الكتاب.

○ فالرسول ﷺ ومن قبله إخوانه من الأنبياء حولوا شياطين الإنس إلي عباد الرحمن، المؤمنين، المخلصين الصادقين، الركع السجود، الذاكرين الله كثيرا والذاكرات .. بل وأتباعه يحملون هذا النور لغيرهم سلوكا وعملا قبل دعوتهم اللفظية، ولوجه الله تعالى، ويضحون براحتهم وأهليهم وأموالهم وأوطاتهم وحتى نفوسهم لهذا النور.

○ فالدعوة إخراج الناس: من الظلمة إلى النور، من المعصية إلي الطاعة، من النجاسة إلى الطهارة، ومن كان في الظلمة كيف تكون أفكاره وحياته وآماله .. فصفاته مذمومة جدا، ولذا نجده يستهزئ ويتهمك ويعارض ويحارب ويكذب الذي في النور .. ولكن عندما يقبل هذا النور ينقلب على نفسه باللوم والسخرية، وقلة العقل .

○ ولذا لا ينجح في دعوة الحق إلا من كان عنده صفات معينة (مؤهلات) مثل الصبر . الحلم . الشفقة . الرحمة . إنكار الذات . كظم الغيظ العفو .. هذه هي المؤهلات الحقيقية التي كانت مع الأنبياء وصحابة الرسول ﷺ .

○ في هذه الدنيا الرحمة عامة للمرحوم (الطائع) والملعون (العاصي)

ولكن في الآخرة هي لأهل الجنة فقط . فأهل النار يقولون لأهل الجنة كان طعامكم وشرابكم قليل في الدنيا وكنتم تكرموننا منه، فالآن طعامكم لا حد له والماء بالأنهار وأنتم كرماء فأعطونا مما معكم، فما يعطونهم شيء لأن الله حرمها على الملعونين، قال تعالى: ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ * إِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ * أَهَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ * وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ * الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ نَنسَاهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا

يَجْحَدُونَ ﴿١﴾ .

○ فبجهد الأنبياء يتحول شياطين الإنس إلى كواكب وأحباب وعباد لله تعالى يباهي الله بهم الملائكة .

○ سيدنا يونس ترك الجهد على قومه فعاقبه الله بالسجن في بطن الحوت لأربعين يوما تقريبا، وقوم سيدنا موسى يقولون: قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَنْذَرُ مُوسَى وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتِكَ قَالَ سُنُقِتُّ أبنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴾ * قال موسى لقومه استعينوا بالله واصبروا إن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين * قالوا أؤذينا من قبل أن تأتينا ومن بعد ما جئتنا قال عسى ربكم أن يهلك عدوكم ويستخلفكم في الأرض فينظر كيف تعملون ﴿ (٢) .

○ فالنصرة ليست بشخص موسى وهارون، ولكن بجهد الأنبياء الذي ينتج منه الإيمان والأعمال الصالحة، والرسول ﷺ بشخصه في غزوة أحد وجاء النصر في البداية ولكن بسبب قلة قليلة جدا عصت أمر الرسول ﷺ تأويلا

(١) سورة الأعراف - الآيات من ٤٦ : ٥١ .

(٢) سورة الأعراف - الآيات من ١٢٧ : ١٢٩ .

وليس عمداً، فوقعت الهزيمة وقتل سبعين رجلاً من خيرة الصحابة وجرح
الرسول ﷺ وتعرض للقتل .. فليس المربي الذي يقول أنا أربي، ولكن
الذي يقول أنا وربي .



مذاكرة

في بعض صفات الداعي

قال الله تعالى: ﴿الرَّ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَافِلِينَ﴾ (١).

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " أنا أولى الناس بعيسى بن مريم في الأولى والآخرة الأنبياء إخوة من علات (٢) وأمهاتهم شتى ودينهم واحد وليس بيننا نبي " . متفق عليه (٣).

(١) سورة المدثر - الآية ٣.

(٢) أخوه من علات : أولاد الرجل الواحد من نساء شتى.

(٣) مشكاة المصابيح - باب بدء الخلق وذكر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ١/.

سورة يوسف والدعوة:

نلاحظ في أول سورة يوسف كلمات : [كِتَابٌ مُبِينٌ] واضح ومفسر ومفصل - [لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ] فمن لم يعقله ويفهمه ويقيم حياته عليه فهو مجنون [أَحْسَنَ الْقَصَصِ] لأنه يتكلم عن أفضل وأكمل وأرقى وأعلى وأشرف وأحسن حياة لأفضل وأشرف وأكرم خلق الله عند الله وهم أنبياءه الأصفياء، ولذا في نهاية السورة، قال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (١) إذن قصص القران للعبرة والافتداء والاتباع فتأتي البصيرة، وليس قصص، للقصص .

معروف أن الله فصل ووضح وفسر الدعوة في سور كاملة في القرآن مثل (يونس .. هود .. يوسف .. نوح .. ن والقلم) .
ومن خلال سورة يوسف نتعرف على صفات الداعي، والصفات الحقيقية لا تتغير ولا تتأثر في جميع الأحوال والظروف التي تمر على الداعي أثناء التربية، بعكس الصفات الصورية فهي تتلون حسب الأحوال.

(١) سورة يوسف _ الآية ١٠٨ .

أولاً: توجد أخلاق نبوية ، وأخلاق بشرية إيمانية عالية:

- (١) مثل موقف الرسول ﷺ مع الكافر الذي رفع عليه السيف وهو نائم.
- (٢) أخلاق الرسول مع عمير بن وهب عندما جاء لقتل النبي .
- (٣) موقف سيدنا عمر مع الحبر الإسرائيلي زيد بن سعنه قبل إسلامه، هذا رد فعل عادي وطبيعي، ولكن رد فعل الرسول ﷺ قوله لعمر أعطه حق ما روعته.

(٤) وكذلك أخلاق سيدنا يعقوب مع أولاده ﴿ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ * وَجَاءُوا عَلَى قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾^(١) صبر لا عتاب بعده، ولم يقل لهم على ما تكذبون .. بل قال على ما تصفون، رغم أن الله أعلمه أنهم كاذبون، وسيدنا يوسف في نهاية مشواره ما عاتب إخوته ونسب الخطأ للشيطان ﴿ مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ ﴾^(٢) وقبل ذلك قال ﴿ لَا تَثْرِبَ

(١) سورة يوسف _ الآيتان ١٧، ١٨.

(٢) سورة يوسف _ الآية ١٠٠.

عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١﴾ وأيضاً عندما اعترفوا بخطئهم لوالدهم: ﴿قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ ﴿٢﴾.

أخوة يوسف كواكب، وهم أصول بني إسرائيل، رغم قول أحدهم: اقتلوه . واستقر الرأي: ألقوه في غيابت الحب والحيلة والكذب والمخادعة ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾ ﴿٣﴾ مثل سيدنا عمر كم عادى الرسول ﷺ والاسلام، وأبو سفيان قاذ الجيوش ضد الرسول ﷺ في بدر وأحد والأحزاب، وعمر بن العاص وخالد بن الوليد وهند زوجة أبو سفيان وعكرمة بن أبي جهل وعمير بن وهب .. وغيرهم صاروا كواكب وأدلة للإسلام والإيمان حياة ودعوة . وهذا التغيير لم يتم بصلاة وذكر وحج وزكاة الرسول ﷺ ولكن بدعوة الرسول ﷺ وصحابته الكرام.

الله يقدر لك الخير عندما تتوجه وتشتاق وترغب إليه ويقدر لك الشر عندما تتكبر على الخير .

(١) سورة يوسف _ الآية ٩٢ .

(٢) سورة يوسف _ الآية ٩٨ .

(٣) سورة يوسف _ الآية ٤ .

لا يضر مع الدعوة شيء كما لا ينفع مع الكفر شيء، قال تعالى : ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ﴾^(١) ولم يقل الا ما كتب الله علينا .

قوة اليقين :

ويظهر ذلك بثباته على الحق في جميع الأحوال وبالأخلاق، وواضح ذلك عندما علم سيدنا يعقوب بما حدث ليوسف من إخوته، والله أعلمه ما حدث، لأنه يعرف أن ذلك قدر الله تعالى، حتى قيل عندما حكى له أولاده ما حدث ليوسف : قال أنه لذنب كريم حلیم، يأكل ولدي ولم يمزق قميصه .

التسك باحق في أحلك الظروف والمواقف :

فهو شاب وخادم في قصر الطغاة ويعتبر في حكم الرق عندهم، وهي الملكة : ﴿ وَرَأَوْدَتُهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ * وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ * وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَا سَيِّدَهَا

(١) سورة التوبة - الآية ٥١ .

لَدَى الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ^(١) ولكن الله انطق له الطفل ببراءته، لأن الطفل لا يعرف الكذب أو المداينة، ولا يخاف بطش الملكة أو أحد الحاشية، والكل اعترف ببراءته ورغم ذلك قال تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَأَ لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الْآيَاتِ لَيْسْجَنَهُ حَتَّىٰ حِينٍ﴾^(٢) وهي تعترف، قال تعالى: ﴿الآن حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوِدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣).

ثم بعد ذلك ﴿إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾^(٤) فبعد أن كان خادماً، وسجين، ومتهم أصبح ﴿أَيُّهَا الصَّدِيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾^(٥) أيها العزيز، والذي غير كل ذلك عمل الدعوة والاستقامة عليه، مثل رسولنا ﷺ، يتهمونه ويشتمونه، ويلقي عليه القازورات، وهو ثابت وواثق من نصره الله

(١) سورة يوسف _ الآيات من ٢٣ : ٢٥ .

(٢) سورة يوسف _ الآية ٣٥ .

(٣) سورة يوسف _ الآية ٥١ .

(٤) سورة يوسف _ الآية ٥٤ .

(٥) سورة يوسف _ الآية ٦٤ .

وأن معية الله معه، ولذا أخذ أعلي وسام بشري من رب العالمين، قال تعالى:

﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾^(١).

فالداعي مغلوب، متهم، مظلوم:

نوح عليه السلام:

قال تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ * فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ * وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَىٰ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ * وَحَمَلْنَاهُ عَلَىٰ ذَاتِ الْأَوَاحِ وَدُسِّرَ * تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرَ * وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ * فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرٍ * وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ

(١) سورة القلم _ الآية ٤.

(٢) سورة القمر _ الآيات من ٩ : ١٧.

بِي ضَلَالَةٍ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿١﴾.

هود (عليه السلام):

قال تعالى: ﴿وإلى عاد أخاهم هوداً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيرهِ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قال الملائة الذين كفروا من قومه إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنُظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قال يا قوم ليس بي سفاهة ولكني رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَى رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ

لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَآتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَادِلُونَنِي فِي أَسْمَاءِ سَمَيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ فَانْتَضِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾.

صالح (عليه السلام):

قال تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * واذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ الْجِبَالَ بُيُوتًا فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ *

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ * قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ * فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ * فَأَخَذْتَهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * فَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿١﴾.

لوط (عليه السلام):

قال تعالى: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِّنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْاسٌ يَّتَطَهَّرُونَ * فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا

امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا فَانْظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿١﴾.

شعيب (عليه السلام):

قال تعالى: ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا
لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ
وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ
إِصْلَاحِهَا ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ
صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا
عِوَجًا وَاذْكُرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُفْسِدِينَ * وَإِنْ كَانَ طَائِفَةٌ مِّنْكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ
وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ
الْحَاكِمِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا

شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَؤُ
 كُنَّا كَارِهِينَ * قَدْ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ
 إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ
 رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ * وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنْ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذَا لَخَاسِرُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ
 الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ * الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ
 لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ * فَتَوَلَّى
 عَنْهُمْ وَقَالَ يَا قَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ
 فَكَيْفَ آسَى عَلَى قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١﴾.

محمد (صلي الله عليه وسلم):

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
 إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ

السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾.. فإعزاز الروح تأتي بعد إتعاب البدن وازلال النفس
الله .

وضح الدين في حياة يوسف عليه السلام :

فدعوته محققه فيه، ولذا مجرد دخوله السجن قال له من رآه: ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١). أي ليس أي دين ولكن أعلاه فعنده أحسن عبودية ، وأحسن أخلاق وأحسن معاملات ، وأحسن رضى بقضاء الله له .

فهذا الجمال الداخلي انعكس على ظاهره ولذا قال المساجين ﴿إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) وبدأوا يعرضون عليه مشاكلهم، مثل صاحب يس تأثر من الدعاة فذهب فوراً لهم وانشغل بما هم مشغولون به، قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ * اتَّبِعُوا مَن لَّا يَسْأَلْكُمْ أَجْرًا وَهُمْ مَّهْتَدُونَ﴾^(٣).

(١) سورة الإسراء _ الآية ١ .

(٢) سورة يوسف _ الآية ٧٨ .

(٣) سورة يوسف _ الآية ٧٨ .

(٤) سورة يوسف _ الآية ٥٢ .

فيوسف مشغول بمقصوده في كل المواقف، وعندما اعترفت امرأة العزيز قالت: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ﴾^(١).

ومؤمن آل فرعون رغم قوة وشيوع الباطل، وندرة الحق، فهو وحده وسط آل فرعون، ولكنه دعاهم إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي آمَنَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ * يَا قَوْمِ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ * مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ * وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ * تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ * لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ وَأَنْ مَّرَدَّنَا إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ * فَسْتَذَكِّرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ

بِالْعِبَادِ * فَوَقَاهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَّرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ
الْعَذَابِ ﴿١﴾

الصبر واليقين على نصره وتأييد الله للداعي :

فالإتهام كان للكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم والحديث [متفق فيوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله] متفق عليه . وأيضا هو في السجن تظهر قمة الأخلاق والإحسان عندما فسر لهم الرؤية بالصديق ﴿يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِي سَبْعِ بَقَرَاتٍ﴾ (٢) رغم تأكدهم من براءته وصدقه أدخلوه السجن، فما غضب عليهم، ما رفض الكلام معهم، ما رفض نفعهم، وما رفض إرشادهم، ولم يقل هم ظلمة فسقه، إنها أخلاق راقية جدا، لأنها أخلاق ويقين وصبر حقيقي، فلم تتغير نفسية يوسف طول حياته من الحب إلى الرق إلى السجن إلى سرير الملك والمنصب .

المهمة العالية ووضوح مقصده والحركة ولو كان منفردا :

(١) سورة غافر _ الآيات ٣٨ : ٤٥ .

(٢) سورة يوسف _ الآية ٤٦ .

فيوسف فور دخوله السجن بدأ بالدعوة مباشرة إلى الله تعالى: ﴿قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكَمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ * وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾^(١) . وصاحب يس مجرد أن رأى الدعوة إلى الله ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَاقَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢) .

العدو الوحيد والذي لا يتغير عند الداعي هو الشيطان :

ولذا رغم أن أخوته أذوه ، وأوقعوه في مشاكل كبيرة ، ولكنه أكرمهم ، ورفعهم مع أبوية معه في المكاة ، ونسب أفعال أخوته للشيطان ﴿مِنْ بَعْدِ أَنْ تَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾^(٣) .

الأدب والاحترام مع الآخرين:

(١) سورة يوسف _ الآيتان ٣٧ : ٣٨ .

(٢) سورة يس _ الآية ٢٠ .

(٣) سورة يوسف _ الآية ١٠٠ .

حتى لو كانوا دونه في المكانة، أو جهلوا عليه، فهو يقول لمن كان معه في السجن [يا صاحبي السجن] ، وأثناء تفسيره للرؤيا لهما لم يقل فلان يحدث له كذا وكذا ولكن قال [أما أحدكما] أدب في الدعوة ، وأدب في تفسير الرؤيا ، لأن حياة الداعي ودعوته بسيطة وسهلة ، حتى الكفار تستهزئ منهم ومن تبعهم ﴿ وَمَا تَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ ﴾^(١) والله يأمر رسولنا الكريم والعظيم أن يصبر نفسه مع أضعف الناس من أمته مثل بلال، صهيب، عمار، ابن أم مكتوم، ومعروف عتاب الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ عند انشغل بدعوة الأكابر عن عبد الله ابن أم مكتوب [سورة عبس وتولى]

الداعي لا يبرئ نفسه:

ولكن سيدنا يوسف برأ نفسه لأنه سيتولى منصب عام ، ولذا لم يقبل المنصب إلا بعد أن شهد الكل ببراءته وصدقه ، واعترفت امرأة العزيز ، وهو أيضا لم يعاتب أحد ولم يطلب تعويض لما حدث له رغم اعترافهم كلهم بصدقه وبراءته ، بل قال بعض العلماء أن دخوله السجن كان حيلة لحفظه لأن الكل تقريبا فتن بجماله وأخلاقه وأدبه وأمانته .

(١) سورة هود _ الآية ٢٧ .

الشعور دائماً بالامتنان والعرفان والفضل والعطاء لله وحده:

ولذا طول القصة لم نقرأ كلمة ضجر واحدة أو انتساب الفعل لغير الله ﴿ قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴾ (٢) وقال تعالى: ﴿ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (٣) والدعاء يبين ذلك جلياً قال تعالى: ﴿ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ (٤) نفس الأخلاق والمعاملة من الرسول ﷺ لقومه عندما انتصر عليهم في مكة ، وقوله لهم ما تظنون أنى فاعل بكم قالوا أخ كريم وابن أخ كريم قال نفس كلام أخيه يوسف، قال تعالى: ﴿ قَالَ لَا تَثْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَعْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴾ (٥)

(١) سورة يوسف _ الآية ٨٦.

(٢) سورة يوسف _ الآية ١٨.

(٣) سورة يوسف _ الآية ٨٦.

(٤) سورة يوسف _ الآية ١٠١.

(٥) سورة يوسف _ الآية ٩٢.

اذهبوا فأنتم الطلقاء ، لأنه كما سبق في الحديث [ودينهم واحد] أى أخلاقهم ومنهجهم ومقصدهم واحد ، وفى نهاية السورة قال تعالى: ﴿ قُلْ هَـذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١)

متى تعلو كلمة الله ؟

بجهد ونهج النبى ﷺ ، التاجر المسلم هو يريد أن تعلو كلمة الله ولكن على هواه وعلى مزاجه ولكن لا تعلو كلمة الله إلا بجهد ونهج النبى ﷺ فرق بين طلب الشهادة للحريات وطلب الشهادة لله .

إذا دخل فى قلوب المسلمين وليس على ألسنتهم أن الله أكبر وهو المتصرف فى الكون ، وليس له مقابل فتأتى نصره الله وتعلو كلمة الله ، ولكن المسلمين تاهوا فى الدنيا فالكفار عرضوا عليهم فتنين المال والنساء ، ووقع المسلمين فى الفخ .

فأى عزة وأى فلاح لا يكون إلا بالامتثال لأوامر الله تعالى ، وأن يكون عندنا اليقين على الله ، وإن نخرج من قلوبنا الاعتماد على الأسباب المادية .

أجهزة نشر الدين:

(١) سورة يوسف _ الآية ١٠٨ .

عندما المسلمون اختاروا أجهزة الباطل لنشر الدين ، فانتشر الباطل ولم ينتشر الدين ، سليمان سأل الله الحكم لتبليغ الدين ، سرعة الشمس ٣٥ ألف ميل في الساعة ولكن لا نرى سرعتها ، وهذا الجهد يسير ببطء مثل الشمس ، علينا أن يكون عندنا يقين على هذا الجهد ، فالإيمان نور ليس علم ، لماذا الله بين قصة موسى كثيراً في القرآن ، كم صبر موسى على قومه ، علينا الاستقامة والصبر والصلاة ، علينا الصبر مع التقوى ، صبر بدون تقوى لا يصلح قال تعالى: ﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾^(١) وقال تعالى: ﴿إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) .

الآن الأمة في الذلة ، مثل الشرطي الذي أمسك السارق ، والشرطي يضربه ودعاء السارق على الشرطي لا يستجاب له لماذا ؟ لأن السارق ليس عنده تقوى ، وهو ظالم ومجرم ، فالأمة أصبحت مثل السارق ، أخذنا الدين لأنفسنا وضيعنا حق الكفار من الآخرة لأننا ما دعوناهم للإيمان وندعو عليهم ولا يستجاب لنا .

(١) سورة التوبة _ الآية ٧٠ .

(٢) سورة يوسف _ الآية ٩٠ .

نفهم القرآن بجهد النبي ﷺ ومنهج النبي ﷺ القرآن محفوظ في الرأس ويتلى على اللسان ، ولكن لماذا لا تنزل نصره الله ؟ لأننا لم نحول هذا المنهج إلى نظام حياة ، ولا يتم ذلك إلا بالمجاهدة .

الصلاة بحقيقتها تقضى الحاجات، وليس الصلاة بهيئتها وشكلها، ولكن مع الهيئة الحقيقية.

الحفاظة ليست بالأسلحة، ولكن الحفاظة في الأعمال، الأدعية والدعوة وقيام الليل والشورى، أداء حقوق العباد ننفق على الآخرين [اللهم أعطى منفقاً خلفاً] .

بنى إسرائيل استعاروا من قوم فرعون الذهب وأخذوا الذهب معهم بغير حق، فالله أضلهم [جمعوا الذهب وصنعوا به العجل] لأنهم أخذوا الذهب غصب، عزة الإسلام ليست بالمال ولا بالحكم ولا بالأسلحة.

الله يسحب الأسباب من المسلمين ويعطيها للكفار، حتى يخرج من قلوب المسلمين الاعتماد على الأسباب المادية ويأتى فى قلوبهم عظمة الله ، واليقين على أعمال الإيمان تأتى نصره الله.

إذا يكون عندنا الإيمان بالآخرة فنحن ننفق ولا يكون عندنا الحرص على الدنيا ، نحن مسئولين عن الدين، مسئولية الحاجة الدنيوية قليلة، أما مسئولية الدين كثيرة وكبيرة وعظيمة، فنحن عكسنا الحال فأعطينا المسئولية للدنيا الوقت الكثير والفكر والجهد الكثير، المطلوب نعدل المعكوس، السيارة تحتاج إلى الماء والبنزين والزيت، الناس تحتاج إلى المأكل والمشرب

والمسكن والمنكح ولكن ليس هذا مقصود بل حاجات، مثل مقصد السيارة وحاجات السيارة.

فإذا لم يقوم الإنسان على مقصوده فالشهوات والحاجات تنقلب عليه فتكون كثيرة ولا يستطيع الهروب منها قال تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ

الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ

يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا﴾^(١) هو يريد بها فتهم عليه مثل الأسد

المفترس ، ولكن قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا

وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾^(٢) . فأصبح في حفاظة

فلو هجمت عليه الدنيا لا تستطيع أن تؤذيه [سليمان، عبد الرحمن بن عوف

– عمر بن الخطاب] فالذى تكثر حاجاته فلا يكون عند الوقت لدين الله ، وإذا

استمر على ذلك فالله ينزل عليه مصيبتين :

١ – أن تكثر حاجاته ولا يستطيع قضائها .

٢ – تزيد شهواته ولا يستطيع سدها.

(١) سورة الإسراء _ الآية ١٨ .

(٢) سورة الإسراء _ الآية ١٩ .

فالذى فى العسارة مثلاً يعمل طول اليوم ومتأخر فى الليل ، وأحياناً ينسى أن يأكل أو يصلى والذى فى الحقل كذلك أو الذى يعمل فى الدكان ، وعلى السيارة أو الوزارة ، أو المصنع .

والذى لا يكون على المقصد فهو يدخل فى الإسراف ، ولو دخل فى الإسراف فهو لا يستطيع أن يقضى حاجاته بسهولة .

بدون الماء لا توجد الحياة، كذلك بدون جهد الدين لا يوجد دين، فالمسئولية علينا والهداية على الله، الجهد شرط والهداية موعود .

لحياة الإنسان الله أنزل الماء، لحياة الإنسان فى الدنيا والآخر الله أنزل الأوامر [الجسد والروح] الجسد من التراب وغذاؤه مما تنبت الأرض ، والروح من الله وغذاؤها أوامر الله تعالى ، الدنيا دار الأسباب ، والدعوة سبب لإحياء الدين ابتداء بالإيمان ثم الأعمال .

عندما يكون عندنا الشعور بالمسئولية فالله ينصرنا: المسئولية تكملة الدين فى حياتنا ثم الدعوة إليه ، وهذا يتطلب إتفاق الوقت والمال والنفس والصحة والرغبات الجسدية والمعنوية، فالله يبارك فى كل هؤلاء [أنفق ينفق عليك] ليس فى المال فقط ، ولكن فى كل ما تملك قال تعالى: ﴿ وَمَا

لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى * إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى *
وَلَسَوْفَ يَرْضَى ﴿١﴾ .

الصحابه قاموا على المقصد وقال أحدهم لأكبر ملوك الأرض ، إن الله اتبعنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، لأن الدنيا مهما تأتي عند الإنسان بدون الدين فهي ضيقة وكلها مشاكل .

الطريق الصحيح :

الذى ضل عن الطريق عليه أن يرجع مهما كانت الصعوبة ، الطريق الذى يوصل هو محمد رسول الله ﷺ ، فائدة الإيمان القوى يجعلنا نبايع على طاعة الله فالدنيا تخدمنا ، وإذا لم نقوم فالدنيا تستخدمنا ، وعندما يكون الإيمان ضعيف يظهر ذلك عند المسلم الكذب ، والرشوة ، وأكل الربا ، والتكاسل فى الطاعات ، إلغاء من حياته جهد الدين ، ففى جهد الدين ترويض للنفس على طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ ، والرسول ﷺ أصلح بينه وبين ربه فأصلح الله بينه وبين الناس .

القلم وسيلة المعرفة ، والكون واسطة المعرفة ، والإنسان صاحب المعرفة .

الله سبحانه وتعالى قبل الأزل وبعد الأمد ، والإنسان يعيش فى الأجل ويمر عليه الأمد .

لإنسان يعطى فكره وجهد ، ويضحى بماله ووقته للشئ الذى يقينه عليه ، كحال الناس فى هذا الزمان أعطوا أفكارهم وجهدهم للتجارة والصناعة والزراعة ...

شرف العبد يشرف محبوبه ، وعلوه بعلو محبوبه .
من كبرت همته ارتفعت قيمته ، فالإنسان بمشاعره وهمومه .
أعظم صفة عند الإنسان هى الإيمان واليقين ، فإذا نوى واجتهد أعطاه الله الصفات المحبوبة عنده من الصدق والعفة والرحمة والشفقة .
سر الإنسان البدنية فى الأصابع والأظافر (سبحانه الخالق العظيم) .
الدنيا عناوين مؤقتة وزائفة والآخرة عناوين ثابتة وحقيقية ، أما جنة أو نار .

فى ثمار الدنيا صور أنهار الجنة الأربعة [الطعم - الحلاوة - النكهة - الماء] .

اللطائف الثلاث (الماء ، الهواء ، النور) لا طعم ولا لون ولا رائحة ، وهم سبب لجميع الألوان والطعوم والروائح ، فالداعى الذى يقوم بنشر اللطائف فالله يجعله سبباً لنشر الخير فى العالم .

الذى يحب الدنيا يفسد عقله وفكره وقلبه وأشواقه وعواطفه وحبه وخوفه وإحساسه وشعوره ... بل كله من رأسه إلى أساسه ، ويصبح من أهل الدنيا فقط بإرادتها وطلبها وحبها ، ولو كان يملك جنيهاً واحداً ، ولكن حتى يكون من أهل الآخرة لا يكفى إرادتها وحبها ، ولكن لابد من الجد والمثابرة والسعى لها وهو مؤمن .

أوسع وأعرض وأكبر باب للشر حب وإرادة الدنيا ، والعكس أوسع وأعرض وأكبر باب للخير حب وإرادة الآخرة .

أعظم شخصية إذا طلب الدنيا سقط من عين الله تعالى ، وأبسط شخصية إذا طلب الآخرة عظم فى عين الله تعالى .

المغرور الذى يتلذذ بنعيم الدنيا مثل الذى يتلذذ بلمس الثعبان وهو حى فى الظلام ، فمن باع الآخرة بالدنيا خسر الاثنين .

إذا نقوم على جهد الدعوة الله يعطينا خيرات الدنيا والآخرة ، ويصطفى لنا خيار الرجال والنساء ويصرف عنا الأشرار كما أعطى الله الرسول ﷺ صفوة أهل الخير وصرف عنه عتاة أهل الشر .

(الرحمن علم القرآن) فالقرآن كله رحمة ، فكل حرف رحمة ، وكل كلمة رحمة ، وكل آية رحمة ، وكل قصة رحمة ، وكل سورة رحمة ، ولا يعرف الناس ذلك إلا عن طريق الدعوة وليس العبادات .

أى نبي من الأنبياء ﷺ تتدفق الرحمة من قلبه مثل النهر الجاري ، وإذا قبضها ينزل العذاب على الخلق .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : " إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ (١) . " ، لأن أخلاق الرسل السابقين وشفقتهم ورحمتهم محدودة لأقوامهم ولكن رسولنا ﷺ كافة للناس .

المسخر تنتفع به ولا تقدر عليه ، والمذل تنتفع به وتقدر عليه .

نحن رحما بغيرنا ، فعلينا أن نرحم غيرنا ، الإسلام رحمة ، ولكن الكافر يتصوره غير ذلك بسبب أعمال وأحوال المسلم .

(١) لم يقل "بعثت" وإنما قال " إنما بعثت "...إنما في لغة العرب تفيد الحصر والقصر، يعني عندما تقول إنما جئتكم لأزورك.. فكأنك تقول: جئتكم لأزورك وأزورك فقط.. ليس لمجيئي من هدف آخر إلا زيارتك..فكأنه صلى الله عليه وسلم،يقول ما بعثني الله عز وجل إلا لأتمم مكارم الأخلاق..ولأتمم مكارم فقط، فلو أني سألت الناس من حولي..أكمل الحديث... " إنما بعثت.... " واذكر أهم شيء في نظرك بعث لأجله المصطفى لذكر الناس أصولا وقواعد وأمورا كثيرة..ولكنه قال "...لأتمم مكارم الأخلاق " لأتمم..لم يقل "جئتكم بشيء جديد"...إنما قال "... لأتمم" فكأنه يقول جئت لأكمل ما بدأه غيري ولأتمم ما ذكره من قبلي..فمكارم الأخلاق ليست حكرا على أمة دون أمة...ولا بشرا دون بشر..ولا جنس دون جنس...ولا لغة دون لغة... مكارم الأخلاق هي لغة الإنسان.. كل إنسان..على مدار العصور..وعلى مر الدهور..يفهمها الصغير والكبير.. يفهمها الغني والفقير.. يفهمها الساقى والأمير.. يفهمها العامي ومن كان في البلاغة مثل جرير..وما يميز الإنسان..عن غير الإنسان.. هي مكارم الأخلاق ...

الله أرسل الرسل واسطة رحمة : مثل النهر المتدفق الجارى ، فأصل

الرحمة من الرحمن إلى الرسل إلى الخلق ، رحمة إنقاذ من الشرك والضلال والجهل ، فإذا بسط الله بسطت الرسل ، وإذا قبض الرسل ففتتوقف الرحمة .

إذا تراحت الأمة ورحمت غيرها تجرى روافد الرحمة وتصب فى نهر كبير وواسع وعمت الرحمة البشرية ، وإذا جفت الروافد تكون الإنسانية على حافة الهاوية وتحيط بها الأخطار من كل جانب .

الله سبحانه وتعالى خلقنا ليرحمنا ، والواسطة لرحمة الله تعالى هو طريق الرسل ، وطريق خاتمهم الرسول ﷺ .

الغيوم تحمل المطر الذى هو رحمة يرحمهم الله بها الناس ، ولكن جميع المطر لا يعدل رحمة سنة واحدة للرسول ﷺ .

أعظم بسط أن تبسط قلوبنا لرحمة الآخرين ، وأعظم قبض أن تقبض قلوبنا عن الرحمة .

يزداد منسوب الرحمة فى قلوب الدعاة كلما زادت أحوال الناس سوءاً ، وتتسع قلوبهم وصدورهم للناس وعلى الناس .

أكبر نعمة هى نعمة الهداية ، وهى رحمة الله للبشرية ، وطريق الحصول عليها طرق الرسل الموصلة إلى رحمة الله ، والذى يسير على طريق

الرسول ﷺ ينقل الرحمة للغير

المسلم خلق رحمة للبشرية ، فكيف لا يرحمه الله ، فالرسول ﷺ واسطة رحمة للعاملين ، والمسلم نائب على الرسول ﷺ في حمل وتوصيل الرحمة .
مع كل طاعة رحمة ، ومع كل معصية لعنة .

وطول العمر وكثرة المال ، وكثرة الأولاد ، وكثرة الميزات من المأكولات والمنكوحات رحمة عامة لكل المخلوقات ، قال تعالى: ﴿ وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا ﴾^(١) و قال تعالى: ﴿ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً ﴾^(٢) نعمتان مغبون فيها كثير من الناس الصحة والفراغ] ولكن

الرحمة الخاصة قال تعالى: ﴿ الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴾^(٣).

هناك تجانس بين لحوم ودماء الناس فالشفقة والرحمة متبادلة ، ولكن بسبب عدم التجانس بيننا وبين الحيوانات والطيور فنذبحها ونسيل دماءها ونأكل لحومها ، والله المثل الأعلى عند الله تعالى عود الحطب والإنسان العاصي سيان .

الرحمة نوعان :

(١) سورة إبراهيم _ الآية ٣٤ .

(٢) سورة لقمان _ الآية ٢٠ .

(٣) سورة الرحمن - الآيتان ١ ، ٢ .

مقصد : وهى رحمة الضال والجاهل والعاصى يرسل الله لهم الأنبياء والرسل والدعاة ، ورحمة خلق : رحمة الفقير والمريض والدابة ترفع حافرها عن ولديها ...

إذا نبدأ بالجهد بالرحمة فالله يعطينا الحكمة ويحشينا عواطف ، فندعو بالشفقة والرحمة والحنان والود .

الله سبحانه وتعالى خلق جميع المخلوقات ليرحم بها وخلق الإنسان ليرحمه .

جهد الأنبياء رحمة ، والكرامات وأخرها الجنة أثر من الآثار الرحمة .
إذا لا نقوم على هذا الجهد يصبح ألفاظ ومعلومات الإيمان على اللسان والعبادات صور ليس لها أثر فى الحياة ، والرحمة غير حقيقية ، والأخلاق تجارية لكسب الدنيا ، ولكن بالدعوة يأتى اليقين والإيمان الحقيقى الذى يحيى العبادات ويظهر أثرها فى الحياة وتصبح الرحمة فى القلوب حقيقية فنرحم الضال والجاهل والعاصى ، وتصبح الأخلاق حقيقية فاضلة تستعمل لإدخال الناس فى رحمة الله تعالى .

النملة امتلأت عواطف ورحمة ، والهدهد امتلأ جهد .

علينا أهل الدعوة والتبليغ [كما يسموننا الناس] أن نتخصص بفقه الرحمة والشفقة على الناس وأن نشرب من نهر الرحمة المضطرد ، وه وقصص الأنبياء وسيرتهم العذبة .

فرعون يزيد في تقتيل أولاد بنى إسرائيل ، وموسى عليه السلام يوسع
مستودع الرحمة قال تعالى: ﴿ فَقُلْ هَلْ لَّكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى * وَأَهْدِيكَ
إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لِّعَلَّهُ
يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى ﴾^(٢).

الطبيب ، يحمل المشروط رحمة [القتال في الإسلام] واللص يحمل
المشروط نقمة وعذاب ، الصحابة ما كان لهم جيش رواتب ورتب ، إنما كانوا
يجاهدون بأنفسهم وأموالهم .

جهد وألم وضر مقابلها معية خاصة ، وهداية وإحسان ، ضر الرحمن [أثناء الشهادة] دخول الجنة ، فأعظم رحمة عند الشهادة فى سبيل الله مجاورة الرحمن فى مقعد صدق عند مليك مقتدر .

لولا سورة الفاتحة ما فهمنا القرآن الكريم ، لأن القرآن بحر العلوم ، وبحر الأسرار ، وبحر الأنوار ، وبحر الأوامر ومفتاح هذه البحور هى فاتحة الكتاب [أى فاتحة فهم القرآن] .

(١) سورة النازعات - الآيتان ١٨ ، ١٩ .

(٢) سورة طه - الآية ٤٤ .

الذى لا يفهم الفاتحة لا يفهم القرآن ، وحفظ الفاتحة فرض عين على كل مسلم حتى تصح صلاته ، ولكن حفظ وقراءة القرآن ليس فرض عين على كل مسلم .

فاتحة الكتاب مفتاح المعرفة والفهم والفقه ، وكذلك سيرة الأنبياء والرسل السابقين .

الذى يقرأ القرآن ولم يتخرج منه داعياً فإنه لم يفهم القرآن ولو ملئ علماً ، والذى يقرأه لا يتخرج منه مفتياً .

كلما قوى الجهد قويت العبادة قال تعالى: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ)** فتقوى

الاستقامة **(وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)**^(١) ، وتضعف الأسباب لأن العبودية أرقى

الأسباب وأفضلها وأدومها وثمارها مستمرة فى الدنيا والآخرة ، أسرى بعبده

أكرم عبده ونصره عبده - الطريق إلى الله تعالى: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ**

نَسْتَعِينُ)^(٢) وجميع أسماء الله الحسنى هى المركب الذى يوصلك إليه .

قوله تعالى: [اهدنا] دعاء الهداية ، وهو فرض عين : وجهد الهداية

كذلك ، وكل واحد قادر عليه حتى المريض ، والفقير ، والأم المريضة أشد

حنان وشفقة ورحمة على أولادها .

(١) سورة الفاتحة- الآية ٥ .

(٢) سورة الفاتحة- الآية ٥ .

وقال تعالى: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾^(١) هو الله ملك الظرف والمظروف .

وقال تعالى: ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾^(٢).

جهد مطابق وموافق مع الشعور والإحساس، المطابقة والموافقة قال تعالى: ﴿غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾^(٣). وكذلك المغايرة التطبيقية والشعورية ، ولهذا الله سبحانه وتعالى خلق الجنة ليرضى من أرضاه ، وخلق النار ليسخط من أسخطه .

ينتهى طلب الهداية عندما تقف ناظراً إلى مولاك، قال تعالى: (وَجُوهٌ

يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ)^(٤). وتعانق حوارياتك وتسكن قصورك .

نخرج حتى نتخلق بأخلاق النبي ﷺ وأخلاق الحق .

الذى يعينك على المنهاج قال تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾^(٥)

والمركب الذى يوصلك إلى حقيقة العبودية .

العابد يصنع نفسه ، والنبي يصنع العباد، وجهد الأنبياء يصنع المصانع

وهم الدعوة .

(١) سورة الفاتحة- الآية ٤ .

(٢) سورة الفاتحة- الآية ٧ .

(٣) سورة الفاتحة- الآية ٧ .

(٤) سورة الفاتحة- الآية ٧ .

(٥) سورة القيامة- الآيتان ٢٢ ، ٢٣ .



أهمية

الجهد على النساء

قال الله تعالى : ﴿وَاللَّيْلَ إِذَا يَغْشَىٰ * وَالنَّهَارَ إِذَا تَجَلَّىٰ * وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾^(١) .

وقال تعالى : ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٢) .

(١) سورة الليل - الآيات من ١ : ٤ .

(٢) سورة الذاريات - الآية ٥٦ .

وقال تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾^(١) الإنس : الرجل والمرأة ، وأتباع الرسول : الرجل والمرأة ، عن ابن عمر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته، والأمير راع ، والرجل راع على أهل بيته والمرأة راعية على بيت زوجها وولده ، فكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته " متفق عليه^(٢) .

مقصد خلق البشرية :

- العبودية: قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾^(٣) ولفظ الإنس أى الإنسان الذى يشمل الرجل والمرأة.
- وأسلوب دخول الدين فى حياة الرجل هو نفس أسلوب دخول الدين فى حياة المرأة .

(١) سورة يوسف _ الآية ١٠٨ .

(٢) رياض الصالحين - باب حق الزوج على المرأة.

(٣) سورة الذاريات - الآية ٥٦ .

- ولكن الاختلاف فقط أن لها دور في الحياة لا يستطيع الرجل أن يقوم به، وكذلك الرجل له دور لا تستطيع المرأة أن تقوم به .
- وكذلك أسباب سعادة الرجل والمرأة واحدة ، وكذلك أسباب شقاء الرجل والمرأة واحدة.
- وأيضاً نهاية الرجل والمرأة واحدة الجنة أو النار وهذا الدين تكريم للإنسان (الرجل والمرأة).
- ولا تداخل ولا هضم حقوق ولا تعالى نوع على نوع ، بل الاثنان في تعاون وتناسق وتكامل، مثل الليل والنهار، قال تعالى: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ﴾ ^(١) ولذا عندما تم التسوية بينهما في أمور معروفة انهارت أخلاق الرجل والمرأة وكان نتاج ذلك خروج أجيال من الطرفين في غاية الانحلال والانحطاط البشري، لأنه عندما تم التساوى في أمور التخصص ضاعت حقوق الأسرة أى الرجل والمرأة والأولاد .
- أول مراتب العلم المعرفة، وأوسطه العمل به، وأعلاه درجة تبليغه للناس.

(١) سورة الليل - الآيتان ١ ، ٢ .

- الله جلب الإنسان على أنه إذا اجتهد لشئ فهو يحبه ، وإذا أحبه تأتى فيه صفاته ، وبعد ذلك يكشف له سره (يعرف سر مهنته)
- من أخذ وأعطى من أجل دار الفناء صار فى الآخرة من الأشقياء .
- من أخذ وأعطى من أجل دار البقاء صار فى الآخرة من الأتقياء .
- الجهد المعروف إشارته معروفة والجهد الغير معروف كلامه ربما يؤول خطأ ولا يفهم وحق من قال سبحانه وتعالى قال تعالى: ﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا﴾^(١).

- الدين يسر فى بيئة الدين ، وعسر فى غير بيئة الدين ، ففي الحديث الذي رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ويل للعرب من شر قد اقترب، فتنا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنا ويمسي كافرا، يبيع قوم دينهم بعرض من الدنيا قليل، المتمسك يومئذ بدينه كالقابس على الجمـر، أو قال على الشوك صحـها الأرناؤوط، وفي رواية الترمذي : عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) سورة البقرة - الآية ٢٦.

: " يأتي على الناس زمان القابض على دينه كالقابض على

الجمر " وصححه الألباني. (١)

■ النور للداعي: قال تعالى: ﴿أَوْ مَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ زُينَ لِّلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢).

■ وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾ (٣).

■ بعد الموت يقسم الله البشرية إلى قسمين بشرية طيبة، وبشرية خبيثة، ولا يوجد ثالثة، فلا أحد يقول أنا مدرس، موظف، سائق، مزارع، رئيس، مرؤوس، غنى، فقير، صحيح، مريض، رجل، امرأة، أو أنا مصري، سوري، سوداني، هندي، عربي، عجمي، غربية للبشرية، قال تعالى: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ

(١) سورة البقرة - الآية ٢٦.

(٢) سورة الأنعام - الآية ١٢٢.

(٣) سورة الأحزاب - الآية ٣٩.

أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١﴾ . أى المزبلة البشرية مع بعض فى النار، ولا يسمح لأحد منهم بنقطة ماء ، ولا لقمة طعام ، ولا حبة فاكهة واحدة ، لأن حياتهم وكلامهم وفكرهم وأحوالهم خبيثة ، ولكن الطيبين والطيبات مع بعض فى مكان طيب قال تعالى: ﴿الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ﴿٢﴾ . أى بسبب فكركم الطيب، وكلامهم الطيب ، وأعمالكم الطيبة ، وأكلكم الطيب ولباسكم الطيب ، ومعاملتكم الطيبة قال تعالى: ﴿وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ﴾ ﴿٣﴾ وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ ﴿٤﴾ وقال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ

(١) سورة الأنفال - الآية ٣٧.

(٢) سورة النحل - الآية ٣٢.

(٣) سورة الحج - الآية ٢٤.

(٤) سورة فاطر - الآية ١٠.

لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١﴾ .

■ أهل الجنة استقبلهم بالكلام الطيب، قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طَبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (١). أما أهل النار لا أحد يتكلم كلمة طيبة ﴿قَالَ ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلِّ ضِعْفٌ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٢).

■ الكفار عندهم الحضارة ، السيارة الطيبة ، المسكن الطيب ، الطعام الطيب ، اللباس الطيب ، ولكن ما عنهم لا الكلام الطيب ولا الفكر الطيب ولا الأعمال الطيبة من جميع النواحي ، أما الحضارة فى الإسلام الحياة الطيبة من أعمال وأفكار وكلام ، حياة ترضى رب العزة

(١) سورة النور - الآية ٢٦ .

(٢) سورة الزمر - الآية ٧٣ .

(٣) سورة الأعراف - الآية ٣٨ .

سبحانه وتعالى فى جميع شئون حياتهم ، وننظر إلى حياة الصحابة رضى الله عنهم وكيف كانت الحاجات عندهم هزيلة جداً لا قصور ولا طعام فاخر ولا ملابس غالية ... ولكن أعلى رقى إنسانى عرفته البشرية كلها كان عندهم بسبب الأعمال والأقوال والأفكار الطيبة ، بيوتهم شبه مفرغة من الحاجات ولكن مليئة بالمقاصد ، نحن العكس ، البيوت والأفكار ، والأعمال والهموم مليئة بالحاجات ، ومفرغة من المقاصد ، أو الموجود منها هزيل جداً، مثال : رجل قال لابنه على الحاجات من الطعام والملبس والمصروفات والسكن وعليك الدراسة فقط وإذا نجحت لك منى سيارة هدية ، فهو قام على الدراسة ونجح وتحصل على الهدية، وآخر ظل يأكل فى المطعم الطيب ويركب أفضل المواصلات ويلبس أحسن الثياب، ولا يذاكر ولا يهتم بدراسته، ففى النهاية يرسب وتكون الملامة الشديدة والغضب والضرب وربما يصل للطرد كذلك الإنسان مقصود { **ليعبدون** } أى عبد فكرك وهمك

وحياتك لله تعالى وإن كانت حاجاته هزيلة فيوم القيامة يقول: ﴿ **هَآؤُمُ**

اَقْرَؤْا كِتَابِيَهٗ * اِنِّى ظَنَنْتُ اَنْى مَّلَاقٍ حِسَابِيَهٗ * فَهُوَ فِى عِيشَةٍ

رَاضِيَةٍ * فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ * قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ * كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا

أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿١﴾ فلا يأسف لأنه ما أكل طيب ، وما لبس طيب ، وما سكن طيب ، نسي حاجاته ولكن نجح في المقصد ، فيأتي العوض له { كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ } فهو في السعادة الأبدية ، والعكس إذا ما كانت حياته طيبة من جهة المأكل والمسكن والملبس ولكن ما عنده المقصد { ليعبدون } ولذا يقول في نهاية مشواره قال تعالى: ﴿يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَةَ * وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَةَ * يَلَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ * مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَةَ * هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَةَ * خُذُوهُ فَغُلُّوهُ * ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ * ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ ﴾ (٢) فهو في الشقاء الابدی لأنه نسي مقصوده ووجه كل مجهوداته المكسوبة والمأكولة والمشروبة والملبوسة والمسكونة هنا فقط .

■ المريض حاجاته تختلف عن الصحيح ، فالمريض يحتاج للدواء والصحيح لا يحتاج للدواء ولكن المقصود واحد فهو يعبد الله في حال

(١) سورة الحاقة - الآيات من ١٩ : ٢٤ .

(٢) سورة الحاقة - الآيات من ٢٥ : ٣٢ .

مرضه وصحته ، فى سفره ومقامه ، فى رخاءة وشدته ، فى شبابه
وهرمه ، فى فرحه وحزنه ، فالمقصد واحد.

■ بيوت النبى ﷺ وبيوت الصحابة هى أعظم بيوت على وجه الأرض
وحتى قيام الساعة وكانت الحاجات فيها ضعيفة وهزيلة جداً، تقول
عائشة كان طعامنا التمر والماء ، فعن عروة عن عائشة رَضِيَ اللّهُ
عَنهَا أنها كانت تقول: والله يا ابن أختي إن كنا لننظر إلى الهلال ثم
الهلال ثم الهلال: ثلاثة أهلة في شهرين وما أوقد في أبيات رَسُول
اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نار. قلت: يا خالة فما كان يعيشكم؟ قالت:
الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لِرَسُول اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ جيران من الأنصار وكانت لهم منائح وكانوا يرسلون إلى رَسُول
اللّهِ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من ألبانها فيسقيننا. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ^(١).

■ وكل أزواجه تقول : والذى بعثك بالحق ما عندنا إلا ماء ، فعن أبي
هريرة ؓ قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: إني مجهود، فأرسل إلى
بعض نسائه، فقالت: والذى بعثك بالحق ما عندي إلا ماء، ثم أرسل
إلى أخرى، فقالت مثل ذلك، حتى قلن كلهن مثل ذلك: لا والذى بعثك
بالحق ما عندي إلا ماء. فقال النبى ﷺ : " من يضيفه هذا الليلة؟

(١) رياض الصالحين - باب فضل الجوع وخشونة العيش والاقتصار على القليل من المأكول
والمشروب والملبوس وغيرها من حظوظ النفس وترك الشهوات.

فقال رجل من الأنصار: أنا يا رسول الله، فانطلق به إلى رحله ، فقال لامرأته: أكرمي ضيف رسول الله ﷺ .

وفى رواية قال لامرأته: هل عندك شئ؟ قالت: لا، إلا قوت صبياني. قال: فعليهن بشئ. وإذا أرادوا العشاء فنوميهن. وإذا دخل ضيفنا فأطفئ السراج وأريه أنا نأكل، فقعدوا وأكل الضيف وبات طاويين، فلما أصبح ، غدا على النبي ﷺ فقال: " لقد عجب الله من صنيكما بضيفكما الليلة " متفق عليه^(١) .

والرسول ﷺ يقول لأبو بكر وعمر: ما أخرجكما من بيوتكما هذه الساعة ؟ قالاً: الجوع يا رسول الله . فقال ﷺ وأنا ما أخرجني إلا ذلك، ولكن كم استفادت عائشة من كلام زوجها ﷺ لأنها كانت شبه مفرغة من الحاجات ولكن مليئة بالمقاصد ، فكانت مفرغة ذهنياً وجهداً لكل كلمة يقولها النبي ﷺ حتى تنقلها للبشرية جميعاً، فكم استفادت بيوت ونساء ورجال العالم من حجرة عائشة الصغيرة، حتى كان النبي ﷺ يطلب منها أثناء صلاته ليلاً أن تبعد رجلها قليلاً حتى يجد مكاناً للسجود في حجرتها، فليس فيها مطبخ ، ما فيها حجرة استقبال، ما فيها دولا

(١) رياض الصالحين - باب الإيثار والمواساة.

ملابس، ما فيها حمام لقضاء الحاجة، حتى كانت تخرج من الليل مع النساء لقضاء الحاجة مرة واحدة كل ٢٤ ساعة، والآن عندنا قصور وبيوت وحجرات، فبيوت الصحابة مليئة بالمقاصد ، وضعيفة من الحاجات، مثل الفصل للطلاب ما فيه سيارة ولا ثلاجة ولا مطبخ ولا سرير ولا مطعم ولكن فيه المقصد وهي تلقى العلم فقط ، فالمدرس قام عليه والطالب قام عليه، كذلك مقصود الحياة { **ليعبدون** } إذا قمنا على المقصد فموعونا الجنة عرضها السموات والأرض ولا يعلم طولها إلا الله وحده ومليئة بكل محبوباتنا وأفراحنا، وفيها كل الحاجات التي لا تخطر على قلب وفكر ونظر بشر، فالموعود ما نحب، فالأنهار من لبن، وأنهار من عسل ، وأنهار من خمر فهذا لنا، ولكن حلقة التعليم له سبحانه وتعالى ، الذكر له ، الصلاة له ، الدعوة له ، الصبر له ، العفو لمن أساء إلى الله ، قيام الليل له ، الخوف من الله له الخ.

يا مسلم أعطيني دنياك أعطيك الآخرة، املاً بيتك وحياتك بمحوباتي أملاً لك الجنة بمحوباتك، الموعود ما نحب والمقصد { **ليعبدون** } الله خلق الإنسان ويعرف ما يحبه وما سألته ، فيخلق له الجنة فيها القصور والبحور والحدود وكل ما تشتهي النفس وتلذ الأعين ، غرف من فوقها غرف تجري من تحتها الأنهار ، والناس يحبون الشباب فالله يجعل أهل

الجنة شباب ، ولا يحبون الموت ، كذلك ليس فيها موت ، هذا هو الموعود ولكن { ليعبدون } : ﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (١) وقال تعالى: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (٢).

■ كلمة (سبحان الله) مقصود ويحبه الله، والموعود غرس في الجنة ونحبه، وهكذا الحديث : وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: " ما منكم من أحد يتوضأ فيبلغ أو فيسبغ الوضوء ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء " رواه مسلم^(٣).

فيسبغ (مقصود ويحبه الله).

(١) سورة السجدة - الآية ١٦ .

(٢) سورة السجدة - الآية ١٧ .

(٣) رياض الصالحين - باب فضل الوضوء .

إلا فتحت لهم أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء (موعود ونحبه) .

■ قال تعالى: ﴿ وَيُؤْتِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾^(١) مقصود، والموعود قال تعالى: ﴿ وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِّنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرًا ﴾^(٢).

■ المقصود يخدم الناس ويتجول ويعلم الناس ويصبر على الناس ويسقى ويكرم الناس ، فالיום تسقى وغداً تسقى، قال تعالى ﴿ إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِنْ رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ ﴾^(٣).

■ يطعم هنا، ﴿ وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴾

(١) سورة الحشر - الآية ٩ .

(٢) سورة الإنسان - الآية ١٥ .

(٣) سورة المطففين - الآيات ٢٢ : ٢٨ .

(١) هذا مقصود وغدا ﴿وَفَاكِهَةً مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ * وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ﴾ (٢) موعود ، اليوم تخدم وغدا تخدم ، تطوف على الناس بالزيارة والجولة والتحريض على أعمال الدين وغدا ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ * بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ * لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزَفُونَ﴾ (٣) تطوف ساعة ، وغدا ملايين الساعات ، المقصود في الدنيا ترضى الله ، والموعود عند الله يرضى العبد (رضى الله عنهم ورضوا عنه) قدموا أوامر الله ، فالله يكافئهم بما يحبون.

■ ليس في نقص الحاجات شقاء ، وإذا اكتملت يكون الإنسان سعيد ، ولكن إذا قام على المقصود فهذه هي السعادة ، وليس في الدنيا شقاء ولا سعادة ولكن في الآخرة الجنة أو النار ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ

(١) سورة الإنسان - الآية ٨.

(٢) سورة الواقعة - الآيتان ٢٠ : ٢١.

(٣) سورة الواقعة - الآيات من ١٧ : ١٩.

رُبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُودٍ ﴿١﴾.

■ ليس في الدنيا سعادة ولكن توجد أسباب السعادة وهي الإيمان والأعمال الصالحة، وكذلك ليس في الدنيا شقاء ولكن توجد أسباب الشقاء ، المعصية والإعراض عن أوامر الله تعالى .

■ فالسعادة هي تنعم مستمر، لذة بعد لذة مثل النهر المتدفق بقوة قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَاكِهُونَ * هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِنُونَ * لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ﴾ (٢). والشقاء ألم مستمر مثل النهر المتدفق بقوة أيضاً .

■ لو أن إنسان قرأ القرآن مليون مرة في الجنة فهل يكسب حسنة واحدة ، ولكن لذة في قراءة القرآن والتسبيح والتحميد والتكبير وسعادة ، وكذلك أهل النار لا يستطيعون أن يعملوا عملاً واحداً صالحاً ، ولكن هم يتمنون العودة للدنيا لعمل الأعمال الصالحة ﴿لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ

(١) سورة هود - الآية ١٠٨ .

(٢) سورة يس - الآيات من ٥٥ : ٥٧ .

بَرْزَخٍ إِلَى يَوْمٍ يُبْعَثُونَ ﴿١﴾ . فالعاصي يتمنى العودة للحياة ، أى

حياة لم يطلب حياة معينة ولكن المقصود من العودة (لَعَلِّي أَعْمَلُ

صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ) فأهل الكهف ناموا على المقصد فى الكهف

وليس فى البيوت والقصور حيث المطابخ والملابس والملذات ولكن فى الكهف ، فالقرآن ذكر كرامتهم وسعادتهم .

■ فلو قمنا على المقصد ولو كنا نعيش فى كهف فنحن فى سعادة ،

والعكس لو سكنا فى قصور ولم نقوم على المقصد فهذا هو الشقاء ،

فالنار فيها كل العصاة من كل أصناف الإنسان الأعمى والمبصر،

السليم والمريض ، والغنى والفقير، والحاكم والمحكوم، والرجل

والمرأة، والشاب والكهل ، والأمى والمتعلم، والوزير والفقير ، وكذلك

فى الجنة كل أصناف البشر السابق ذكرهم، فسيدنا سليمان كان معه

أفضل ملك فى العالم ولكن من السعداء، وفرعون والنمرود معه ملك

صغير، ولكن من الأشقياء ، فيسعد الإنسان بالأعمال الصالحة ويشقى

بالأعمال السيئة ، فالإسلام حياة وليس كلام ، وليس تصور وليس

خيال، قال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ

الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْأَمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ
وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿وَالْقَانِتِينَ
وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ
وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ
وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ
اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ ﴿٢﴾

وهذه الآية الأخيرة تبين الصفات المطلوبة من النساء والرجال وليس
الرجل فقط ، ولذا تسمى آية الصفات الشاملة لكل الأمة وما صنفت
نوعيته، سواء من جهة الغنى أو الفقر، والصحة أو المرض ولا
حددت السن أو المستوى الاجتماعي ، أو درجة الجمال ، أو نسبة
وعدد ونوع الأولاد ، أو السكن ، يعنى المقصود طاعة مولاك بما معك
أو بما أعطاك.

■ فلو المطيع أو المطيعة استغفر أو استغفرت الله وكانا يأكلان الشعير

(١) سورة التوبة - الآية ١١٢.

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٣٥.

فهما من الفالحين ولكن لو كفر أو كفرت بالله وكانا يأكلان أطيب الطعام ويسكنان أفخم البيوت ويلبسان أفخر الثياب فهما من الخاسرين المعذبين قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ

خَاشِعُونَ﴾^(١) ما ذكر الله حال دنياهم ولا نوعهم ولا زمانهم ولا مكانهم ولا منصبهم فالمسلم له المسجد والبيت ، فالدنيا ليست لنا وحدنا ، ولكن يمر في الشارع الطيب والخبث ، المؤمن والكافر ، والعاصي، والحمار والكلب ، فشوارع المدينة كانت هكذا يمر فيها كل أصناف الخلق ، اليهودى والمنافق ، العاصى والمؤمن ، والكلب والحمار والجاموس والبقر ، والعاقل والمجنون ، ولم يستطيع الرسول ﷺ والصحابة من نظافتها من كل ذلك تماماً .

■ سيدنا لوط يعيش فى قرية تعمل الخبائث ولم يستطيع نظافة شوارعها ، فهو يتكلم معهم ولكن البيئة فى بيته ، كذلك الدنيا ليست لنا وحدنا ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٢).

■ هناك مكانان يعلمان الإسلام المسجد والبيت فقط ، يتعلم فيها الحياة الإسلامية الكاملة .. مسجد الرسول ﷺ فيه الإسلام ولم يعص الله فيه

(١) سورة المؤمنون - الآية ١ ، ٢ .

(٢) سورة الذاريات - الآية ٣٦ .

... وكذلك بيوت النبي ﷺ لا يعصى الله فيها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مَبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ*﴾ فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ﴿١﴾

وما قال في المساجد ، ولكن في بيوت .

وقال ابن عباس في معنى بيوت: المساجد وبيوت المسلمين ، فالبيت الذي فيه الأعمال الإيمانية ، فهو مثل النجوم في السماء .

■ أول ما بدأ الإسلام في مكة بدأ في البيوت ١٣ سنة ما يسمح الكفار ببناء مسجد واحد ، وحتى المسجد الحرام فيه الأصنام والكفار، والوحي ينزل على الرسول ﷺ في بيته ثم في المدينة كانت المساجد ، ولذا قال الرسول ﷺ من بداية دعوته في مكة كما أخرج الطبراني وأبو نعيم في الحلية والحاكم عن أبي ثعلبة الخشني قل: قدم رسول

(١) سورة النور - الآيات من ٣٥ : ٣٦ .

الله صلى الله عليه وسلم من غزاة له، فدخل المسجد فصلى فيه ركعتين وكان يعجبه إذا قدم من سفر أن يدخل المسجد فيصلّي فيه ركعتين يُثْنِي بِفَاطِمَةَ ثُمَّ أَزْوَاجِهِ، فَقَدِمَ مِنْ سَفَرِهِ مَرَّةً فَأَتَى فَاطِمَةَ فَبَدَأَ بِهَا قَبْلَ بَيْوتِ أَزْوَاجِهِ، فَاسْتَقْبَلَتْهُ عَلَى بَابِ الْبَيْتِ فَاطِمَةُ فَجَعَلَتْ تَقْبِلُ وَجْهَهُ، وَفِي لَفْظٍ: فَاهُ وَعَيْنِيهِ وَتَبْكِي، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا يَبْكِيكِ؟» قَالَتْ: أَرَأَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ شَحِبَ لَوْنُكَ، وَاخْلَوْلَقْتَ ثِيَابَكَ، فَقَالَ لَهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «يَا فَاطِمَةُ لَا تَبْكِي فَإِنَّ اللَّهَ بَعَثَ أَبَاكَ بِأَمْرٍ لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدَرٌ وَلَا وَبَرٌ وَلَا شَعَرٌ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ بِهِ عِزًّا أَوْ ذَلًّا حَتَّى يَبْلُغَ حَيْثُ يَبْلُغُ اللَّيْلُ» كَذَا فِي كَنْزِ الْعَمَالِ^(١) وَلَمْ يَقُلْ مَسْجِدٌ أَوْ شَارِعٌ أَوْ حَقْلٌ أَوْ مَصْنَعٌ أَوْ دُكَّانٌ أَوْ سُوقٌ ... وَلَكِنْ بَيْتٌ ، وَكُلُّ بَيْتٍ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ وَلَوْ كَانَ مِنَ الْخِيَامِ شَعْرًا أَوْ وَبَرًا .

■ فالشوارع ليست ملكا لنا ، ولكن مساجدنا وبيوتنا ملكا لنا ، سيدنا

نوح عليه السلام ٩٥٠ سنة ما بنى مسجداً ولذا قال عليه السلام : ﴿ رَبِّ اغْفِرْ لِي

وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ

(١) حياة الصحابة _ باب حب الدعوة والشغف بها ٣٤/١ .

الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿١﴾ ما قال مسجدي، فكل إنسان دخل بيته يفهم الدين ، ويفهم الحياة الصحيحة .

فأول مراكز دعوية هي بيوت المسلمين ، يقول الله ﷻ على لسان أهل الجنة : ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (٢) ليس في مساجدنا مشفقين ، بل في أهلنا.

فقد يكون الصحابي بيئة في أهله يذكر أهله، وأهله يذكرونه، ليس يغفل أهله، وأهله يغفلونه.

هم كانوا { فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ } ونحن في أهلنا ضاحكين، في أهلنا مزاحين ، تريد الصلاة اذهب للمسجد ، تريد تتعلم اذهب للمدرسة ، وبذلك فقدنا البيئات في البيوت ، فلو وضعت جهازا مسجلا جاسوسا في بيت من بيوت الصحابة ﷺ، فإن كل ما يقال في بيت الصحابي ، يصلح للنشر.

وهكذا الصحابة عاشوا في بيئة الدين ، وكذلك عندما نخرج نعيش أربع وعشرون ساعة ، لمدة أربعين يوما في بيئة الدين.

(١) سورة نوح - الآية ٢٦ .

(٢) سورة الطور - الآية ٢٦ .

الصحابه ﷺ تعلموا أول ما تعلموا من رسول الله ﷺ يوما كيومه ، فكر كفره ، وهم كهمه . . ونحن تعلمنا وضوءاً كوضوءه ، وهو لا يستغرق دقيقتان ، لكننا لم نتعلم يوم كيومه.

في بيوت الصحابة ﷺ ، ثلاثة عشرة سنة ، وبيئة الإيمان في بيوت المسلمين ، سيدنا عمر ﷺ عندما سمع أن أخته أسلمت أتى لبيتها لقتل زوجها ، فلو وجد غناءً لغنى معهم ، ولكن حال دخوله البيت تأثر بالبيئة ، فأخته تقرأ القرآن ، فقد كانت أعمال الدين في البيت .

عندما نزلت { **وَاذْكُرْ رَبَّكَ** } ليس معناها: أنهم كانوا في غفلة ، بل كانوا في ذكر ، ولكن تحثهم الآية على زيادة الذكر.

في كل بيت فيه حلقة التعليم ، وهكذا البيت يعطي للأمة ، فأحاديث كثيرة عن عائشة رضي الله عنها عن رسول الله ، فعتاء البيت مثل عطاء المسجد ، وأعمال البيت مثل أعمال المسجد ، فالبيت فيه الأعمال الكاملة كما في المسجد . . أما بيوتنا فلا تستطيع أن تقوم بأعمال الدين خمسة دقائق ، فصار البيت خنجر في ظهر المسجد.

فعلينا أن نخرج لنصلح بيوتنا، ولو بالتدريج . . وهكذا أول بيئة كانت بيوت المسلمين ، نزل جبريل والرسول في بيت خديج ، فالرسول يُذاكر مع خديجة ، وبعد ذلك تنتقل المذاكرة إلى بيوت المسلمين ، وبعد

أربعة عشرة سنة انتقلت نسخة من الأعمال إلى المسجد ، فأصبحت أعمال المسجد، ونفس هذه الاعمال في البيت ، فعندما يسمع الصحابي أعمال المسجد ينقلها إلى أهله في البيت.

في المسجد ذكر، وفي البيت ذكر، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ ^(١) وهكذا ١٢٤ ألف مدرسة ، في ١٢٤ ألف بيت .

وهكذا بيئة البيت ، وبيئة المسجد، تجعل المسلم يمشي في المجتمع ولا يتأثر، فصنع المسلم في مساجد المسلمين وبيوت المسلمين.

■ لما دخل الناس في دين الله أفواجا سمي (عام الوفود)، وجاءوا إلى المدينة ، ولا يوجد في المدينة مدرسة واحدة، ولا فندق ولا مطعم واحد ، فالرسول ﷺ كان يوزع كل عشرة أفراد على كل بيت من بيوت الصحابة ، فإذا دخلوا بيت أى صحابي يتعلمون الدين بكل سهولة ويسر عمليا.

■ ماذا في بيوتنا الآن:

(١) سورة الأحزاب - الآية ٣٤.

الآن الذى يريد أن يتعلم الصلاة يذهب إلى المسجد يذهب للجامعة، ومن يريد أن يتضحوك يذهب للبيت ، المكان الذى أخذ فيه راحتى بيتى ، فأنا عبد فى المسجد ، حر فى بيتى ، وهذه مصيبة كبرى ، الحياة الإسلامية لا تؤخذ من الكتب لأن فيها صورة الإسلام ، فصورة الأسد فى الكتب ولكن حقيقة الأسد فى الغابة، الحياة فى حياة أصحابها، وأصحابها لا يملكون إلا البيت والمسجد، فالشوارع ليست لنا، والأشغال ليست ملكنا، كذلك الحدائق، الأسواق، المواصلات، المدارس، الدكاكين، المزارع، المصانع، الورش، المطاعم، ليست ملكنا، فكيف نجعل بيوتنا طبق الأصل مثل مساجدنا .

- لوط عليه السلام عاش ٤٠ سنة دعوة فى قومه ما استطاع بناء مسجد، ما استطاع أن ينظف شوارع مدينته، قام الدين الحق فى بيت واحد فى القرية ﴿فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(١).
- فالله دمر القرية بسبب إقامة الحق فى بيت واحد.

- قال الله لموسى عليه السلام وقومه: قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً

(١) سورة الذاريات - الآية ٣٦ .

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ فالله قال بنى إسرائيل لن تغلبوا وتهزموا عدوكم حتى تقيموا الدين في بيوتكم، فلما أخرجوا المعاصي من بيوتهم دمر الله فرعون وقومه .

■ بيت المسلم مرآة تعكس حياة الدين، فلا تجعل هذه المرآة تعكس عكساً معاكساً لبيوتنا وفيها المعاصي والمفاسد، والكافر يقول هكذا الإسلام .

■ فإذا لم نقيم الدين في بيوتنا نقطع على الناس معرفة الدين، ومعرفة ربهم لأن بيتي أملكه أكثر من مسجدي، ولا دخل لأحد فيه غيري .

■ فالرجال يخرجون من مسجد لمسجد، يتعلمون ويعلمون أعمال النبوة والنساء يخرجن من بيت إلى بيت حتى يتعلمن كيف يقمن أعمال النبوة في بيوت المسلمين ، فإذا انشغلت بيوت ومساجد المسلمين بأعمال النبوة هزم الله الباطل ودمره .

■ فالله لا يسألنا عن بيوت النصارى والكفار ، ولكن مسجدي وبيتي قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا﴾ (٢) .

■ مسئولية البيت مسئولية المرأة ، ولا يستطيع أعظم رجل أن يقيم

(١) سورة يونس - الآية ٨٧ .

(٢) سورة التحريم - الآية ٦ .

الدين في البيت ، ولماذا قال الرسول ﷺ : سيدة نساء الجنة فاطمة ولم يقل زينب ولا رقية ولا أم كلثوم رغم تضحياتهن، لأن فاطمة ضحت من البداية حتى النهاية مع قلة الأشياء ولم تشتكى، وفي الحديث: عن علي رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " خير نسائها مريم بنت عمران وخير نسائها خديجة بنت خويلد " متفق عليه^(١).

وعن أبي هريرة قال : أتى جبريل النبي صلى الله عليه وسلم فقال : " يا رسول الله هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام وطعام فإذا أتتك فأقرأ عليها السلام من ربها ومني وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب " . متفق عليه^(٢).

وعن عائشة قالت : ما غرت على أحد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم ما غرت على خديجة وما رأيتها ولكن كان يكثر ذكرها وربما ذبح الشاة ثم يقطعها أعضاء ثم يبيعها في صدائق خديجة فيقول : " إنها كانت وكانت وكانت وكان لي منها ولد " . متفق عليه^(٣).

(١) مشكاة المصابيح _ باب مناقب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ١٧٤٣/٣ .

(٢) المرجع السابق ١٧٤٣/٣ .

(٣) المرجع السابق ١٧٤٣/٣ .

وعن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد وآسية امرأة فرعون " . رواه الترمذي^(١).

وعن أم سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا فاطمة عام الفتح فناجاها فبكت ثم حدثها فضحكت فلما توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم سألتها عن بكائها وضحكها . قالت : أخبرني رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه يموت فبكيته ثم أخبرني أنني سيدة نساء أهل الجنة إلا مريم بنت عمران فضحكت . رواه الترمذي.

وعن أبي موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : " كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام " ^(٢). متفق عليه ^(٣).

(١) المرجع السابق ١٧٤٥/٣ .

(٢) مشكاة المصابيح _ باب مناقب أزواج النبي صلى الله عليه وسلم ١٧٤٣/٣ .

(٣) المرجع السابق _ باب بدء الخلق وذكر الأنبياء ١٥٩٥/٣ .

وأيضاً بسبب التضحية قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَاناً شَرْقِيّاً﴾^(١). أى لما أقامت الدين والعبودية فى حجرة صغيرة ، فأهل القرية تعرف أن مريم لها بيت صغير أقامت الدين فيه ، ما سارت فى الشارع تتبرج ، ولكن فى هذا البيت الصغير أقامت الدين فأصبحت صديقة وتهيات لأن تكون أم لرسول من أولى العزم، قال تعالى: ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾^(٢) ولا يحق للرجل أن ينتبذ ، فلم يرد واذكر فى الكتاب إبراهيم إذا انتبذ ، لأن رسالة الرجل المجتمع ، يا أبتى، يا بنى، يا قوم، وعندما يقوم بالدعوة ربما يضرب ويهان ويشتم ويطرد ويحارب ويقتل، ولذا ما أرسل الله رسولا امرأة فيضربونها ويشتمونها ويتهمونها ويحاربونها.

■ كل نبي وراءه امرأة ، وراء سيدنا إبراهيم السيدة هاجر رضى الله عنها ، والرسول ﷺ وراؤه ١٠ نساء ، يعلمن نساء المدينة، وخلف أبو بكر زوجته ومعروف أم حكيم وإسلام عكرمة ابن أبى جهل ، وهكذا كل الصحابة .

(١) سورة مريم - الآية ١٦ .

(٢) سورة المائدة- الآية ٧٥ .

■ فلما قام الرجال بالجهد والنساء بالجهد خلفهم في البيوت قام الدين بكل سهولة ، فهي تخلفه في أعمال النبوة ، وهو يجتهد خارج البيت بأعمال النبوة ، فانتشرت الرحمة .

■ لما خرج الرسول ﷺ للمدينة ندب الرسول ﷺ الرجال للخروج ولم يندب النساء، قال الله تعالى : ﴿لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾^(١) لأن النساء خلف الرجال، وعندما لم يخرج المنافق ، قال الله تعالى: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ﴾^(٢) والعلماء قالوا لماذا تعذب المرأة ، لأنها تعطرت وتزينت له وفرحت بجلوسه معها ، وكأنها تقول أرضيني ولا ترضى ربك فنزلت اللعنة عليهما معاً .

■ وكذلك إذا دخل أهل الجهد الجنة يقال لهم قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ﴾^(٣) وقال تعالى: ﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكِئُونَ﴾^(٤) وباقي الآيات التي ذكرت فيها

(١) سورة الفتح - الآية ٥ .

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٧٣ .

(٣) سورة الزخرف - الآية ٧٠ .

(٤) سورة يس - الآية ٥٦ .

الزوجة كانت بعد والآباء وكذلك آيتين ذكرت الزوجة قبل الأولاد في المعصية قال تعالى: ﴿إِنَّ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ﴾^(١) قال تعالى: ﴿احْشَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ﴾^(٢).

■ فعندما يقوم الرجل بالجهد وامراته تخلفه بالجهد في البيت فالملائكة وحتى حملة العرش يؤيدونهما ويدعون لهما، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ * رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ

(١) سورة التغابن - الآية ١٤ .

(٢) سورة الصافات - الآية ٢٢ .

الْعَظِيمُ ﴿١﴾ هذه الآية مكية نزلت أثناء الجهد للدين وقبل اكتمال الشريعة .

■ فالمرأة إذا تحملت نقص الحاجات وتحملت فراق زوجها وأنسها به .
وتقيم أعمال النبوة في حياتها وحياة أولادها فعند ذلك تجد الرجل والمرأة يدعوان الله، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ (٢) .

■ ثلاث طبقات يتأثرن بتضحية صاحب البيت (الزوجة والذرية والآباء)
ما قال ومن صلح من أخوالهم وأعمامهم وجيرانهم؟ . إذا ذهب الرجل للعمل خارج دولته تنعكس الأموال على زوجته والأولاد، وإذا خرج في سبيل الله . فالله يرضي عنه ويرضي عن زوجته وأولاده إذا وقفوا خلفه بالتأييد والنصرة والرضى .

■ النساء يشتغلن بالدعوة الله قال تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ (٣) ولكن التضحيات هي تضحيات الرجال، فالنساء لا يتحملن

(١) سورة غافر - الآية ٧ .

(٢) سورة الفرقان - الآية ٧٤ .

(٣) سورة التوبة - الآية ٧١ .

المشاكل في المساجد، ومع الناس لا يتحملن الشدة والحر الشديد والسفر الطويل والإهانة والطرْد ولكن المرأة تخرج في مكان آمن من بيت آمن إلى بيت آمن ، والرجال يخرجون من مسجد لمسجد .

■ في زمن الرسول ﷺ اجتمعت النساء واتفقن على أن يطالبن بما نسميه اليوم حقوق المرأة وما أعظمها ، فأرسلوا امرأة للرسول ﷺ وكانت تسمى خطيبة النساء بسبب فصاحتها وبلاغتها وهي السيدة أسماء بنت أبي يزيد السكني ونص الحديث : عن أسماء بنت يزيد الأنصارية (رضي الله عنها) ، أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه فقالت : بأبي أنت وأمي إني وافدة النساء إليك - واعلم نفس لك الفداء - أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سمعت بمخرجي هذا إلا وهي على مثل رأيي ، إن الله بعثك بالحق إلى الرجال والنساء ، فأما بك وبإلهك الذي أرسلك ، وأنا معشر النساء محصورات ومقصورات، قواعد بيوتكم، ومقضي شهواتكم، وحاملات أولادكم، وإنيكم معاشر الرجال فضلتكم علينا بالجمعة والجماعات ، وعبادة المرض، وشهود الجنائز، والحج بعد الحج، وأفضل من ذلك الجهاد في سبيل الله ، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجاً أو معتمراً أو مرابطاً حفظنا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربينا لكم أولادكم، فما

نشارككم في الأجر يا رسول الله ؟ فالتفت النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كله ثم قال : " هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسن من مساءلتها في أمر دينها من هذه " ؟ فالتفت النبي ﷺ إليها ثم قال : " انصري أيتها المرأة ، واعلمي من خلفك من النساء أن حسن تبعل إحداكن لزوجها ، وطلبها لمرضاته واتباعها موافقته ، يعدل ذلك كله " ، فأدبرت المرأة وهى تهزل وتكبر استبشاراً . رواه البيهقي (١).

وعن ابن عباس (رضى الله عنهما) قال : جاءت المرأة إلى النبي ﷺ فقالت : يا رسول الله ! أنا وافدة النساء إليك ، هذا الجهاد كتبته الله على الرجال ، فإن يُصيبوا أُجروا ، وإن قُتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون ، ونحن معاشر النساء نقوم عليهم ، فما لنا من ذلك ؟ قال : فقال رسول الله ﷺ : " أبلي من لقيت من النساء ، إن طاعة الزوج واعترافاً بحقه يعدل ذلك ، وقليل منكن من يفعله " رواه البزار واللفظ له والطبراني (٢).

(١) الدر المنثور في التفسير بالمأثور - للسيوطي ٥٣٢/٢ .

(٢) حياة الصحابة ٣٢٣/١ .

فهي تخلفه في بيتها بالقيام على أعمال النبوة والحديث فعن زيد بن خالد الجهني عن رسول الله ﷺ أنه قال : " من جهز غازياً في سبيل الله فقد غزاً ، ومن خلفه في أهله بخير فقد غزا " رواه مسلم (١)

وأول ما خلف الغازي وتحمل فراق وأنس وحنان ورعاية الرجل هي زوجته، علاوة على نقص بعض الحاجات، وتحملها مسئولية البيت سواء هذه المرأة زوجة أو أم، فالنساء يريدون التضحية للدين مثل الرجال فما أعظمها وأشرفها وأجملها من حقوق.

■ فصلاة المرأة في بيتها أفضل من صلاتها في المسجد الحرام، ولو صلت في المسجد الحرام بـ (١٠٠) ألف صلاة ، فإذا قامت بالجهد في بيتها كأنها تقوم بالجهد في المسجد الحرام، وإذا تجولت في البيت من أجل تربية أولادها على الإيمان كأنها تطوف حول الكعبة، فتصبح المرأة صديقة مثل أبي بكر الصديق، فإذا خرجت لتتعلم جهد النبوة من صلاة وأذكار وتعليم ودعوة وتلاوة وقيام الليل والمشورة والصبر والتحمل ، وأيضا تحريض الأولاد على تحمل مسئولية هذا الدين مع الوالد، فتصبح صديقه مثل مريم رضي الله عنها .

■ قال الله تعالى قال تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ

(١) صحيح مسلم شرح النووي ٤٠/١٣ .

الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ
وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ
وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا * وَاذْكُرْنَ مَا يُتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ
آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ ﴿١﴾ . نتعلم معني (وقرن) من نساء

الرسول ﷺ والصحابة . فهي ليست للحمل والإنجاب وإعداد الطعام
والملابس والبيت فقط .

ولكن الآيات توضح (وقرن) لإقامة أعمال النبوة ، مثل الصلاة ،
التعليم ، الذكر ، الدعوة .

فالقرار في البيت ليس مقصودا، مثل الطالب نقول له دوام على
المدرسة ولكن ليست المداومة مقصودة ، ولكن المداومة على تحصيل
العلم ، كذلك مقصود القرار في البيت للمرأة للإعمال الصالحة من
كلام الإيمان حتى الدعوة إلي الله تعالى ولكن وقرن بدون أعمال
صالحة فهن يغنين ويسمعن الأغاني وغيره مما يغضب الله فنكون
بيئة فاسدة يخرج منها جيل فاسد أفسد من أمه، فبدلا من أن يكون
البيت مثل المسجد يكون مثل المطعم والفندق وبعبارة أخرى جزء من

(١) سورة الأحزاب - الآيتان ٣٣ ، ٣٤ .

الشارع، بل ربما يكون فيه أشياء أقبح وأسوأ من الشارع، ولذا (وقرن) بعدها أعمال قال تعالى: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يُثْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ﴾^(١).

■ والعجب بعد هذه الآيات تأتي أية الصفات مباشرة للرجال والنساء قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾^(٢) أي بسبب جهد الرجال في المساجد والنساء في بيوت تظهر هذه الصفات كم سبق في الآية .

■ وأيضا هذه الآيات في سورة الأحزاب ، ومعروف قصة الكفار عندما تحزبوا على النبي ﷺ وصحابته للقضاء عليهم ، ولكن الله نصر نبيه ﷺ وصحابته بالريح والرعب وكفى الله المؤمنين شر القتال ، فإذا

(١) سورة الأحزاب - الآية ٣٤ .

(٢) سورة الأحزاب - الآية ٣٥ .

فسدت البيئة وتحزب الباطل علينا كما فعل في زمن الرسول ﷺ وكانت
فيها هذه الصفات، فالله ينصرنا ويحفظنا ويكفينا شر الفتن والمعاصي
والانحلال والضعف كما فعل معهم، فالبيت حجاب البيئة .

■ فرسالة البيت خطيرة وعظيمة مثل رسالة المسجد بالضبط ولا نملك
غيرهما لإقامة الإسلام فيهما ، فلنا بيوتنا ومساجدنا .

■ فنخرج حتى تقيم الأعمال الصالحة في بيوتنا ولا نسمح بدخول ما
يغضب الله في بيوتنا ، مثل ما نسمح بدخول عقرب صغير في بيوتنا
ليؤذي أهل البيت ، فكيف نسمح بدخول كلام وأفعال تغضب الله عز
وجل، فكيف إذا دخلت حية كبيرة ، فأكبر مصيبة دخول الغيبة
والنميمة والغفلة وكلام الباطل ومناظر وكلام الفسق والانحلال،
ونضيع أعمارنا وفكرنا وجهدنا وفي الحديث **قال النبي ﷺ** : " لا

تزولُ قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يسأل عن خمس : عن
عمره فيما أفناه ، وعن شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين

اكتسبه وفيما أنفقه، وماذا عمل فيما علم " **رواه الترمذي** ^(١)

■ فلا نسمح بدخول كلمة أو فعل أو فكر أو نية تجلب سخط الله وغضبه

(١) مشكاة المصابيح _ كتاب الرقاق ٣/١٤٣٥ .

- علينا ، فيبوتنا أمانة في أعناقنا ومساجدنا أمانة في أعناقنا .
- إذا قام الدين في المساجد والبيوت غلب المسلمون عدوهم .
 - بيوت الصحابة صغيرة مبنية بالطين، ليس لها أبواب حديد أو خشب ولا مطابخ وغيره، ومساجدهم بسيطة مبنية بالجريد وبدون الفرش والكهرباء ، وقام الدين فيهما، فما هتك بيت في المدينة مع وجود أعداء الله حول وداخل المدينة ولكن عندما خربت البيوت والمساجد من أعمال النبوة هدمت قصور ودول على أصحابها وأخذت منهم، فالبيت الذي يقام فيه الدين مثل المسجد، فحرمة مثل حرمة الكعبة، فالكعبة منسوبة لله، فالجيش الذي أراد هدم الكعبة فالله دمره . فنسب بيبوتنا لله بأعمال النبوة فتأخذ نفس الحرمة من الله تعالى فالطعام الطيب لي، والكلمة الطيبة لله ، فالطعام يفيدني ساعة . ولكن الكلمة الطيبة تفيدني مليون ساعة فالطعام الطيب حاجة وهو من الفم إلي البطن إلي الحمام . والمقاصد من السماء الأولى للثانية إلي الله تعالى ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾^(١).
 - فنقيم الأعمال الصالحة في البيت فيكون مثل نجوم السماء في الأرض، والله يذكره من فوق عرشه، فسيدنا إبراهيم يقول للملائكة

(١) سورة فاطر - الآية ١٠.

الذين جاؤا لهلاك قوم لوط قال تعالى: ﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا﴾^(١) فأهل السماء تعرف بيتك بالأعمال الصالحة ، فالله يحفظه وينصره ويؤيده .

■ الرجل يريد الإصلاح والزوجة لا تريد، والأولاد منقسمين ، فأصبح البيت منقسم على أهله ، فكيف تجتمع الأمة وتكون أمة إسلامية واحدة، وحتى الآن لم نستطع توحيد الأسرة، فإذا توحدت الأسرة توحدت الأمة كلها، فאלهم وحد صفوفنا ووحيد مقصدنا وجهدنا، فالأسرة خمسة أولاد والوالدين ما توحدت كلهم على لا إله إلا الله .

■ نحرض الزوجة على الخروج، ونحرض الأولاد على الخروج حتى الكل يتعاون على إحياء أعمال النبوة، وليس أعمال العبادة ففكر الدعوة يوحد الأمة، وليس فكر العبادة، والبداية حلقة تعليم البيت نجمع الأسرة عند ذلك ، وفي الجنة يقول أهل الإيمان : ﴿قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾^(٢). ما قالوا إنا كنا في خروجنا، في مساجدنا، في مصانعنا ، في مدارسنا ، في شوارعنا ولكن في أهلنا ، هكذا يتفاخر أهل الجهد في الجنة .

(١) سورة العنكبوت - الآية ٣٢ .

(٢) سورة الطور - الآية ٢٦ .

■ الحاجات كثيرة ، والمقصد واحد فالصحابة تقطعت نعالهم وهم يمشون وراء المقصد، ونحن تقطعت نعالنا ونحن نسير وراء الحاجات، الدين لنا ، نقول البيت لنا، الأولاد لنا، ولكن بعد الموت يقول الله تعالى قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾^(١). ما يجد معه ابنه ولا بنته ولا دنياه ، فلم يقل من عمل بيتا فلنفسه، من عمل مصنعا فلنفسه، من ربى ولدا فلنفسه، من جمع أموالا كثيرة فلنفسه من أكل فلنفسه، من شرب فلنفسه، ولكن قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ﴾^(٢).

■ المساجد أمانة في أعناقنا، وبيوتنا أمانة في أعناقنا قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٣) ، ولا نستطيع إقامة الدين إلا في هذين المكانين ، وعندما يكون الدين غالباً في حياتنا يستحي المنافق والكافر ، وهذا كان موجود في زمن الرسول ﷺ والصحابة رضی الله عنهم ، ولا نستطيع ضبط المجتمع مائة في المائة ، ولكن بيوت الصحابة كان الدين فيها مائة في المائة أما خارج البيت والمسجد كان المنافق واليهودي والكلب والحمار

(١) سورة فصلت - الآية ٤٦ .

(٢) سورة فصلت - الآية ٤٦ .

(٣) سورة الأنفال - الآية ٢٧ .

والكذاب يعيش ويمشى فى الشوارع ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾^(١) فى مسجدى وبيتى ، ولكن الشوارع فيه كل أصناف الخلق ، والله سهل لمن يريد الإيمان ولمن يريد المعصية قال تعالى: ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾^(٢). فالدنيا فيها المخالطة والممازجة ، ولكن فى الجنة الطيبين فقط وفى النار العصاة فقط ، فلا نسمح بدخول كلمة غير طيبة فى بيتى ، الإعدام فوراً ، مثل ما نسمح بدخول ثعبان بيتى الإعدام فوراً ، كذلك أى باطل يدخل بيتى فوراً الإعدام حتى لا يؤذى أحداً فى بيتى ، كذلك المسجد قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَداً﴾^(٣) . حتى كلام الدنيا أو الجلوس بالغفلة أو الفكر لنفسى فقط ممنوع ، والحديث : كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته والأمير راع والرجل راع على أهل بيته ، والمرأة راعية فى بيت زوجها وولده . فالولد فى الصف السادس الابتدائى و الثالث إعدادى والثالث ثانوى والرابع جامعة حتى يحصل على الشهادة لو اشتغل بها يأكل ويلبس ويسكن ويتزوج بها فكيف نخرج ثلاث أيام نتمرن ونحى أعمال النبوة حتى نأكل

(١) سورة الزمر - الآية ٣ .

(٢) سورة الكهف - الآية ٢٩ .

(٣) سورة الجن - الآية ١٨ .

ونشرب ونسكن ونلبس فى الجنة أبد الأبدىن ، فنخرج ونحرض غيرنا والله
الموفق .



الدعوة إلى الله جلاله

ميدان الرجال والنساء

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾^(١)

وقال تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾^(٢)

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾^(٣).

يصبر على مشاق الدعوة ومتطلبات الدعوة ، ويشكر الله على أنه اجتباؤه وشرفه وأكرمه بمعرفته والسير في هذا الجهد، ولذا كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فقالت له عائشة لم تصنع هذا يا رسول

(١) سورة آل عمران - الآية ٢٠٠.

(٢) سورة البقرة - الآية ٤٥.

(٣) سورة إبراهيم - الآية ٥.

الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال : أفلا أكون عبداً شكوراً ، متفق عليه.

الصبر على مشاق الجهد وليس مشقة جهد العبادة ، فمريم تفوقت في العبادة - ورابعة العدوية تفوقت في العبادة فالمرأة ممكن تتفوق في العبادة، ولكن الجهد والخروج والحركة على الرجال لأن المرأة إذا عرفت الحق، قال تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾^(١) ولكن [وقرن] في العبودية.

أما عند الرجولة:

قال تعالى: ﴿وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ

(١) سورة الأحزاب - الآية ٣٣.

(٢) سورة يسن - الآية ٢٠.

(٣) سورة القصص - الآية ٢٠.

يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبُكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي
خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا * لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي
وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴾ (٢).

وقال تعالى: ﴿ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ
فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴾ (٣).

ولذا قال تعالى: ﴿ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا
جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ
الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا
شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ

(١) سورة القصص - الآية ٢٠

(٢) سورة الكهف - الآيتان ٣٧ ، ٣٨ .

(٣) سورة الأحزاب - الآية ٢٣ .

مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿١﴾.

جاهدوا مثل بلغوا : أمر - هو اجتباكم . مثل فى الحديث : على :
تشريف - وما جعل عليكم فى الدين من حرج - مثل فى الحديث ولو آية :
هذا تخفيف.

ولكن [حق جهاده] يعنى أعلى تضحية فالعزائم فى الجهد، أما الرخص
فى العبادات: رجل لا يستطيع دفع زكاة لا شئ عليه ولا يبكى على ذلك،
ولكن فى الجهد لا يجد شئ، قال تعالى: ﴿ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ
الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ (٢).

فى العبادات الرجال والنساء متساوون ، أما الجهد فالرجال يتقدمون
ويتسابقون [من يأخذ سيفي هذا بحقه؟ - من يأتيني بخبر القوم....؟ من
لكعب بن الأشرف اليهودى...؟] .

واليك القصص الثلاث:

(١) قصة أبو دجاجة:

عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخَذَ سِيفًا
يَوْمَ أُحُدٍ فَقَالَ: " مَنْ يَأْخُذْ مِنِّي هَذَا ؟ فَبَسَطُوا أَيْدِيَهُمْ كُلُّ إِنْسَانٍ

(١) سورة الحج - الآية ٧٨.

(٢) سورة التوبة - الآية ٩٢.

منهم يقول: أنا أنا. فقال: فمن يأخذه بحقه؟ فأحجم القوم.
فقال أبو دجانة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أنا آخذه بحقه. فأخذه ففلق به
هام المشركين ". رَوَاهُ مُسْلِمٌ^(١).

٢) من يأتيني خبِر القوم:

أخرج الحاكم، والبيهقي عن عبد العزيز ابن أخي حذيفة رضي الله عنه
قال: ذكر حذيفة رضي الله عنه مشاهدتهم مع رسول الله فقال جلساؤه: أما
والله! لو كنا شهدنا ذلك لكنا فعلنا وفعلنا. فقال حذيفة: لا تمنّوا ذلك، لقد
رأيتنا ليلة الأحزاب ونحن صافون قعود، وأبو سفيان ومَنْ معه فوقنا،
وقريظة اليهود أسفل منا نخافهم على ذرارينا، وما أتت علينا ليلة قطُّ أشد
ظلمة ولا أشد ريحاً منها. في أصوات ريحها أمثال الصاعق، وهي ظلمة ما
يرى أحداً أصبعه، فجعل المنافقون يستأذنون النبي صلى الله عليه وسلم
ويقولون: إنَّ بيوتنا عورة وما هي بعورة، فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له،
ويأذن لهم ويتسللون ونحن ثلاث مائة ونحو ذلك. إذ استقبلنا رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجلاً رجلاً، حتى أتى عليّ وما عليّ جنة من العدو ولا
من البرد إلا مرط لامرأتي ما يجوز ركبتني. قال: فأتاني وأنا جاثٍ على

(١) رياض الصالحين _ باب المبادرة إلى الخيرات وحث من توجه لخير على الإقبال عليه
بالجد من غير تردد

ركبتي. فقال: من هذا ؟ « فقلت حذيفة. فقال: « حذيفة »، فتقاصرت للأرض، فقلت: بلى يا رسول الله ! كراهية أن أقوم ، فقامت. فقال: « إنه كائن في القوم خبر فائتي بخبر القوم ». قال: وأنا من أشد الناس فرعاً وأشدّهم قرأً. قال: فخرجت. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «اللهم احفظه من بين يديه ومن خلفه، وعن يمينه وعن شماله، ومن فوقه ومن تحته». قال: فو الله ! ، ما خلق الله فرعاً، ولا قرأً في جوفي إلا خرج من جوفي، فما أجد فيه شيئاً. قال: فلما وليت قال: « يا حذيفة لا تُحدثن في القوم شيئاً حتى تأتيني ». قال: فخرجت حتى إذا دنوت من عسكر القوم نظرت ضوء نار لهم توقد، وإذا رجل أدهم ضخم، يقول بيديه على النار ويمسح خاصرته ويقول: الرحيل، الرحيل، ولم أكن أعرف أبا سفيان قبل ذلك. فانتزعت سهماً من كنانتي أبيض الريش فأضعه في كبد قوسي لأرميه به في ضوء النار. فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم «لا تُحدثن فيهم شيئاً حتى تأتيني»، فأمسكت ورددت سهمي إلى كنانتي، ثم إني شجعت نفسي حتى دخلت العسكر، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر يقولون: يا آل عامر، الرحيل، الرحيل، لا مقام لكم. وإذا الرحي في عسكرهم ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله، إني لأسمع صوت

الحجارة في رحالهم وفرشهم، الريح تضرب بها، ثم إني خرجت نحو رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما انتصفت بي الطريق ، أو نحو من ذلك، إذا أنا بنحو من عشرين فارساً ، أو نحو ذلك ، مُعْتَمِينَ فقالوا: أخبر صاحبك أن الله قد كفاه. فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مشتمل في شَمْلَةٍ يَصْلِي؛ فالله ما عدا أن رجعت راجعني القرّ وجعلت أقرقف. فأومأ إليّ رسول الله صلى الله عليه وسلم بيده وهو يَصْلِي؛ فدنوتُ منه فأسبل عليّ شملته، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر صلى ، فأخبرته خبر القوم، أخبرته أنني تركتهم وهم يرحلون. قال: وأنزل الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَاإلى قوله : وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا^(١). (كذا في البداية ، وأخرجه أبو داود، وابن عساكر بسياق آخر مطوّلاً كما في كنز العمال(٢) .

وأخرجه مسلم عن يزيد التيمي قال: كنا عند حذيفة رضي الله عنه فقال له رجل: لو أدركتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قاتلتُ معه وأبليتُ. فقال له حذيفة: أنت كنت تفعل ذلك؟ لقد رأيتنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الأحزاب في ليلة ذات ريح شديدة وقرّ. فقال رسول الله صلى الله عليه

(١) سورة الأحزاب _ الآيات من ٩ : ٢٥

(٢) حياة الصحابة _ باب تحمل الصحابة الخوف والرد في الدعوة إلى الله تعالى.

وسلم «ألا رجل يأتيني بخبر القوم يكون معي يوم القيامة؟» فذكر الحديث نحو حديث عبد العزيز باختصار، وفي حديثه: فأُتيتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأصابني البرد حين رجعت وقررت، فأخبرت رسول الله صلى الله عليه وسلم وألبسني من فضل عبادة كانت عليه يصلي فيها، فلم أبرح نائماً حتى الصباح. فلما أن أصبحت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «قم يا نومان». وأخرجه ابن إسحاق عن محمد بن كعب القرظي رضي الله عنه منقطعاً، وفي حديثه: فقال: من رجل يقوم فينظر لنا ما فعل القوم ثم يرجع؟» فشرط له رسول الله صلى الله عليه وسلم الرجعة؛ «أسأل الله أن يكون رفيقي في الجنة». فما قام رجل من شدة الخوف وشدة الجوع والبرد (١).

٣) من لكعب بن الأشرف؟

أخرج البخاري عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من لكعب بن الأشرف فإنه قد آذى الله ورسوله؟» فقام محمد بن مسلمة رضي الله عنه فقال: يا رسول الله،

أتحب أن أقتله قال: «نعم». قال: فأذن لي أن أقول شيئاً. قال: «قل». فأتاه محمد بن مسلمة فقال: إن هذا الرجل قد سألنا صدقة، وإنه قد عانا، وإنني قد أتيتك أستسلفك. قال: وأيضاً والله! لتمننه قال: إنا قد اتبعناه فلا نحب أن ندعه حتى ننظر إلى أي شيء يصير شأنه. وقد أردنا أن تسلفنا وسقاً أو وسقين، فقال: نعم، إرهونوني، قالوا: أي شيء تريد؟ قال: إرهونوني نساءكم، قالوا: كيف نرهنك نساءنا وأنت أجمل العرب؟ قال: فارهونوني أبناءكم. قالوا: كيف نرهنك أبناءنا؟ فيسب أحدهم فيقال رهن بوسق أو وسقين، هذا عار علينا ولكن نرهنك اللأمة، يعني السلاح، فواعده أن يأتيه ليلاً.

فجاءه ليلاً ومعه أبو نائلة وهو أخو كعب من الرضاعة، فدعاهم إلى الحصن فنزل إليهم. فقالت له امرأته: أين تخرج هذه الساعة؟ فقال: إنما هو محمد بن مسلمة وأخي أبو نائلة، وفي رواية: قالت: أسمع صوتاً كأنه يقطر منه الدم. قال: إنما هو أخي محمد بن مسلمة ورضيعي أبو نائلة، إن الكريم لو دُعي إلى طعنة بليل لأجاب، قال: ويدخل محمد بن مسلمة معه رجلين، فقال: إذا ما جاء فإني قائل بشعره فأشمه، فإذا رأيتموني إستمكنت من رأسه فدونكم فاضربوه.

فنزل إليهم توشحاً وهو ينفخ منه ريح الطيب. فقال: ما رأيت كاليوم ريحاً، أي طيب، قال: عندي أعطر نساء العرب وأكمل العرب فقال: أتأذن لي أن

أشَمَّ رأسك؟ قال: نعم. فشَمَّه ثم أَشَمَّ أصحابه. ثم قال: أَتَأْذَن لي قال: نعم. فلَمَّا استمكن منه قال: دونكم، فقتلوه، ثم أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه. وفي رواية عروة: فأخبروا النبي صلى الله عليه وسلم فحمد الله تعالى. وفي رواية ابن سعد: فلما بلغوا بَقِيع الغَرْقَد كَبَرُوا، وقد قام رسول الله صلى الله عليه وسلم تلك الليلة يصلي. فلما سمع تكبيرهم كَبَّر، وعرف أن قد قتلوه، ثم انتهوا إليه. فقال: «أفلحت الوجوه» فقالوا: ووجهك يا رسول الله. ورموا رأسه بين يديه، فحمد الله على قتله. وفي مرسل عكرمة: فأصبحت يهودُ مذعورين، فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا: قُتِل سيدنا غِيْلَة. فذكرهم النبي صلى الله عليه وسلم صنيعه وما كان يحرض عليه ويؤذي المسلمين. زاد ابن سعد: فخافوا فلم ينطقوا. كذا في فتح الباري .

وعند ابن إسحاق: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «مَنْ لي بَابن الأشرف؟» فقال محمد بن مسلمة رضي الله عنه: أنا لك به يا رسول الله، أنا أقتله. قال: «فافعل إن قدرتَ على ذلك». قال: فرجع محمد بن مسلمة فمكث ثلاثاً لا يأكل ولا يشرب إلا ما يُعَلِّق به نفسه. فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فدعه فقال له: «لم تركتَ الطعام والشراب؟» فقال: يا رسول الله، قلت لك قولاً لا أدري هل أفي لك به أم لا. قال: «إنما

عليك الجُهد». وعنده أيضاً من حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال: مشى معهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى بقيع الغرقد، ثم وجههم وقال: « انطلقوا على اسم الله اللهم أعنيهم ». كذا في البداية . وحسن الحافظ ابن حجر إسناده حديث ابن عباس رضي الله عنهما. كذا في فتح الباري^(١).

فكما أن [وقرن] للنساء وسيلة للتعبد والحفظ ، وكذلك الخروج وسيلة للرجال لأنه ممكن [وقرن] وهي تغنى وتلهو وتضيع مقصدها وعمرها وحياتها في الشهوات وقضاء الحاجات .



(١) المرجع السابق _ باب كيف قطعت الأنصار رضي الله عنهم حبال الجاهلية لتشديد حبال الإسلام قتل كعب بن الأشرف اليهودي.

وختاما

نحمد الله ﷻ علي توفيقه أن من علينا وأصدرنا الجزء الثاني من هذا الكتاب الطيب الممتع في مادته ، الممتع في بيانه ، القوي في برهانه .
 وأسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لحمل الأمانة ، وتبليغ الرسالة ، وأن يجعلنا أهلا لما أهلكنا الله ﷻ له ، ولما وصفنا به فقال عنا: ﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِّنْهُمْ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (١) .

وأسأله سبحانه وتعالى أن يُحركنا في العالم لنشر دينه ، كما حرك أصحاب نبيه ﷺ وأن يجعل الدعوة إلي الله أحب إلينا من أنفسنا وأموالنا وأهلينا .. اللهم ! آمين .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(١) سورة آل عمران - الآية ١١٠ .

المراجع

- (١) القرآن الكريم .
- (٢) مختصر تفسير القرآن العظيم لأبن كثير - الصابوني - طبعة دار التراث العربي للطباعة والنشر بالقاهرة .
- (٣) زاد المسير في علم التفسير - لابن الجوزي .
- (٤) رياض الصالحين للنووي - طبعة المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الأولى ١٤١٢ هـ .
- (٥) مشكاة المصابيح - للخطيب التبريزي - المكتب الإسلامي - بيروت - الطبعة الثالثة ١٤٠٥ هـ .
- (٦) صحيح البخاري - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- (٧) صحيح مسلم شرح النووي - طبعة المطبعة الأميرية بالقاهرة .
- (٨) سنن النسائي - طبعة دار الحديث بالقاهرة .
- (٩) سنن الترمذي - طبعة دار ابن الهيثم بالقاهرة .
- (١٠) مستدرک الحاكم - طبعة بيروت - لبنان .
- (١١) المتجر الرابع في ثواب العمل الصالح للدمياطي - مكتبة التراث الإسلامي بالقاهرة
- (١٢) سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد للصالحى الدمشقي - طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية .
- (١٣) البداية والنهاية لابن كثير - طبعة دار ابن رجب .
- (١٤) تاريخ الإسلام للذهبي - طبعة دار الغد العربي بالقاهرة .
- (١٥) حياة الصحابة للكاندهلوي - طبعة دار المعرفة - بيروت - لبنان

الفهرس

| الصفحة | الموضوع |
|--------|---------------------------------------|
| ٣ | (١) المقدمة |
| ٥ | (٢) الدعوة الربانية: |
| ٨ | — المشاهدات في معركة مع الغيبيات..... |
| ٨ | — هود عليه السلام ودعوته لقومه..... |
| ٩ | — صالح عليه السلام ودعوته لقومه..... |
| ١٠ | — قوم سبأ |
| ٢٠ | — النزعة الفردية..... |
| ٢٣ | (٣) الله ﷻ خالق الأشياء والأحوال: |
| ٢٧ | — كيف يا رب أترقى وأتقرب إليك؟..... |
| ٣٤ | — لماذا خلقنا الله ﷻ ؟ |
| ٤٠ | — لكل حال عبادة ولكل عبادة حال..... |
| ٤١ | — أعظم عبودية:..... |
| ٤٢ | — فمن أحسن فقر؟؟..... |
| ٤٢ | — وأحسن حال..... |
| ٤٢ | — وأحسن غنى..... |
| ٤٨ | — النبي ﷺ يمر بكل الأحوال..... |
| ٦٢ | (٤) عبودية الأمة: |

| | |
|-----|---|
| ٦٧ | — الدعوة وسيلة والعبودية مقصد، والنبوة وسيلة ولكن العبودية مقصد |
| ٧٢ | — أعظم عبودية..... |
| ٨٢ | (٥) الجهد بمزاج التقوى: |
| ٨٣ | — ما معنى التقوى؟؟..... |
| ٩٤ | — سيدنا إبراهيم عليه السلام جهده بأي مزاج؟؟..... |
| ٩٤ | — سحرة فرعون بأي مزاج ضحوا بأنفسهم؟؟..... |
| ٩٩ | — هذا الجهد عظيم كيف ننتفع منه أحسن انتفاع؟؟..... |
| ١٠٥ | — المنافقين يكيدوا للمسلمين؟؟..... |
| ١١٥ | — التوبة فالدعوة فالتقوى فالإمامة..... |
| ١١٧ | — صنفان..... |
| ١١٨ | — فخلاصة جهد سيدنا يوسف..... |
| ١٢١ | (٦) الفرق بين نبي الله مُعلماً ونبي الله داعية : |
| ١٢٢ | — ما هو الدين؟؟..... |
| — | — فمقصد الدعوة: إخراج الناس من ظلمة المعصية إلى نور الطاعة..... |
| ١٢٤ | — أين جهد سيدنا موسى؟؟ وأين ميدان دعوته؟؟..... |
| ١٢٦ | — الفرق بين الداعي والمعلم..... |
| ١٢٧ | — الداعية ليس له حق على البشر مطلقاً..... |
| ١٣١ | — في التعليم لا بد من الطلب |
| ١٣٨ | — في جهد التعليم الكلام يتغير لماذا؟؟..... |
| ١٤٥ | |

| | |
|-----|--|
| ١٤٨ | _ نية الداعي والمعلم |
| ١٥١ | _ جهد التعليم نوعين..... |
| ١٥٥ | (٧) مقارنة بين الدعوة والقتال في الإسلام: |
| _ | _ الله سبحانه وتعالى خلق هذا الإنسان وجعل له ذات |
| ١٥٧ | وصفات..... |
| _ | _ ولا يستطيع الإنسان أن يكتسب أى صفة من الصفات إلا |
| ١٦٠ | بمصاحبة أهلها..... |
| _ | _ فالرسل والأنبياء والدعاة لتجميل وتحسين الصفات التى |
| ١٦١ | يحبها الله تبارك وتعالى لهذا الإنسان..... |
| _ | _ أرسل الله ﷺ الرسل والأنبياء لتزكية وإصلاح هذا |
| ١٦٢ | الإنسان..... |
| ١٦٣ | _ الله أرسل الرسول ﷺ داعياً ومقاتلاً..... |
| ١٦٣ | _ الفرق بين جهد الدعوة وجهد القتال..... |
| _ | _ الدعوة مقصدها إقامة كل الدين فى كل العالم حتى قيام |
| ١٦٤ | الساعة..... |
| ١٦٤ | _ سلاح الداعى ووسيلته تنحصر فى أعمال تسمى اللطائف..... |
| ١٦٤ | _ فالدعوة أساس والقتال تكميل..... |
| ١٦٦ | _ إذا أراد الله أن يظهر قوة الداعى، يقدر عليه أسباب |
| _ | الضعف..... |
| ١٦٩ | _ دعوة مصعب بن عمير ؓ في المدينة (باللطائف)..... |
| ١٧٢ | _ الرسول يتحلى بالفضائل واللطائف (فمن وافقه جاء علي |

| | |
|-----|--|
| ١٧٥ | الخير (..... — الرسول ﷺ واجه الأعرابي عندما حمل عليه السيف وهو نائم بطائفه..... |
| ١٧٥ | — عمير بن وهب الجمحي..... |
| ١٧٧ | — زيد بن سعة (الحبر اليهودي)..... |
| ١٨٠ | — فالداعي لا يحمل عاطفة الانتقام..... |
| ١٨١ | — في الدعوة لا نتأثر بالأحوال، أما في القتال نتأثر بالأحوال..... |
| ١٨٥ | — من هم الذين تدعوهم؟..... |
| ١٨٧ | — في الدعوة تحسين الألفاظ والمعاملة..... |
| ١٨٨ | — نضرب مثالين للعلاقة بين جهد الدعوة وجهد القتال..... |
| ١٩٢ | |
| ١٩٥ | (٨) المعركة بين الحق والباطل..... |
| ٢١٤ | (٩) مذاكرة في بعض صفات الداعي: |
| ٢١٥ | سورة يوسف والدعوة..... |
| ٢١٦ | أولاً: توجد أخلاق نبوية ، وأخلاق بشرية إيمانية عالية..... |
| ٢١٧ | أخوة يوسف كواكب، وهم أصول بني إسرائيل..... |
| ٢١٨ | قوة اليقين..... |
| ٢١٨ | التمسك بالحق في أحلك الظروف والمواقف..... |
| ٢٢٠ | فالداعي مغلوب، متهم، مظلوم:..... |

| | |
|-----|--|
| ٢٢٠ | نوح عليه السلام..... |
| ٢٢١ | هود (عليه السلام)..... |
| ٢٢٢ | صالح (عليه السلام)..... |
| ٢٢٣ | لوط (عليه السلام)..... |
| ٢٢٤ | شعيب (عليه السلام)..... |
| ٢٢٦ | محمد (صلي الله عليه وسلم)..... |
| ٢٢٦ | وضوح الدين في حياة يوسف عليه السلام..... |
| ٢٢٨ | الصبر واليقين على نصره وتأييد الله للداعي..... |
| ٢٢٩ | الهمة العالية ووضوح مقصده والحركة ولو كان منفردا..... |
| ٢٢٩ | العدو الوحيد والذي لا يتغير عند الداعي هو الشيطان..... |
| ٢٣٠ | الأدب والاحترام مع الآخرين..... |
| ٢٣٠ | الداعي لا يبرئ نفسه..... |
| ٢٣١ | الشعور دائماً بالامتنان والعرفان والفضل والعطاء لله وحده.... |
| ٢٣٢ | متى تعلو كلمة الله؟..... |
| ٢٣٣ | أجهزة نشر الدين..... |
| ٢٣٤ | الحفاظة ليست بالأسلحة، ولكن الحفاظة في الأعمال..... |
| — | الله يسحب الأسباب من المسلمين ويعطيها للكفار، حتى يخرج |
| ٢٣٤ | من قلوب المسلمين الاعتماد على الأسباب المادية..... |
| ٢٣٨ | الطريق الصحيح..... |
| ٢٤١ | الله أرسل الرسل واسطة رحمة..... |
| ٢٤٣ | الرحمة نوعان |

| | |
|-----|---|
| ٢٤٨ | (١٠) أهمية الجهد على النساء: |
| ٢٤٩ | مقصد خلق البشرية..... |
| ٢٥١ | الدين يسر في بيئة الدين..... |
| ٢٦٢ | ليس في نقص الحاجات شقاء..... |
| ٢٦٢ | ليس في الدنيا سعادة ولكن توجد أسباب السعادة.. |
| ٢٦٤ | آية الصفات: (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ |
| ٢٦٤ | وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ..... |
| ٢٦٦ | هناك مكانان يعلمان الإسلام المسجد والبيت فقط..... |
| ٢٦٧ | أول ما بدأ الإسلام في مكة بدأ في البيوت..... |
| ٢٧١ | ماذا في بيوتنا الآن؟..... |
| ٢٧٢ | بيت المسلم مرآة تعكس حياة الدين..... |
| ٢٧٣ | مسئولية البيت مسئولية المرأة..... |
| ٢٧٦ | كل نبي وراءه امرأة..... |
| ٢٧٨ | الزوجة والذرية والآباء يتأثرون بتضحية صاحب البيت |
| ٢٨٤ | رسالة البيت خطيرة وعظيمة مثل رسالة المسجد |
| ٢٨٥ | بيوت الصحابة..... |
| ٢٩٠ | (١١) الدعوة إلى الله ﷻ ميدان الرجال والنساء: |
| ٣٠١ | (١٢) وختاماً..... |
| ٣٠٢ | (١٣) المراجع..... |
| ٣٠٣ | (١٤) الفهرس..... |

بريد الكتروني: Emam2030@gmail.com

تليفون محمول: ٠١٠٦٤١٥٨٢٤٦ _ ٠١١٢٥٦٤٦٨٢٨

تليفون منزل: ٠٥٠٦٨٢٤٥٣٦